الجمـهورية الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران السانية

كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية

معهد التاريخ

الأمير عبد القادر في الأسر (1849-1852)

رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر

إعداد الطالبة :
بقبق الزهرة

تحت إشراف:
الصم منور

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. بلقاسمي بوعلام - رئيسا
أ.د. الصم منور - مقررا
أ.د. دحو فغرور - مناقشا
أ.د. مهديد ابراهيم - مناقشا

السنــة الجامعيــة
2010-2009

إن التطور التاريخي الذي عرفه المجتمع الجزائري مع عملية الاحتلال الفرنسي– الاستيطاني– ناتج منذ البداية عن تلك المذكرة التي قدمت إلى نابليون في 07 سبتمبر 1802 ، و التي تضمنت بأن شمال افريقية ، من حدود مصر إلى مضيق جبل طارق ، محكوم بأناس غير عالمين بالقانون العام الأوربي .

إن مثل هذه المعلومات لا يمكنها أن تفاجئ أي إنسان أوروبي كان على صلة بالدول الأوربية في القرون السابقة ، فحكام شمال افريقية ولا سيما الذين كانوا على رأس الايالة الجزائرية كانوا يوصفون من القناصل الأوربيين ب " هؤلاء الوحوش " و " هؤلاء الأوباش " أو "هؤلاء البرابرة " أو "هؤلاء الطغاة " .

من هذا المنطلق سعت الإدارة الفرنسية لاسيما بعدما تعاظمت القرصنة إلى التخطيط من اجل احتلال الجزائر تحت شعار " نشر الحضارة "و "تأديب الداي " و العودة من حيث أتت، و لكن في حقيقة الأمر أن احتلال فرنسا للجزائر لم يكن بمحض الصدفة ، بل إنها فكرة قديمة ترسبت و اختمرت في أذهان قادة أوروبا منذ حملة شارل الخامس الاسباني سنة 1541 م ، ثم التهديد و الوعيد بالعواقب الوخيمة للويس الرابع عشر ملك فرنسا. كما أن نابليون بونابارت كانت له رغبة ملحة وقوية في احتلال الجزائر و التي أبداها في أكثر من مناسبة ليحقق رغبته ، عندما سنحت له الفرصة بعد معاهدة أميان 1802م ،و معاهدة تليسة 1807 م ، و كان بذلك يحاول إنشاء قواعد لإيقاف هيمنة الانكليز في البحر الأبيض المتوسط .

و محاولة منها تغطية خيبتها في أمريكا بعد أن طردت من كندا من طرف البريطانيين ، و من جهة أخرى ، سعيا منها لإيجاد مستعمرة لتصريف موادها الأولية ، و قاعدة لصناعتها الناشئة و من ثم استغلال اليد العاملة الرخيصة ، وجهت فرنسا أنظارها نحو الجزائر ، لعدة اعتبارات كونها أولا مطمورة الحبوب ، و ثانيا لمجالها الحيوي بسبب الموقع الجغرافي الذي تحظى به باعتبارها بوابة إفريقيا .

و لهذا فمنذ إعلانها الاحتلال قد عجلت بعملية استيطانية على حساب الأهالي الذين جردت معظمهم من الأراضي، وأحلت محلهم جالية فرنسية ما فتيء عددها يتزايد باستمرار ، وشجعت قدومهم بسلسلة من التسهيلات و الإغراءات دعمت بها غرس المستعمرات في الأراضي الجزائرية ، و الغرض من كل ذلك هو نشر قواتها وقانونها وسيادتها ، و الأهم هو الحصول على القاعدة المادية لها ، و بالتالي تفتيت القبائل عن طريق مصادرة أراضيهم ،للقضاء على الثقل الاجتماعي و الثقافي و السياسي للزاوية في الريف الجزائري ، لغرض تطويق المقاومة .

وبالمقابل لا يتسنى للمقاومة أن تبرز للميدان إذا لم تكن هناك قاعدة صلبة قد وعت موقعها في الساحة، وفهمت حقيقة وجودها ، وقد كانت هذه المقاومة رهينة الإحساس بالظلم و الشعور بفقدان مكتسبات قد آلت للآخرين، و كذا إحساسها بفقدان كرامتها دون وجه حق، و لهذا كان احتلال مدينة الجزائر سنة 1830 مؤشرا لبداية التحدي الذي هز الجزائريين فعلا في المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر و التي دامت 15 سنة .

و على هذا الأساس، حصل الأمير عبد القادر على بيعة شعبية وشرعية مكنته من الحصول على الحق الشرعي في الدفاع عن الجزائر و الجزائريين، وهكذا فقد كان على فرنسا أن تتعامل مع هوية سياسية وسيادية و شرعية جديدة ، بعد أن تخلى الداي حسين عن الجهاد و استعادت الأمة الجزائرية حق المقاومة كما منحته هذه البيعة الخاصة 1832 و العامة 1833 الحق في تثبيت التمثيل السياسي أي إيجاد منهج سياسي محدد و موحد لإحداث التناغم بين الحياة الاجتماعية و الخطاب السياسي .

ولهذا فيمكننا القول ان محي الدين و عبد القادر هما رسالة للأمة الإسلامية و منهج فكري، و معلم واضح و فاصل، بين المرحلة القديمة للأمة العربية و مرحلة النهضة الفكرية بمنهجية و أساليب علمية و متطورة ، لان الأمير عبد القادر كان صاحب فكرة المقاومة الشعبية بعدما نادى بها الشيخ محي الدين ، و تعني مقاومة الأجنبي عن طريق جيش وطني شعبي منظم يتحمل المجازفة ، و المغامرة و التضحية .

و بعد مقاومة دامية دامت 15 سنة ، و في فترة اختلت فيها موازين القوى ، بعدما تنامت قوة الفرنسيين في الجزائر جيشا و مادة ، بالرغم من الحرب معه و ترسخت كقاعدة مادية في الاقتصاد بعد إنهاك المجتمع و اختراقه بالحروب و المعارك ،و بسبب تسليع القبائل المحلية ضده ، و كذا معاهدة طنجة 1844 ،مع المغاربة و التي اعتبرته خارجا عن القانون ، وجد الأمير عبد القادر و الأقلية من رفاقه الأوفياء أنفسهم لوحدهم مع مشروع ، لهذا كان من الضروري نهاية هذا المشروع القائم على تأسيس دولة جزائرية حديثة ، ولهذا تم وقف القتال بالإجماع سنة 1847 بعدما انقضت كل أدوات المجابهة.

إن وقف الأمير عبد القادر للقتال كانت بالنسبة له العملية الأكثر وجعا في حياته، و مع ذلك فانه أوقف القتال بشروط مشرفة جدا ، و لكن فرنسا لم تلتزم بتعهداتها و التزاماتها القانونية و الأخلاقية اتجاهه ، و قد خدعته بأبشع طريقة فحولت الباخرة من وجهتها نحو الإسكندرية أو عكا إلى المعتقلات الفرنسية أين اعتبر **مجرم حرب** من 1848-1852 .

و بدون شك أن ضمانات حقوق الإنسان ،و الحريات الأساسية المثبتة في القانون الأساسي، و المستوحاة من فكرة الحرية الشخصية ،تقضي و هذا ما نصت عليه في الأساس الثورة الفرنسية ، بإقرار الدولة لمثالية الأفراد– مهما كانت جنسياتهم– أحرار في دولة حرة ، و ما لم تستوفى هذه الشروط فان أية دولة لا يمكن أن تأخذ على عاتقها التزامات واسعة لحماية هذه الحقوق ، أو المناداة بها و بالعدالة و المساواة .

و لكن في حقيقة الأمر أن الدولة الفرنسية الداعية ببنود الثورة الفرنسية ، و التي تزعمها نخبة من المفكرين و المثقفين من بينهم مونتيسكيو و فولتير و بيكاريا و غيرهم ، و تحقيقا منها لأهدافها التوسعية على حساب المقاطعات الإفريقية ،و الجزائر على وجه الخصوص ، قامت بانتهاك أكثر الحقوق قداسة ، و التي يمكن أن يحصل عليها أي فرد ، فارتكبت أفضع جريمة في حق الأمير عبد القادر ،و أطفاله ،و النساء و الشيوخ واعتقلتهم بدون أي جرم و بأبشع الطرق ،فطبقت عليهم عقابا جماعيا ، حتى أنها حولت القصور الحضارية إلى معتقلات ، و قد ضربت بذلك بنود الثورة الفرنسية عرض الحائط لمصالح سياسية ،و شخصية ، خصوصا الحقد الذي أظهره وزراء الحربية ضد الأمير عبد القادر و هنا تكمن القناعة الشخصية بالموضوع .

إذن فمحاولة منا الارتقاء بالموضوع إلى المستوى المطلوب، كان لا بد من تسليط الضوء حول شرعية سجن الأمير عبد القادر و رفقائه دون أي وثيقة للاتهام و بدون أي جرم ، و عن علاقاته و اهتماماته الروحية و السياسية و كذا مراسلاته و علاقاته برجال الدين كدوبوش و الأب رابيون .

و عليه يمكننا صياغة **الإشكال الخاص** بهذه الدراسة كالآتي :
هل خديعة الأمير عبد القادر و رفقائه بهذه الشاكلة يعتبر نموذج لقواعد العدالة والإنصاف أم هي سياسة للإكراه والإجبار بالوسائل القسرية ؟ و كيف كانت حياته في المعتقلات الفرنسية و حجم المعاناة المادية و النفسية ؟

و لتسهيل مسار الدراسة كان لا بد من تفكيك هذا الإشكال الخاص إلى أسئلة جزئية كالتالي :

1– ما هي الأسباب العميقة التي أدت بوقف الأمير عبد القادر و رفقائه القتال سنة 1847؟
2– ما هو موقف العدالة الفرنسية في حرمان الأمير عبد القادر و رفقائه من حق التصرف بالرغم من أن سجنه كان تابع لوزارة الحربية ؟
3– كيف كانت حياته و مرافقيه اليومية في المعتقلات الفرنسية ؟

4- ما هي اهتماماته، و علاقاته في المعتقلات الفرنسية ؟
5-ما موقف المفكرون الفرنسيون من اسر الأمير عبد القادر أمثال فيكتور هيغو و لامارتين ؟

إلى جانب الأسئلة الجزئية المطروحة سلفا ، وبعد الإحاطة العامة بجوانب الموضوع قيد الدراسة أمكننا صياغة **الفرضيات** التالية :

1- قامت السلطات الفرنسية بحبس الأمير عبد القادر حبسا تعسفيا ، لم تراعى فيه بنود الثورة الفرنسية السامية التي دعى إليها المفكرون الفرنسيون .
2- لم يعاني الأمير عبد القادر في المعتقلات الفرنسية، و إنما كان في قصور، و يعيش حياة البذخ في إطار العيش الرغيد و الكرامة الإنسانية دون حجر لحريته .
3- شارك الأمير عبد القادر في الانتخابات في فرنسا .
4- كان للأمير عبد القادر علاقات قوية في معتقله سواء الدينية مع القس دوبوش و الاب رابيون و حتى السياسية كايميل اوليفييه و خلفت هذه العلاقات حوالي 600 رسالة .

و بما أن طبيعة الموضوع وحجم المعلومات المتوفرة هما المتحكمان في المنهج المتبع ، و بما ان الموضوع يكتسي طابعا **تاريخيا** و صبغة **اجتماعية** ، **سياسية** ، و **قانونية** ، فنوعية معالجة الدراسة ستتطلب إتباع المنهج التاريخي، **السردي** ، و ذلك أثناء عرض أسباب وقف الأمير عبد القادر للقتال ، و كذا بالاطلاع على حياته اليومية داخل المعتقلات، و الزيارات و المراسلات و غيرها .

إلى جانب المنهج **التحليلي** الذي يعتمد على الطريقة المنهجية في تحليل النصوص التاريخية و ذلك أثناء تحليلنا للإشكاليات المطروحة سابقا.

كما سأتبع المنهج **النقدي** الذي لا يغفل التدقيق و التحقيق، و ذلك ضمن عملية منهجية وصفية يراد بها وصف الواقع و تفسيره، و هذا ما يقودنا إلى الانطلاق من العام إلى الخاص أثناء وضع خطة البحث و أثناء دراسة الوثائق الأرشيفية التي اعتمدنا عليها في الدراسة قيد الانجاز .

إن مسار هذه الدراسة في سبيل الإجابة على الإشكال الخاص ،و الأسئلة المطروحة مع محاولة إثبات صحة أو دحض الفرضيات السابق الإشارة إليها ، فرض علينا ضبط الموضوع ضمن حلقات متسلسلة ، مترابطة و متكاملة استوجبت إتباع خطة بحث اشتملت على **مقدمة عامة** للموضوع يتم فيها طرح

إشكالية الموضوع و أهميته ، بالإضافة إلى **أربعة فصول** و**خاتمة عامة** تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها من البحث ، و ملاحق تكون متصلة عضويا بالموضوع

فالفصل الأول ، سوف نتطرق فيه إلى الظروف و الدوافع القاهرة التي أدت إلى وقف الأمير عبد القادر و رفاقه القتال ، مرورا بأسباب القوة الفرنسية ، و سياسة الأرض المحروقة و الإبادة الجماعية ،ووصولا إلى المعاهدات الفرنسية المغربية و التي كانت سببا في تقويض الطاقة العسكرية الأميرية ، و عدم وجود السند التونسي ألمغاربي على الرغم من أن هذه الفترة لوحدها تحتاج إلى دراسة اكبر و تحليل أكثر ، و منها إلى المفاوضات مع لاموريسيير و شروط وقف القتال و التوقيع على الاتفاقية بشروط مشرفة طبعا .

الفصل الثاني : سنسلط الضوء خلاله على المحطتين الأوليتين من اعتقاله في طولون وبو و ما تتضمنه هذه المرحلة من معاناة نفسية خصوصا و مادية ، و كذا جوانب من حياته اليومية ، الوفيات ، زواره ، علاقته بايميل اوليفييه ، و غيرها ، كما جعلنا ذلك نميل إلى طرح بعض الإشكاليات التي ما تزال الإجابة عليها قاصرة و تحتاج للمزيد من الجهد ، كما يتضمن نفس الفصل مواقف الهيئات الدستورية و الصحافة الوطنية الفرنسية من هذه الخديعة و من التجاوزات الخطيرة التي قامت بها الحكومة الفرنسية اتجاه الأطفال و النساء و غيرها ، كما حاولنا تبيان تلك التطورات السياسية الخطيرة في فرنسا و التي كان الأمير عبد القادر و رفاقه ضحايا في ظل كل هذه التطورات .

و يتناول **الفصل الثالث** : دراسة للحياة اليومية للأمير عبد القادر و مرافقيه في ظل الظروف الصعبة و القاسية بعد نقلهم إلى امبواز باعتباره الموضع الأخير للاعتقال فحاولنا تسليط الضوء على بعض الزيارات ، و المراسلات و كذا الوفيات ، إلى جانب الدراسات و الإنتاج الفكري في هذه المرحلة ، كما حاولنا تسليط الضوء على حقيقة المهمة التي كلف بها الشاذلي القسنطيني بعد زيارته للأمير عبد القادر في قصر امبواز ، كذلك طرحنا هنا العديد من الإشكاليات التي رأينا من الضروري طرحها هنا للفت النظر إليها .

وتختتم الدراسة **بالفصل الرابع** ، الذي انصب الاهتمام فيه إلى دراسة الإشكالية العامة المطروحة في الدراسة قيد الانجاز ، بحيث حاولنا إن نتطرق إلى تحليل و دراسة مدى استفادة الأمير عبد القادر من ضماناته القانونية كأي أسير ،كما سلطنا فيه الضوء على اعتلاء نابليون الثالث للعرش في فرنسا و إعلانه لإطلاق سراح الأمير عبد القادر و رفاقه سنة 1852 ، كما تطرقنا إلى الحديث عن إشكالية الانتخاب التي تحدث عنها العديد من المؤرخين خاصة بول أزان ، و أخيرا حاولنا بنوع من الإيجاز أن نتطرق إلى نفيه إلى بروسة ، و منها إلى

دمشق باختصار شديد لتبقى كآفاق للدراسة و مجال مفتوح للبحث مستقبلا إنشاء الله .

و اختم الموضوع في الأخير **بخاتمة عامة** اشتملت على ما توصل إليه البحث من نتائج أجملها في انه علينا جميعا كباحثين أن نعلم جليا أن الأمير عبد القادر اعتقل اعتقالا تعسفيا بدون أي جرم ، و حدت الدولة الفرنسية من حريته أين دامت فترة اعتقاله 05 سنوات قضاها في المعتقلات الفرنسية ، و عانى خلالها نفسيا و ماديا ، و لم يكن في قصور يعيش حياته طبيعيا و لم يكن أيضا ضيفا على الأراضي الفرنسية كما يدعي العديد من المؤرخين الفرنسيين ، و إنما عانى فعلا نتيجة لمرض والدته المسنة ، وفيات أطفاله ، مرض زوجاته ، معاناة رفقاء دربه ، كل هذا جعله يعاني الأمرين إلى أن انتهت فترة معاناته باعتلاء نابليون العرش و أطلق سراحه وخلص الشرف الفرنسي من تلك الخديعة .

و لاختيار الموضوع انصب اهتمامي منذ البداية و بطريقة منهجية في البحث عن مادة الموضوع بدءا من مطالعة البيبليوغرافيات التي تتناول تاريخ الجزائر على العموم ، و التاريخ الحديث و المعاصر على الخصوص ، و في مرحلة ثانية رحت ابحث عن الخصوصية فيما وجدت ضمن هذه المراجع بما يخدم الموضوع ، و بذلك استخلصت مجموعة من المصادر و المراجع نذكر منها هنا على سبيل المثال لا الحصر :

الأرشيف الفرنسي: لقد حاولنا جاهدين الحصول على وثائق تخدم الموضوع و قد وفقنا في ذلك و الحمد لله و من بين هذه الوثائق :

1- **ملف خاص بمراسلات الأمير عبد القادر مع المفوض العام للحكومة المؤقتة أيميل اوليفييه** من الأرشيف الوطني الفرنسي لما وراء البحار : اكس بروفانس
2- **رسالة تعهد من الأمير عبد القادر الى نابليون الثالث بعدم العودة الى الجزائر :** ايضا من الارشيف الوطني الفرنسي .
3- جريدة **البرينييه** مقدمة من رئيس بلدية بو ، اعتمدنا عليها في التعرف على الحياة اليومية للأمير عبد القادر في بو و كذا الشخصيات التي كانت تقدم لزيارته و غيرها
4- نسخة من جريدة **Le TOULONNAIS** ، اعتمدنا عليها في التعرف على الزيارة التي قام بها الأمير عبد القادر في طولون لمخازن السلاح و غيرها .
5- **شهادات الوفيات** للأطفال المتوفين في بو ، مقدمة من رئيس بلدية بو.
6- **ملف خاص بمراسلات الأمير عبد القادر بالأب رابيون .**

و غيرها من الوثائق التي سيتم إدراجها في قائمة الملاحق و يمكن العودة إليها حينها .

كما اعتمدنا على بعض المصادر الفرنسية نذكر منها:

1 - Emile GIRARDIN, Question de mon temps:1835-1856
وقد اعتمدنا عليه في التعرف على مواقف بعض الصحف الفرنسية من اعتقال الأمير عبد القادر كما ساعدنا في التعرف على موقف بعض نواب البرلمان حول الخديعة التي تعرض لها الأمير عبد القادر و مرافقيه ، و رغم عدم حيادية هذا المؤرخ في كتابته لهذه المرحلة إلا أننا استطعنا أن نعتمد عليه في الكتابة و حاولنا أن نتجاوز بعض العبارات و التفاسير .

2- François GUIZOT, Histoire parlementaire de France, recueil complet des discours prononcés dans les Chambres de 1819-1848
أمدنا بمعلومات قيمة حول الحوارات التي جرت في مجلس النواب، و الشيوخ، حول قضية الأمير عبد القادر، و المواقف المختلفة بين المؤيدين لإطلاق سراحه و المعارضين و هم الأغلبية.

3- Louis BLANC, Révolution Française : Histoire de dix ans 1830-1840
اعتمدنا عليه في التعرف على الظروف السياسية و الاجتماعية الداخلية في فرنسا و التي كان الأمير عبد القادر ضحية هذه التحولات و التي زادت من حدة اعتقاله و المساس بحقوقه المدنية ، و السياسية .

4- DUPUSH, Abdelkader au château d'Amboise, 1852.
هذا الكتاب أيضا مهم اعتمدنا عليه ليس اعتمادا كليا و إنما جزئيا في بعض المواضع من هذه الدراسة ، باعتباره قد زار الأمير عبد القادر عدة مرات في معتقل بو و امبواز و جمعت بينهما حوارات دينية .

5- NAPOLEON, Discours et messages de Louis Napoléon Bonaparte
اعتمدنا عليه في التعرف على الزيارة التي قام بها نابليون لقصر امبواز و إعلانه لإطلاق سراح الأمير عبد القادر و عائلته و رفاقه .

6- Jules LOISELEUR, Les résidences royales de la Loire
أمدنا بمعلومات مفيدة حول قصر امبواز الذي حول إلى معتقل أثناء اعتقال عبد القادر ، و ان الدولة اهتمت بمصاريف ترميمه بعد عقد صفقة مع منزل اورليان الوصية على القصر ليحول إلى معتقل للأمير عبد القادر و أطفاله و نسائه .

أما المصادر باللغة العربية ، فلم نعتمد كثيرا على مصادر بالعربية في إطار الدراسة قيد الانجاز ، أي في معالجة الإشكالية المطروحة نظرا لعدم معالجتها

الموضوع بشكله المطروق ، و إنما اعتمدنا في غالبية الأحيان على المصادر العربية في تحليلنا للفصل الأول و نذكر بالخصوص :
الأرشيف التونسي: و الذي اعتمدنا عليه في التعرف على الموقف التونسي من المقاومة الشعبية خاصة في مرحلة احتضار جيش المقاومة سنة 1847.

كما اعتمدنا على بعض الكتب بالانجليزية و الأهم منها كتاب حديث لسنة 2008 ، لمؤلفه John KISER, Commander of the faithful,
و نظرا لان الكتاب بالانجليزية و لوجود بعض الصعوبات في ترجمته الترجمة التي يستحقها خصوصا و انه توفر لدينا ليس على شكل مطبوع و إنما كمخطوط ،إلا أننا اعتمدنا عليه في الكثير من مواضع الدراسة .

إلى جانب هذه المراجع هناك كتب أخرى تضاهيها أهمية إلا أننا لا يسعنا ذكرها هنا جميعا و سيتم إظهارها في قائمة البيبليوغرافيا النهائية .

كما أن الدراسة لا تخلو في الكثير من مواضعها من الاعتماد على بعض المجلات نذكر على وجه الخصوص: LE MONITEUR و Le TOULONNAIS

هذه المصادر أو المراجع في مجملها تناولت تاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر، لذا فيمكننا تقسيمها إلى قسمين:
– كتب أرخت لتاريخ الجزائر إما انطلاقا من نزعة وطنية تبرز الوحدة و الائتلاف مهمشة الصراع و الاختلاف .
– و كتب أرخت لتاريخ الجزائر انطلاقا من نزعة لا وطنية، كتبها مؤرخون فرنسيون واقعون بصفة أو بأخرى تحت ضغط الفكر الاستعماري المستند إلى المركزية الأوروبية ،و حاولت صياغة ما تراه مناسبا من تزييف و تحريف للحقيقة التاريخية حول الأمير عبد القادر ، خصوصا بعد رفضه للإغراءات و ظل يطالب بالمحاكمة العادلة .

و للأسف فنحن كباحثين مبتدئين– لا نملك الأرشيف – لا سبيل لنا لكتابة التاريخ الجزائري إلا هذه المصادر الفرنسية ، و هذا ما جعلنا نقع في تناقضات كثيرة ،و نطرح إشكاليات يصعب علينا الحصول على الحقيقة التاريخية حولها ، لعدم وجود كتابات عربية و جزائرية على وجه الخصوص حولها سوى ما أعيدت كتابته من الكتب الفرنسية ، و هكذا فلا مجال لنا في هذا المستوى سوى طرح الإشكاليات هذه و سنعود إليها مستقبلا بدليل و إثبات إما لدحضها أو إثباتها .

و مهما يكن من أمر و مهما كانت النتائج المتوصل إليها إلا أنها لم تضع حدا لتطور البحث ،و هي ليست نهائية ، إذ ما تزال الوثائق الكثيرة لم تستغل في

البحث ، و هذا ما يقودنا إلى القول أن البحث في مثل هذه المواضيع من تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر لا سيما منه تاريخ الأمير عبد القادر يحتاج إلى مجهودات كبيرة اعتمادا على المادة الخام و المتمثلة في الأرشيف .

و خلال هذا البحث و الاتصالات التي قمنا بها اكتشفنا أن أرشيف الأمير عبد القادر سري نظرا لان هذه الفترة غير مشرفة لفرنسا إطلاقا لان اعتقال الأمير عبد القادر يظهر الحنث الفرنسي على التعهد، و لهذا لم يهتم المؤرخون بها.

و من دون أدنى شك محاولة البحث في مثل هذه المواضيع ، لا يخلو من صعوبة خصوصا في هذا المستوى الذي لا نستطيع السفر إلى مقر الأرشيف بفرنسا ، لا سيما و إن كان الموضوع يرتكز أساسا على المادة الأرشيفية ، لذلك فقد واجهتني صعوبة نقص المادة التي تخدم الدراسة قيد الانجاز لا سيما المادة الأرشيفية ، و هذا ما صعب الدراسة نوعا ما ، فقد اعتمدنا على بعض الوثائق الأرشيفية ، فعلا لكن على حسب رأي فهي غير كافية للتعرف على حقيقة هذه الفترة التاريخية من حياة الأمير عبد القادر ، لا سيما منها اعتقاله بامبواز و التي لم تأخذ كفايتها من الدراسة و التحليل . و هذا ما سنحاول تغطيته إنشاء الله في الدراسات العليا – الدكتوراه –

2- صعوبة قراءة الوثائق الأرشيفية، للخط القديم و هذا ما استدعى اللجوء إلى الوالد حفظه الله و رعاه، و قد استدعى ذلك وقتا إضافيا مراعاة لعمل الوالد ووقته.

3- و محاولة منا إيجاد ما هو جديد حول مسالة الانتخاب ، اتصلنا ببعض الأشخاص المقيمين بفرنسا طرحنا عليهم الإشكالية ، وطلبنا منهم الدخول إلى البلدية و قراءة أسماء المسجلين في الانتخابات في تلك الفترة ، لكننا لم نفلح في هذا المجال ،و قد وجدوا صعوبات كبيرة دون نتيجة .

4- رغم جهودنا الكبيرة في الحفاظ على توازن الفصول ، إلا أننا لم نستطع تحقيق ذلك مع الفصل الأول ، و ذلك نظرا لطول الفترة المدروسة أي من 1832-1847 ، و نظرا لضرورة المرور على كل إحداثيات الفترة الزمنية المذكورة ، و للوصول إلى ظروف و دوافع نهاية المقاومة كان لا بد لنا للتعرف على الأمير عبد القادر و ظروف بيعته و مشروعه الرامي إلى إنشاء دولة جزائرية حديثة ، و التعرف على المحاولات الفرنسية لإجهاض هذا المشروع ، كل هذا أدى بان يكون الفصل كبير من حيث الكم إذا ما قورن بالفصول الأخرى .

5- صعوبة الترجمة الدقيقة من الفرنسية إلى العربية أو من الانجليزية إلى العربية ، رغم ذلك حاولنا قدر المستطاع استنباط المعنى على وجه التقريب وفق ما يتلاءم و يخدم الدراسة قيد الانجاز .

6-و الصعوبة الأخيرة و هي حصولي على الوثائق الأرشيفية بدون رقـــم ممـــا اضطرني لكسب المزيد من الوقت للاتصال من جديد بالمصادر المعنية لإعـــادة التأكد من رموزها ، و لا يسعني إلا وضع الثقة فيهم ، لأنه لا يمكني التعـــرف على صحتها بنفسي لصعوبة التنقل إلى مقر الأرشيفات في فرنسا .

لقد كان احتلال مدينة الجزائر سنة 1830 مؤشرا لبداية التحدي الذي هز الجزائريين فعلا ممثلا في مقاومة الأمير عبد القادر (1832 ، 1852). وفي الوقت الذي تحولت فيه حياته الى موضوع شامل يتداوله العام و الخاص ، فرض علينا في الواقع أن نتناول هذه الشخصية من خلال حلقة أوسع واطر اشمل لا تهتم بخصوصياته فقط ، وإنما بمشاريعه لاسيما منها المشروع الرامي الى بناء دولة جزائرية حديثة ، تكون مؤهلة لمواجهة الآلة الاستعمارية الفرنسية عن طريق محورين أساسيين :

أولهما : تنظيم سلطته داخل الجماعة وتوفير مكونات هذا التنظيم وذلك عن طريق : التمثيل السياسي واليات تحقيقه أي كيف انه حاول إيجاد منهج سياسي محدد وموحد لإحداث ذلك التناغم بين الحياة الاجتماعية المفككة ،و الخطاب السياسي .

كيفية تحقيق بعض او جزء من الارادة العامة : معناه كيف حاول تحقيق الارادة العامة في ممارسة السلطة وسير مؤسسات الدولة ، و التي تكب مباشرة في طبائع العمران البشري وهي الثلاثية المعروفة التنظيم ، سلم القيم و التراتب ، الفكر .

ثانيهما: علاقة المجتمع وسلطته السياسية بمحيطه الخارجي .

ووفقا لهذه المبادئ المذكورة سوف نتبع هذه المسيرة بكل اختصار لنصل في الأخير إلى نهاية المشروع الجزائري القائم على تكوين دولة جزائرية حديثة و عصرية بقيادة الأمير عبد القادر ، ولنتعرف أيضا على الدوافع الحقيقية التي أدت إلى زوال الدولة الجزائرية رغم استمراريتها لمدة 15 سنة .

I- شرعية الدفاع الوطني و انتهاج المقاومة الشعبية بقيادة الأميرعبد القادر :

I-1 انتهاء المفهوم السيادي للحكومة الجزائرية 1830 وظهور مبدأ الاعتماد على النفس:

لقد كان احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 ، ممهدا له منذ البداية أي منذ خطة بوتان 1827 وذلك لكي تخفي خيبتها في أمريكا لذلك لم يكن أمامها سوى التوجه نحو افريقية و التي تمثل مجالها الحيوي ، وتمثل الجزائر فيها مفتاح القبة **la clé de voûte** .

فحدث اذا الاحتلال سنة 1830 لعدة أسباب لا يسعنا هنا ذكرها لأنه ليس موضوعنا ، ولكن و بعدما وقع ما وقع استكان الداي حسين بسرعة وان صح القول بدون مقاومة للشروط الفرنسية وسلم مفاتيح الجزائر بعدما وقع على المعاهدة التي إن تبصرنا فيها و حللناها لوجدناها تخدم المصالح الشخصية الخاصة به وما يحمي ثروته .

ولهذا فقد اعتبرت فرنسا نفسها منذ ذلك الحين صاحبة السيادة السياسية المطلقة في الجزائر بعد خروج الأتراك وزوالهم القانوني من الجزائر، معناه ان الجزائر ملك لفرنسا منذ 05 جويلية 1830 .

ومن هذا المنطلق سعت الإدارة الفرنسية إلى التعجيل بعملية استيطانية على حساب الأهالي الذين جردت معظمهم من أراضيهم و أحلت محلهم جالية فرنسية ، وشجعت قدومهم بمجموعة من التسهيلات و الإغراءات دعمت بها غرس المستعمرات في الأراضي الجزائرية،و الغرض من كل ذلك نشر قواتها و قانونها و سيادتها ، و الأهم من ذلك هو الحصول على القاعدة المادية لها ،و بالتالي تفتيت القبائل عن طريق مصادرة أراضيهم للقضاء على الثقل الاجتماعي و الثقافي و السياسي للزاوية في الريف الجزائري لغرض تطويق المقاومة .

إن معاهدة 05 جويلية 1830 كشفت فعليا عن هشاشة النظام السياسي العثماني ، وتركت فراغا سياسيا ، كما بينت مدى ضعف الدولة العثمانية في الدفاع عن الجزائر ، من خلال التوقيع على معاهدة 05 جويلية 1830

و أمام هذا الزوال القانوني للعثمانيين من الجزائر عمت الفوضى كافة أنحاء مقاطعة وهران بعدما تراجع الباي حسين عن مواجهة الفرنسيين ، و سرعان ما دخل في مفاوضات مع السلطات الاستعمارية وأذعن بالطاعة و الاستسلام لها [1] مقابل السماح له بالانسحاب واخذ ما له من أثاث و مصوغات...الخ.

وأمام هذا الوضع اجتمع في ضواحي معسكر، زعماء قبائل بني هاشم، بني عامر[2] و البرجية[3] وتقرر بموجبه إسناد القيادة إلى الشيخ محي الدين [4] لمحاربة الفرنسيين الذي كان يتمتع بالقوة الوطنية و الدافع الديني ،وهذا ما جعله رغم كبر سنه يقود معارك ضارية في مواجهة القوات الفرنسية هذه المعارك كتب عنها التاريخ كثيرا منها خنق النطاح الأولى و الثانية ورأس العين وسانت اوندري ...

(1)– Tayeb CHENTOUF, L'Algérie politique (1830-1954) , O.P.U, Alger,2003, p16

(2)– هم مجموعة من الاهالي تضم 26 بطنا (حوالي 7315خيمة) موزعة على المناطق التي تشمل حاليا ولاية بلعباس و يضمون 5150 فارس و 4330 مشاة ، هاجروا الى المغرب بعدما ضعفت قوة الأمير و بعدما قرروا العودة الى صف المقاومة فأبادهم سلطان المغرب .انظر :

Robert THINTHOIN, Colonisation et évolution des genres de vie dans la région Ouest d' Oran 1830-1885, Paris, 1943, pp113-130

للمزيد من التفاصيل حول قبيلة بني عامر انظر :

1- TCHIHATCHEF, Espagne, Algérie, et Tunisie: Lettre à Michel Chevalier, L.B.F , Paris 1880, pp82-235

2- C .CARTERON; Voyage en Algérie : tous les usages des arabes; leur vie intime et Extérieur, ainsi que celle des Européens dans la colonie, J.H.L, Paris, 1866

(3)– هي قبيلة تقيم على بضع كيلومترات جنوب معسكر عند سفح جبل سيدي بالقاسم .انظر :

محمد العربي الزبيري ، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1982، ص 38

(4)–ولد بوادي الحمام عام 1190ه (1776-1777م) ،و درس على يد ابيه و مريدو الطريقة القادرية ، و اشتهر بالصلاح و سداد الرأي و غزارة العلم و المعرفة و هو محي الدين بن مصطفى بن المختار الحسني الراشدي الغريسي تزوج من أربع نساء رزق منهن بستة أولاد : محمد السعيد و مصطفى من اولى زوجاته ، الحسين من فاطمة بنت سيدي دحو ، عبد القادر وشقيقته خديجة التي تزوجت مصطفى بن طاهر من زوجته الثالثة زهرة بنت سيدي عمر بن دوبة ، اما سيدي مرتضى فمن الاخيرة خيرة و عبد القادر هو الابن الرابع لمحي الدين من زوجته الزهرة و له أربعة إخوة : مصطفى ، محي الدين ، علي ابو طالب ، محمد السعيد وتوفي سنة 1833في نوفمبر .انظر :

Clara Filleul de PETIGNY, L'Algérie, F.A.F, Paris, 1859, p221

كانت معركة خنق النطاح الأولى من 07 الى 17 ابريل 1832 وقاد هذه المعركة الشيخ محي الدين ، وقد شارك عبد القادر[5] كمقاتل عادي في هذه المجابهة ، يدافع بحماس و يقاتل تحت إمرة والده [6] ، كما شارك في معركة خنق النطاح الثانية أواسط جوان حتى أواخر أوت 1832 و التي كان عبد القادر الشاب هو قائدها بدل والده ، وأبدى خلالها شجاعة، و حنكة في القتال، وقد اظهر فيها المجاهدون شجاعة ، وتفوقا، وكان من ضحاياها: ابن أخ الأمير عبد القادر أي ابن محمد السعيد[7]

كما نلمس مشاركته في معركة رأس العين و سانت اوندري 03 ، 04 ، و 05 ماي 1832 واظهر فيها المجاهدون غاية في الجهد و القوة[8] ومن خلال هذه المعارك فهم عبد القادر الشاب انه لا يمكن مقاومة دولة فرنسا الا بدولة لها سلطاتها وكيانها ، كما عرف بوجوب تكوين جيش وطني دائم منظم ومدرب على أحسن الطرق له ميزانيته الخاصة وهذا فعلا ما سيعمل على تحقيقه بعدما يحظى بالبيعة الخاصة 1832 و العامة 1833.

---

(5)–هو عبد القادر نصر الدين الابن الرابع للشيخ محي الدين ابن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن احمد المختار بن عبد القادر بن خدة بن احمد بن محمد بن عبد القوي بن علي بن احمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن احمد بن بشار بن احمد بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن احمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم . و لد في رجب 1222ه الموافق ل 26 ماي 1807 ، ببلدة القيطنة التي احتطها جده بايالة وهران ، ووالدته فاطمة الزهراء ، و كانت القيطنة تتمركز على حدود واد الحمام بجوار بوحنيفية في مقاطعة غريس ، في مدينة معسكر.عاش طفولته في مقر أسرته حيث تلقى مبادئ العلم الأولية ، حفظ القران الكريم و هو في سن مبكرة ، وتلقى تعليمه الاول في وهران ، زار الحج مع موالد و عاد الى ارض الوطن اين كان رافضا لتعامل السلطة العثمانية مع الأهالي . انظر :

- Département des Archives de la ville d'Amboise, H140/19 : Lettre de l'Emir Abdelkader a Mme Maurice LEFOUR, 1853.

الملحق رقم 01

(6)–أديب حرب ، التاريخ الاداري و العسكري للامير عبد القادر 1808-1847 ، ج1، ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص 81.

(7)–بديعة الحسني ، و ما بدلوا تبديلا : تفاصيل دقيقة عن حياة الأمير عبد القادر وجهاده و هجرته إلى الشام ، ، دار الفكر العربي، بيروت، 2002، ص20

(8)– De MARTIMPREY, Souvenirs d'un officier d'état major; histoire de l'établissement de la domination Française dans la province d'Oran 1830-1847, M.Q, PARIS, 1886, p5

و من خلال الجدول التالي[9] سوف نلخص لأهم المعارك التي خاضها الشيخ محي الدين و ابنه عبد القادر في بداية الجهاد ضد الفرنسيين.

أسماء المعارك التي خاضها الشيخ محي الدين	الإطار الزماني للمعارك الأولى	قائد المعركة
معركة خنق النطاح الاولى	07 – 17 افريل 1832 .	الشيخ محي الدين .
معركة رأس العين و سانت اوندري .	03 – 04 – 05 – 06 ماي 1832	الشيخ محي الدين .
معركة خنق النطاح الثانية	أواسط جوان – 31 أوت 1832	عبد القادر بن محي الدين .
معركة وهران مزغران	19 سبتمبر – 23 أكتوبر 1832	الشيخ محي الدين .
معركة سيدي شبال	10 نوفمبر 1832	الشيخ محي الدين و عبد القادر .

الجدول رقم 01 .

I – 2 – المرجعية الشرعية للأمير عبد القادر :

إن موضوع البيعة هو من أهم المواضيع على الإطلاق، وذلك للأهمية البالغة التي منحتها البيعة لعبد القادر و التي تعتبر كقاعدة أساسية منحته الصفة الشرعية في التعامل مع الفرنسيين باسم الشعب الجزائري ما عدى بعض القبائل الممتنعة عن بيعته.

نتيجة للفراغ السياسي الخطير الذي نجم عن الزوال القانوني للدولة التركية من الجزائر يوم 05 جويلية 1830 [10] فقد ألقى البلاد في أحضان المجهول ، و أصبحت في وضعية جد مضطربة بحيث أدى الوجود الفرنسي إلى اختلال الأمن و انقطاع كل سبل الخلاص و انتشار السلب و النهب التي عمدت عصابات قطاع الطرق إلى الاستفادة من حالة الفوضى التي أعقبت الانهيار الكامل لمؤسسات الإدارة بها .

---

(9) – Paul Azan, l'émir Abdelkader 1808 – 1883: du fanatisme musulman au patriotisme français, L.H, Alger, 1923. p 11

(10) –للتعرف على بنود المعاهدة العودة الى : احمد عزت عبد الكريم ،دراسات في تاريخ العرب الحديث ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، بيروت،1970، ص410

ولقد أصبح الخطر ظاهرا عندما بدأت القوات الفرنسية المتحصنة بمدينة وهران تغير على السكان المقيمين بجوارها لتقتل منهم و تسلب أرزاقهم ، وانتشرت بهذه الممارسات حالة من الخوف و عدم الاطمئنان و الشعور بالخطر المحدق بهم ولهذا وجبت ضرورة تعبئة الطاقات لمجابهة العدو و التصدي له بحزم وفعالية من جهة أخرى .

وأمام هذا الوضع طلب سكان غريس من الشيخ محي الدين ، ان يقودهم نحو الدفاع المشترك و اختاروه للإمامة لصلاحه في دينه و خوفه من ربه[11] لكنه رفض البيعة لأنه عرف بصعوبة مواصلة الجهاد خصوصا و انه شيخا طاعنا في السن، كما كان يؤمن بقيادة الشباب و لان كل حركة محسوبة عليه في المعارك ، فعرض عليهم إن يبايعوا ابنه عبد القادر لما أظهره من شجاعة في معاركه الأولى [12]

جرت هذه البيعة بكتائب صدرت من علماء غريس ، و خاصة فضلاء تلك الجهات و بحضور القاضي و المفتي في 27 نوفمبر 1832 [13] وذلك تحت شجرة الدر درة الموجودة بوادي فروحة .

لقد كان نص البيعة متضمنا الخطوط الأولى للبرنامج العريض المطلوب من الأمير عبد القادر أن يعمل على تحقيقه ، وفي مقدمتها توحيد صف القبائل لنصرة دين الله ، وخاصة ان العدو قد تمركز في عاصمة بايلك الغرب الجزائري ، ومد يده الى أملاك الأهالي تمهيدا للاستعمار الكلي ، وتأتي بالدرجة الثانية مسالة تقويم النظام و العمل على استمرار و استتباب الأمن و صيانة النفوس و الأموال من اجل البغي و الفساد الذين تكاثر عددهم لعدم وجود السلطة بعد سقوط الجزائر .

---

(11)– عبد المنعم القاسمي ، الأمير عبد القادر من خلال مخطوط نادر لابو حامد العربي المشرفي : ذخيرة الأواخر و الأوائل فيما ينتظم من أخبار الدول ، الملتقى الدولي الخاص بالأمير عبد القادر ، الجزائر ، ماي 2005 ص09

(12)–محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق: علي الشنوفي ،الشركة التونسية للتوزيع،، الجزائر ،1978 ، ص181

(13)–المرجع نفسه، الصفحة نفسها

وإذا ما قارنا بين بيعة الأمير عبد القادر وبيعة أهل أمية في التاريخ الإسلامي لوجدنا ان بيعة بني أمية لم تكن تمثل سوى طقسا احتفاليا و إجراءا شكليا خال من كل واجبات التعليل ومقتضيات الشرع ، ولقد كان للتسلل الوراثي قد أراح الناس من أهوال الانتقال ، وصعوبة التراضي بين أهل الحل و العقد ، في حين ان بيعة عبد القادر كانت ذات قاعدة سياسية و التي أدت إلى انتشار المؤسسات الجهادية وكما منحت الأمير الصفة الشرعية السياسية لرفع راية الدفاع الشرعي عن الوطن .

لقد اختير الأمير عبد القادر دون غيره لأنه كان مدركا لمقتضيات العصر وما تحتاجه البلاد فعلا بوجود الاستعمار ، وفي وسط تسوده العصبيات القاتلة و المنهج السياسي الاستبدادي و التعسفي بالمنطقة (كجباية الضرائب بالقوة ، انحطاط المستوى الثقافي و الانفراد بالحكم) ،و في عالم انتشرت فيه الروحانيات القاتلة و الأسطورية ، الأمير عبد القادر عن طريق البيعة و جهاده و مظهره الإنساني و صورته المعرفية تحول تفكيره من أمير جهاد الى مفكر عن منهج سياسي ، بمعنى انه كان يعطي الأولوية للجهاد إلى جانب الشجاعة و حسن التسيير و التدبير و الذي ظهر جليا في معركة حنق النطاح .و يظهر ذلك جليا من خلال تولية خلفائه بحيث عين من كل منطقة خليفة له من نفس المنطقة أي انه لم يكن جهويا وكل ذلك مبني على مقاييس علمية و موضوعية و كذا الرشد السياسي و الفكري .

و بناءا عليه فقد كان اختياره للقب الأمير ليس لسبب ما يدرس في المؤسسات التعليمة او لما يروج في أذهان البعض من أن ذلك كان مراعاة للسلطان المغربي وإنما ذلك راجعا الى التراثية الإسلامية [14] و الذي له دلالة أقوى من السلطان الذي يتمتع بقصور و ملابس فاخرة و البذخ الدنيوي .

[14]–مجلة المجلس الإسلامي الأعلى ، العدد الأول ، الجزائر ، 1998، ص ص 218-219

كما أن لقب الأمير كان يتوافق و المرحلة التاريخية التي كانت الجزائر تمر بها آنذاك ، و هي الجهاد ، و بالتالي يكون للأمير كامل الصلاحيات و الحرية المطلقة في بناء أجهزة الدولة ، و الوصول بها إلى أقصى نقطة من التقدم ،و انتقاء خيرة العناصر من الوطن ، وإسناد المناصب لها وفقا لمبدأ الرجل المناسب في المكان المناسب . و هكذا فقد كانت البيعة ذات إرادة وطنية وشعبية و شرعية و قانونية بحضور المفتي و قاضي القضاة .

و لقد قاد الأمير عبد القادر مقاومة الدفاع الشرعي و التي أحلها القانون الدولي الآن في المادة 51 من الميثاق [15] و الذي يرتكز على الأسس التالية:
– وجود ضرورة آنية و عاجلة لا تسمح باختيار وسائل أخرى غير الدفاع عن النفس ، و هذا ما نجده فعلا قد حصل مع الأمير عبد القادر، و بالتالي فدفاعه مشروعا قانونا و لا يمكن أن ينكره احد [16].

---

(15)–و التي تنص على انه ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص من الحق الطبيعي للدول فرادى أو جماعات في الدفاع عن النفس .

(16)– يقول النووي : تنعقد الإمامة بالبيعة و الأصح بيعة اهل الحل و العقد الذين تيسر اجتماعهم.
كما قال ابن حزم أنهم فضلاء الأمة ،وهكذا جرت أقوال العلماء في أن الخلافة تنعقد ببيعة أهل احل والعقد و يشترط فيها :– العدالة بكل شروطها
– العلم الذي يتوصل به الى المعرفة من يستحق الامامة بالشروط المعبر عنها
– الرأي و الحكمة المؤديان إلى اختيار من هو أصلح للامامة و بتدبير المصالح أقوم و اعرف.
و قد اختلفت الآراء حول العدد الذي تنعقد به الخلافة ، و الرأي الراجح هو ان يقوم الانتخاب بجمع يتحقق بهم النصب ، له رضى المسلمين ، وعليه فان البيعة تتم بأكثر الممثلين ، لأكثر الأمد ممن يدخلون تحت طاعة الخليفة الذي يراد انتخابه فبعد ان تتم بيعة الانعقاد بهذا الشكل يأتي دور بيعة الطاعة .انظر : محمود ألخالدي، البيعة في الفكر السياسي الإسلامي، مكتبة الرسالة الحديثة ، الجزائر ، 1988، ص ص 133-146.
ومن النصوص التي وقفنا عليها حول بيعة الامير عبد القادر علة سبيل المثال : الحمد لله الذي جعل نصب الامام من مهمات الدين لتصان به النفوس و الاموال و تجمع كلمة المسلمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و اله و صحبه اجمعين و بعد : فما وجدوا من تتفق عليه كلمة اهل احل و العقد سوى محي الدين بن مصطفى المختار فله على الدين اعوان و انصار ، فطلبوا منه ان يبايعوه على السمع و الطاعة فاعتذر منهم فاتاه بعض اهل غريس و قالوا له ان اولياء الله اتفقوا على نصب ولده الحاج عبد القادر خليفة له لنصرة دين الله ، فوافقهم على نصرته لكونه ذا حزم و شجاعة و اقدام . انظر : محمد السنوسي ، المرجع السابق ، ص 182

و الجدول الأتي [17]. يوضح الإطار الزماني و المكاني لبيعة الأمير عبد القادر الجزائري

الاطار الزماني لبيعة عبد القادر اميرا	الاطار المكاني الذي تمت فيه البيعة	شروطها
27 فبراير 1832 04فبراير 1833	بوادي فروحة في غريس بولاية معسكر و هي بيعة الانعقاد بمسجد المبايعة بمعسكر بيعة الطاعة او العامة	الشجاعة و حسن التدبير و التسيير و الرشد الفكري و السياسي الاولوية للجهاد ووجود الرضا و الاختيار و الشعور بالانتماء

الجدول رقم 02 .

و بالتالي فتدخل الأمير عبد القادر عن طريق البيعة و رفع راية الدفاع الشرعي قد غير معطيات العقد العثماني الفرنسي و اوجد واقع جديد و هو واقع الشعب الجزائري على أساس انه الفاعل و العامل بحيث بانتهاجه استراتيجة الحرب الشعبية و التي سنأتي على تفسيرها حينها انقض الشعب الجزائري من الإبادة التامة و الجماعية كما حدث قبلا في أمريكا الشمالية و الجنوبية أين أبيدت الشعوب الأصلية و حلت محلها جالية جديدة ،كما جند الجزائريين للمقاومة و الصمود ضد الغزو الأجنبي بدل الهجرة التي تحدثت عنها بديعة الحسني لأنه لو أراد الهجرة لفعل ذلك مسبقا ولما واصل جهاده و كفاحه 17سنة متتالية دون ان يترك حصانه ، بل قرر البقاء في الجزائر و الدفاع عن أرضه الى غاية ان خارت قواه نهائيا واجبر على وقف القتال لظروف سنأتي على تفسيرها حينها .

[17]–المعلومات مأخوذة من : احمد بن عبد الرحمن الشقراني ، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط ، تقديم : ناصر الدن سعيدوني ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1995 ، ص ص 15-20 . بتصرف

I-3- بناء مؤسسات الدولة الحديثة :

أول ما كان يؤرق الأمير عبد القادر الجزائري ،هو تلك الفجوة الكبيرة الموجودة في المجتمع الجزائري إذا ما قورن بالمجتمع الفرنسي ،و المتمثلة في النسيج الاجتماعي ، فالخاص بالفرنسي فقد كان نسيجا موحدا مشكلا من اليعاقبة الوطنيين و المركزيين ،خلافا للمجتمع الجزائري الذي كان منفصلا ولم يكن يحمل فكرة واحدة .

و الذي زاد في تدعيمها الوجود العثماني ، الذي لم يجد من الضروري توحيد القبائل ، وإنما انفردوا بالحكم وتركوا النسيج الاجتماعي على ما هو عليه و بالتالي فقد ورث الأمير عبد القادر ذلك الصراع و الحقد القبلي ، و أول ما أراد القيام به هو فتح الذهنيات على مشروع إعادة هيكلة البنية الاجتماعية القاعدية و الانتقال من حال القبلية الكلي إلى حال الأمة الشمولي الشعور بالوطنية و الانتماء وهذا ما سيقوض طاقته العسكرية فيما بعد 1847 .

لقد كان ظهور الأمير عبد القادر على مسرح الإحداث، و توليه مقاليد الحكم في ظروف صعبة يعتبر كنقلة نوعية في ممارسة السلطة في تاريخ الجزائر، أساسها رغبة الشعب وقوامها اعتماد الأمير عبد القادر على تأييدهم والتفافهم حوله ، هذا ما يؤسس لقيام نظام حكم شرعي ، ويكون قاعدة لبناء دولة وطنية لا تقوم على الإكراه ولكن تستند إلى مبادئ العدل و التعاون بين الجميع ، وقد تم ذلك فعلا من خلال البيعتين الأولى 1832 – و الثانية 1833 .
هذه الأخيرة التي اتخذت طابعا وطنيا وصبغة شرعية لكونها شملت العديد من قبائل [18] المغرب الأوسط [19].

---

[18]– القبيلة هي كيان اجتماعي قام على رابطة الدم والقرابة و الولاء يسير باليات منظمة عرفيا و متوارثة عصبيا ، فسادة القبائل كانوا أهل سلطان لا ينازعهم فيه الا من حقق عصبية اقوي ، كان سيد القبيلة يأخذ من غنائم الحروب و الغارات ربعها ، الى جانب جملة من الامتيازات الأخرى ، و بالتالي فالقبيلة خلاصة مجموعة اجتماعية ، تاريخية ، ديناميكية ، مفتوحة على التغيير و التشعب يربط أعضاؤها أولا صلة الرحم والانتماء و القرابة ، وثانيا روابط الولاء و التضامن و القبيلة تخضع أعضاؤها منذ البداية الى ترسيخ الترابط معها و تفتح لهم آفاق التعايش وفق معايير متفق عليها مع القبائل الأخرى.

[19]–ناصر الدين سعيدوني ، عصر الامير عبد القادر ، الأمانة العامة لماجد الحكواتي ، الجزائر، 2000، ص ص 204-206

فبعدما بويع عبد القادر اميرا عمد الى توسيع مجال سلطته نحو تلمسان و المدية و مليانة (1832 – 1834)[20]، وامام هذه الانتصارات عزل الجنرال بواييه [21] وعين بدله ديميشال [22] (الذي وقع مع الأمير عبد القادر معاهدة في 28 فبراير 1834 ، وكانت كخطوة اولية لتنظيم الدولة و النهوض بمؤسساتها ، وتوزيع الخلفاء على المقاطعات .

فقد اتخذ من معسكر عاصمة له في بداية الجهاد ، وبدا يعمل على جمع الأموال كالزكاة و الأعشار للإنفاق على حركة الجهاد ، كما شكل مجلسا للشورى يتكون من 11 عضوا ، فخلال مرحلة الجهاد، لم يكن ينفرد بالقرارات المصيرية لوحده بل كان يستشير مجلس الدولة الشوري وكون جيشا الذي كان بحاجة إلى الأسلحة ، فهذا ما حتم عليه إذابة الحديد للصناعة الحربية واهتم بملابسهم و رواتبهم وكما قسم الجيش إلى خيالة و ومشاة ورجال مدفعية، و سن لهذا الجيش نظاما يتعلق بمأكلهم، ورواتبهم و شروط الترقية و غير ذلك [23] كما سك العملة المحمدية [24].

---

[20]–محفوظ سماتي ، العلاقات الخارجية امتداد لشرعية دولة الأمير عبد القادر ، أعمال ملتقى حول الأمير عبد القادر ، دار الحكمة، الجزائر، 1998، ص ص 131-135

[21]– بواييه: ولد ببلفور و عمل في مصر، ثم عمل تحت علم الجمهورية والإمبراطورية الفرنسية و اشترك في أهم معاركها ، كان عضوا في الجيش سنة 1795 ، و حارب بين صفوف جيش نابليون حول ضفاف النيل ن ثم ذهب إلى اسبانيا سنة 1810 ، كلف بعدها للحفاظ على الأمن و فرض الأمن في المقاطعة الغربية بالجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830 ، و استبدل بعد ذلك بالجنرال دبميشال و عاد بعدها إلى باريس و مات بتاريخ 1864 انظر : اديب حرب ، المرجع السابق ، ص ص 60 ، 61

[22]–ولد بدييني بفرنسا في 15 مارس 1779 ، و التحق بالجيش و بلغ رتبة جنرال لما عين قائد بمقاطعة وهران 1833-1835 ، في بداية قيادته حاول الاعتماد على القوة لغزو القبائل و المدن المجاورة لوهران ، و توفي بباريس في 08 جوان 1845 انظر : عبد القادر الجزائري ، مذكرات الامير عبد القادر ، تحقيق: محمد الصغير بناني ، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر، 1995، ص 117

[23]–قدور بن رويلة ، وشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب ة يليه ديوان العسكر المحمدي المليانى ، تحقيق: محمد بن عبد الكريم ن الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1986، صص5-20 بتصرف

[24]–منير بوشناقي سكة الأمير عبد القادر: 1836-1841 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1976، ص ص 20-30 بتصرف

وبينما كان الحكم العثماني يتسم بالنزعة و الحكم الانفرادي الذي يستمد نفوذه من الطبقة العسكرية، في المقابل كان حكم الأمير يستمد شرعيته من المشاركة الشعبية ، بل اتسم حكمة بالسمة الديمقراطية و القيادة الرشيدة [25] ، و بالتالي فقد وضع الأمير اللبنات الأولى للدولة فانشأ تنظيما إداريا محكما يقوم على نظام المقاطعات [26] كما أنشا مخازن كبيرة في تلمسان وملیانة و المدية وتاكدمت ، وعين وكلاءه في وهران ومستغانم [27] وأرسل مبعوثين إلى الجزائر لجلب أوروبيين من اجل تدريب الجيش على استخدام الأسلحة .

و هكذا فقد حصل على سلطة واسعة في مختلف المناطق التي كانت تحت سيطرته، ما عدا محمد التيجاني [28] في حصن عين ماضي [29] .

---

[25]–اوصديق فوزي، الوسيط في النظم السياسية و القانون الدستوري : دراسة مقارنة ، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2000، ص12

[26]–فهي عبارة عن 08 مقاطعات على راس كل منها خليفة مهمتهم الرئيسية العمل على اختراع الاجهزة الاجتماعية و التقليدية و تحقيق الوحدة الضرورية لمواصلة الحرب ، فتلمسان عين عليها : محمد البوحميدي الولهاصي ، ومعسكر عين عليها المصطفى بن تهامي ، و لما امتدت سلطته الى ما وراء واد الشلف جعل من ملیانة مقاطعة ثالثة وولي عليها بن علال القليعي ، و لما مات خلفه محمد بن علال و من هذه المقاطعات الثلاث مراسي تحصها ، مرفا رشقون ، معسكر مرفاارزيو، و ملیانة مرفا شرشال ن وعين محمد البركاني على المدية، و احمد الطيب بن سالم على برج حمزة – جرجرة–
وولي محمد بن عبد السلام خليفة على مجانة ، و عوض بعدها ب محمد الخروبي ، اما الجنوب الصحراوي ففيه مقاطعتان، مقاطعة الصحراء الغربية وولي عليها حسان بن عزوز بعدع فرحات بن سعيد ثم عوض بمحمد الصغير بن عبد الرحمن .انظر : الشقراني عبد الرحمن ، المصدر السابق ، ص 56

[27]–يوهان كارل بيرنت ، الامير عبد القادر ، ترجمة:ابو العيد دودو ، دار هومة، الجزائر، 1996، ص ص142،143

[28]–هو من اشراف المغرب انتقل مع والده احمد الى فاس الى بني توجين اصحاب تاهرت و تاكدمت ، اخوان بني زيان ملوك تلمسان و بني مرين ملوك المغرب الاقصى، ولما طال مقامه بين بني توجين نسب اليهم فقيل له التجيني .انظر : اديب حرب ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 25

[29]–هو واحة صحراوية ما بين الاغواط و ناحية عين ماضي ، تبعد 300كم جنوبي شرقي وهران صمم حصنها الدائري بن يقرب ايام العبيديين ، تعيش فيه عشر قبائل تعرف ببني عراش و التي بقيت بعيدة عن حروب الأمير عدد منازها 400منزل و شيدت وسط سور أنشا عليه31مركز مراقبة .انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

كما تمكن الأمير في فترة السلم من استرجاع مدينة تلمسان التي كان يسيطر عليها كافينياك [30]

لقد عمل الأمير على تقوية الجهاز المركزي على أسس تتجاوز مفهوم البنية القبلية إلى فكرة بناء دولة، تقوم على المؤسسات الكفيلة بإدماج السكان و المحافظة على مصالحهم ورعاية
شؤونهم [31] وعمم مطالب الدولة من خدمات وجباية على جماعات المخزن و الكراغلة الذين ألزمهم كغيرهم للمساهمة في المجهود الحربي [32] وعمل للقضاء على الرشوة و الاستبداد في
التعامل [33]

و بالتالي فان نظام العدالة مرتبط بالجهاز الإداري ، الأمر الذي جعل القضاة و موظفي الدولة تحت المراقبة المستمرة و المشددة ، وهذا ما سمح له لان يكسب تأييد العامة ومساندة الخاصة و أن يقر الأمن و الهدوء في أرجاء الدولة، و من أهم مؤسساته فك الشبكة من المصانع بالمدن و القواعد الداخلية التي أوجدها فأقام في تلمسان و مليانة مصهرة لجلب المدافع و لتحضير البارود [34] و أقام دار السكة في تاكدمت [35] .

كما احدث نظام تجنيد عام لتشكيل الدولة الجزائرية هذا الجيش يكون مستقرا من كل أبناء الشعب و لتحقق هذه الغاية احدث نظام أو مبدأ التطوع بالنسبة للأفراد القادرين على حمل السلاح من سن 15 –25 سنة ، مقابل مرتبات قارة و امتيازات محددة [36] .

---

(30)–ولد بباريس سنة 1802ن وعاش حوالي 55سنة ، و ارتقى الى رتبة ماريشال سنة 1844، ثم عين حاكما عاما للجزائر ووزيرا للحرب ، وعندما وقعت ثورة 1848 بفرنسا عين على إثرها رئيسا للحكومة التنفيذية المؤقتة لكنه هزم امام نابليون الثالث يوم 1848/12/10، انظر :
Librairie Ecclésiastique d'Adrien le clerc et Cie, L'Ami de la religion, Paris, 1845, p8-9

(31)– Adolphe DINESEN, Abdelkader et les relations entre les Français et les Arabes en Afrique du Nord, A.N.E.P, Alger, 2001, pp 76-77

(32)–ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 215

(33)–المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(34)– Abdelkader BOUTALEB, L'Emir Abdelkader et la formation de la nation Algérienne, E.D, Alger, 1990, pp111-112

(35)–للمزيد من المعلومات حول هذه النقطة العودة الى منير بوشناقي ، المرجع السابق ، ص77

(36)– مصطفى بن تهامي ، سيرة الأمير عبد القادر و جهاده ، تحقيق: يحي بوعزيز، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 1955، ص 135

وإذا كانت السنوات الأولى التي كللت بمعاهدة ديميشال 1834 / 14 / فبراير لغرض استكمال تنظيم الدولة ووضع الأسس الأولى ، فان الفترة التى تلت معاهدة التافنة 1837[37] هي الفترة الذهبية من التنظيم و التوسع و الإعداد .

فقد وضع القضاء و اوجد مجالس استئناف وكان حريصا على تطبيق العدالة بدقة وبدون تحيز [38] و بالتالي فقد بنى الدولة الجزائرية على قاعدة متينة ووطنية [39] واهم الأسس التي تم خلالها بناء الدولة الجزائرية الحديثة نذكر :

1/ – العمل على استئصال النظام القبلي الموروث من الأتراك و إنشاء حكومة مركزية قوية وبذلك حقق التسوية بين جميع الجزائريين أمام القانون .

2/ – كان حكم الأمير يعتمد على الأكفاء في التسيير ، فاختار رجالا نزهاء ذاع صيتهم وعرفوا بسلطتهم و تأثيرهم المعنوي و كان أولئك الموظفين مسئولين أمام عبد القادر ، وبذلك تجسيد لمقولة الرجل المناسب في المكان المناسب .

---

(37)– لمزيد من تفاصيل حول معاهدة التافنة انظر :

1- Emile GIRARDIN, Question de mon temps:1835-1856, , S.E, Paris, 1858
2- François GUIZOT, Mémoire pour servir l'histoire de mon temps. E.M.L.F, Paris, 1856
3-Louis BLANC, Révolution Française : Histoire de dix ans 1830-1840, E.P, Paris, 1846,
4-Abdelkader ALLOULA, Le miracle de la Tafna, E.N.L, Alger, 1989
5-Geo Fred de MARTINS, Nouveau recueil de traité d'alliance de paix de trêve de neutralité, de commerce, de limites d'échange etc.… Et de plusieurs autres actes, servant à la connaissance des relations Étrangères depuis 1808-a nos jours 1830-1838, L.D, Paris, 1840
6- Annale de propagation de la foi, E.P, Paris, 1841

(38)–محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، مكتبة دار الشرق، بيروت، دس، ص 245

(39)–Mahfoud SMATI , Les élites algériennes sous la colonisation ,T1, E.D, Alger, 1998,p34

I-4- سلطات الدولة :

تحتوي أي دولة على ثلاث سلطات فللدولة الجزائرية أيضا كمثيلاتها من الدول الأخرى فقد تميزت بثلاث سلطات : تشريعية ، تنفيذية ، قضائية [40]

فالسلطة التنفيذية : تميزت بإدارة الأمير عبد القادر فجميع القرارات الإدارية الهامة كانت تصدر من الأمير ثم تعرض على مجلس الشورى للتداول ومنها توجه للتنفيذ .

أما **السلطة القضائية** :فقد كان على رأس كل دائرة قاضيا عالما يفصل في القضايا الشرعية على مذهب الإمام مالك، و ربط إدارة هؤلاء القضاة و رئيس مجلسه الخاص الذي سماه قاضي القضاة,و بالتالي كان الأمير عبد القادر يتمتع بصلاحيات واسعة.

أما **السلطة التشريعية** : لقد كان على أساس التنظيم الدستوري [41] المبتكر لدولة الأمير يستند إلى الطابع الشوري بتوسيع رقعة المشورة حتى من الخارج لدى بعض علماء المغرب الأقصى كالتسولي مثلا استفتاه الأمير في العديد من القضايا ، أيضا بعض علماء الأزهر كما حاول تجسيد مبدأ ازدواجية السلطة التشريعية بإرساء مجالس استشارية على مستوى المقاطعات و بالتالي فان الدولة الجزائرية عرفت نظاما لامركزيا متطورا من حيث التسيير الإداري و المؤسساتي

كما حاول الأمير تجسيد مبدأ ازدواجية السلطة التشريعية، بإرساء مجالس إستشارية على مستوى المقاطعات ، و هذا ما دفع ببعض المؤرخين إلى القول بأن الدولة الجزائرية كانت دولة فدرالية.

---

(40)–البعض من الأنظمة المقارنة المعاصرة قد توسع هذه الدائرة للصحافة كاستثناء على القاعدة العامة ، فمن خلال ما يمكن الإجابة عليه تلك التساؤلات حول مرحلة من المراحل الهامة لتاريخ الدولة الجزائرية ، أهمها خصائصها العامة و تنظيمها الدستوري ، إن عهد الأمير عبد القادر كان محكما و ذلك بقصد مواجهة انعدام السلطة الذي كانت تشكو منه البلاد و القضاء على نظام الامتيازات الذي اعتمد في ظل الحكم العثماني .

(41)–من أهم الضمانات لخضوع الدولة للقانون هو الدستور ، اذ بالدستور نقيم النظام السياسي و القانوني ، فلا يجب ان تسن السلطة التشريعية قوانين تخالف الدستور ، كذلك السلطة القضائية التي تلتزم بمبدأ الشرعية حينما تصدر أحكامها فعلا ف سلطات الأمير انظر : اوصديق فوزي ، المرجع السابق ، 186.

و حسب رأي المتواضع فأرى بان هذا خطا منهجي يجب تداركه ، فالأجدر حسب اعتقادي أن يصحح هذا القول و ذلك بان الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر عرفت نظاما لامركزيا متطورا من حيث التسيير الإداري ، و المؤسساتي .

أما على مستوى المقاطعات فكانت توجد مجالس شورية سميت بدار الشورى لمناقشة القضايا المهمة .و بالتالي نلاحظ أن للمجلس الاستشاري العديد من الوظائف أهمها الوظيفة التشريعية و هي أصل قيام هذه المؤسسة إلى جانب وظائف أخرى كالمالية وإقرار الضرائب لمساعدة المجهود الحربي .

I -5- الأمير عبد القادر و الوطنية.

اعتادت الاهتمامات بالأمير عبد القادر تركز على شخصيته التاريخية كرجل تاريخي استطاع أن يقاوم اكبر قوة في عصره ، و لكنهم لا يهتمون كثيرا به كرجل فكر ساهم بشكل كبير في بناء نهضة عربية حديثة ، ليست وطنية فحسب بل قومية إسلامية .

لقد كانت رؤيته الحدودية تتجاوز الإقليمية ، بحيث استطاع أن يبلور أفكاره في مجموعة من القواعد ،و النظريات التي سيكون لها استمرار و تواصل ، وتظهر هذه الأفكار جليا في تنظيم دولته و عصرنتها في جميع الميادين الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية .

و في بداية عصره كان مقياس النهضة هو مجموعة التنظيمات التي تشتمل عليها كل امة و كل دولة ، و كان ذلك ما أحدثه الأمير عبد القادر فعليا سواء على المستوى ألتنظيري أو الممارسة [42]

و لذلك يعتبر من أوائل المفكرين و الساسة العرب والمسلمين الذين ساهموا في بناء و تأسيس النهضة العربية الحديثة .

[42]- إسماعيل زروخي ، مساهمة الأمير عبد القادر في النهضة العربية الحديثة ، الملتقى 26-27 نوفمبر ، الجزائر ، 1998 ، ص15

لقد كان للغرب التأثير الكبير على المفكرين المسلمين الذين حملوا لواء النهضة العربية في القرن التاسع عشر أمثال خير الدين التونسي و محمد عبده و الأفغاني ، و لكن فكرهم هذا جاء نتيجة احتكاكهم بالغرب ، غير أن الأمير عبد القادر لم يتأثر بهم و لم يحتك بهم ،لكن أفكاره كانت ذاتية تضاهي تلك التنظيمات التي كانت في الغرب،و التي كان يدعوا إليها المفكرون العرب ، و ذلك سواء على مستوى التنظير او الممارسة [43] .

و لقد كان الأمير عبد القادر يختلف عن غيره من المفكرين، لأنهم كانوا يدعون إلى التغيير بالارتكاز على القواعد الفكرية التي تبنوها، و التي لم تعبر عن واقعهم العربي، بقدر ما عبرت عن واقع المجتمعات الغربية.

بينما الأمير عبد القادر فقد نجح في تنظيماته لان فكره كان مستنبط من واقعه الذاتي،بخصوصية متميزة عن الواقع الغربي [44] .

و إذا كانت المبادئ العامة لنشوء النهضة الحديثة هي تلك المعاني التي أصبحت تعطي للوطن و الوطنية [45] ، فإننا نجد الأمير عبد القادر قد أعطى مفهوما للوطن و الوطنية، و الذي لم يكن يختلف كثيرا عما ذهب إليه ابن خلدون بحيث قال بمفهوم الوطن هو المكان الذي يتواجد فيه الإنسان " إذا انتسب إلى البلد ذهب قومه و تنوسيت أسلافه، فصار النسب مجهولا لا باحثا على حفظه و لا حامل على تعريفه " [46] .

---

[43] -اسماعيل زروخي ، المرجع السابق ، ص15-16

[44] - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[45] -الوطنية في مفهوم الامير عبد القار هي القوى المحاربة ضد العدو الاجنبي و بفضله تدعم التفكير الوطني الجزائري كما تدعم الفكر القومي العربي ، فقد بذل مجهوده من اجل توحيد القبائل المتنافرة و كون منهم دولة حديثة الاركان .انظر : ابو القاسم سعد الله ، ابحاث و اراء في تاريخ الجزائر ، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع ، الجزائر ،1981 ، ص 129.

[46] - إسماعيل زروخي ، المرجع السابق ، الصفحة نفسها

الم يكن هذا هو المعنى الوطني الذي بنيت عليه الدولة الحديثة ، الم تنشا الوطنية الحديثة من هذا المعنى " و من أسباب المحبة و الحنين حب من كان فيها من القرابة و الأحباب و تذاكرهم و تذكارهم عند تذكارها " هذا ما قاله الأمير عبد القادر عن معنى الوطنية التي تربط الإنسان بوطنه [47] .
إذن فقد تطورت الوطنية بسرعة كبيرة مع الأمير عبد القادر ، بحيث انه أول من اخرج الوطنية من ميدان النظري التي نادى بها حمدان خوجة ، إلى ميدان التطبيق .

إن أعظم ما يميز الأمير كانسان وطني هي روحه التقدمية و حبه للنظام ، فقد آمن إيمانا عميقا بضرورة تطوير وطنه،و كان يعرف جدا الهوة العميقة التي تفصل بينه و بين التقدم الحضاري [48] .
و أهم ما اشتهر به الأمير عبد القادر هو إعجابه بالتقدم الإنساني و أخذه بأسباب الحضارة الحديثة [49] .

كما كان متسامحا مع من خالفه في الدين ، وقد اشتهر بالمعاملة الإنسانية لأسرى الحرب[50] الذين كانوا يقعون في قبضته ، فكان يرفق بهم ويؤانسهم ، وكثير منهم فروا إليه بعد إطلاق سراحهم هذه بعض المواقف الشخصية و الوطنية و الدينية و القومية و الإنسانية للأمير، وهي مواقف جديرة بان تجعل منه مفخرة لوطنه و قومه .

ومن خلال ما تم عرضه فقد تمكن الأمير عبد القادر الجزائري من تأسيس حكم شرعي مقاوم ودولة جزائرية من أبناء الشعب الجزائري،و سيادة واسعة رغم بعض المعوقات وهو ابن 24 سنة في وقت عجز فيه النظام العثماني على تكوين رأي وطني جزائري موحد ، و السؤال المطروح هنا هو كيف تمكن من تحقيق هذه الغاية ؟

---

[47]- اسماعيل زروخي ، المرجع السابق ، ص16 .

[48]-المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[49]- للخروج من ذلك كون جيشا حديثا سلحه بأحدث الأسلحة ووضع على رأسه مدربين عصريين في الغالب من الاجانب كما اقام دعائم دولة حديثة .

[50]-اشتهر بالمعاملة الإنسانية للأسرى الحرب الذين كانوا يقعون في قبضته ، و هي من المواقف الجديرة بان تجعل منه رجلا هو مفخرة لوطنه و قومه.

الإجابة واضحة ، وهو انه كان صاحب خطاب نهضوي سياسي، بحيث عرف بأسباب انحطاط الدول الإسلامية كالدولة العثمانية ، التي احدث معها القطيعة لعدم تمكنها من مواجهة الاستعمار، وسلمت الجزائر بسهولة تامة ،وحاول تفادي هذا المعوق رغم محاولاته الكثيرة عن طريق تليين الرباط الاجتماعي وتحديث انسنته عن طريق الرمزية و القانون و القوة ،و كذا الاجتهادات الفكرية و الدينية و بالتالي فقد كان يعمل على تحقيق المقاومة الشعبية الكلية .

إذن فدراسة الأمير عبد القادر يتم عن طريق محورين : المشروع و الانجاز .

فمشروعه يصب على تأسيس سلطان شرعي مقاوم يحمل إمارة الجهاد ويدافع عن البلاد و العباد ، و القصد منه تأكيد السيادة الجزائرية من باب مقاومة المد ألاحتلالي ، بمعنى أن الأمير الشاب فهم منذ معركة خنق النطاح بأنه لا يمكن مقاومة دولة فرنسا إلا بدولة لها سلطاتها و سيادتها ، وهذا لن يتم إلا بتأسيس جيش دائم ، وكذا العمل على غرس فكرة و ثقافة و سياسة المجتمع عن طريق توحيد الوطن ، وتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة بصناعتها ،و مؤسساتها،و اقتصادها و مبادئها و قانونها و عملتها و إدارتها .

و حاول إقناع الزوايا و الطرق و القبائل للاندماج في المعركة و تكوين هذه الدولة باسم الشعب و المتمثل في إرادته التي عبر عنها بالمبايعة الخاصة و العامة و المسجلة بوثيقة حررها أكابر العلماء و الفقهاء ومنهم محمد بن حواء ، وتكون هذه الدولة دلالة على الشخصية الوطنية الجزائرية ويكون الشعب الجزائري وليس القبيلة هو صاحب القضية ،وبذلك غرس بذرة الحرية التي ستظهر قطوفها في ثورة نوفمبر 1954 و المحافظة على هذه الثروة و الكرامة الإنسانية،ولذلك رأى بضرورة تقليد أوروبا في أسباب القوة وصناعة الحديد ، و بالتالي عرف بان البعد الحقيقي للنهضة هو النهضة التنموية و المداخيل المادية، وليس بناء الأوبرا كما قال بها محمد علي [51]

[51]–هو ابراهيم اغا بن علي المعروف بمحمد علي الكبير مؤسس اخر دولة ملكية بمصر ، الباني الاصل ، كان اميا ، تعلم في الخامسة و الاربعون من عمرهوقدم الى مصر وكيلا للرئيس بقوة من المتطوعين مجهزة ب300 رجل بجدة لرد الفرنسيين عن مصر ن وتولى قيادتها على حسب اقوال بعض المؤرخين نحوالنهضة .انظر : سفيان الصفدي ، الموسوعة التاريخية لدول العالم وقادتها ، دار اسامة للنشر و التوزيع، الاردن ،2001، ص164

وبالتالي فالفضل يعود لعبد القادر وخلفائه وكل من حالفه من قريب و بعيد في تجنيب الجزائريين من العبودية، و الإبادة التي يمنعها القانون الدولي و التمسح، و الإبادة الثقافية ، و إدخال الجزائريين في الدين المسيحي ، وهكذا بقيت الجزائر بشخصيتها و هويتها .

ولذلك اعترفت به فرنسا كقائد ل 3/1 أرباع الجزائر بعد ديميشال و تافنة خاصة التي وسعت حدود سيادته و سلطته .

II – المساعي الفرنسية لإجهاض و تقويض الطاقة العسكرية للامير عبد القادر :

من خلال ما تم عرضه فان الفرنسيين منذ البداية جاؤوا بمشروع مضبوط ، بمعنى أن الأمير عبد القادر عرف وفهم هذا المشروع، الذي يتمثل في النظام ألاحتلالي [52] و لذلك كان يعمل على إنشاء نظام وطني خالص لمجابهة هذا النظام ألاحتلالي الذي يعتمد على ثلاث مقومات :

1– مرحلة بسط النفوذ و السيادة و القانون الفرنسي

2– تفكيك البنية القبلية

3– مرحلة ابتلاع الوطن أرضا ، وشعبا و تاريخا و هوية – تبديل شعب بشعب

أمام محاولاتهم تحقيق هذه الأهداف، وجدوا في قوة المقاومة الشعبية و صلابتها و خاصة بعد النظر السياسي الذي يتمتع به عبد القادر، و إستراتيجية التعاون مع الآخر ، صعوبة نحو تحقيق هذه الأهداف، و فرض عليهم هذا الواقع التعامل مع هوية سياسية و سيادية و شرعية ، جديدة في الجزائر .

و عرفوا أن وجود الأمير و خلفائه يعتبر كحد للمشروع الفرنسي في الجزائر ، خاصة و انه كان يدرك انه لم يكن في حالة حرب عادية كما كان الحال بين الكفار و المسيحيين ، و إنما كان الأمر انه حاول أن يزج بكل طاقات المجتمع الجزائري، عن طريق القوة الإيمانية و القدرات القتالية للقبائل ،و هذا ما عملت فرنسا جاهدة لإجهاضه و ذلك بتفكيك التضامن الشعبي حوله .

[52]–ان اي نظام مهما كان يعتمد على فكر و قوة و تنظيم .

فراحوا يبحثون عن زعماء جزائريين للتعاون معهم و الاستعانة بهم في سياستهم التوسعية [53] معتمدة في ذلك على سوء تقديرهم للوقائع ، و عدم إيمانهم بالمقاومة الشعبية التي تعتمد خاصة على و إخلاء المدن وقت الحاجة ، كما اعتمدت على ممارسة الحرب النفسية (تبيان محاسن فرنسا وإظهار مساوئ الأمير) .

و هكذا فقد تنامت قوتها داخليا جيشا ، وعدة ، بل و ترسخت كقاعدة مادية في الاقتصاد سخروها من اجل إنهاك المجتمع و اختراقه بالمعارك و الحروب ، و خارجيا عن طريق المساندة الأوروبية لها .

و بالتالي فان الأمير عبد القادر عندما سطر لمشروعه كان في مأزق حقيقي و ثنائي:

1- محاصرة القوات الفرنسية له حتى لا يؤسس دولة كاملة و تحت سيادة واحدة ، فسعت الى تفكيك خطته بالحرب و بتأليب القبائل عليه .

2- منطق التفكك في المغرب العربي و نقصد به ضعف الرابطة الوطنية السياسية المتعلقة بالمركزية السياسية ،و شيوع الزعامات المحلية و التي غذتها الدولة العثمانية بالامتيازات التي منحتها لها .

و هكذا سنمر على الأسباب المباشرة التي أدت الى انتهاء المقاومة الوطنية تحت قيادة الأمير عبد القادر الجزائري .

II – 1- سياسة الأرض المحروقة و انتهاج حرب الإبادة .

لقد عرف الفرنسيون أن انتصار مشروعهم ألاحتلالي يرتكز على :

- ضرورة انتهاء النفس الأميري كمشروع قائم بصفة من الصفات ،و لن يتم ذلك إلا بممارسة سياسة قاسية و استبدادية لقطع كل وسائل لتموينه ماديا و عسكريا .

[53]-دسوقي ناهد ابراهيم ، دراسات في تاريخ الجزائر، منشاة دار المعارف، بيروت، 2001، ص49

و لتحقيق هذا الهدف بدأت سياسة التقتيل الجماعي و الإبادة و الأرض المحروقة التي اتبعها بيجو(1840-1847)[54] بعدما حصل على تعليمات من الملك [55] فقد اصدر عدة قوانين قمعية و زجرية جائرة، منها قانون مصادرة الأراضي، و أملاك المجاهدين إجباريا، كما انتهج أسلوب تجريد القبائل من محاصيلهم الزراعية فيقول في هذا الصدد * ليست مهمتكم أن تجروا وراء العرب ، فهذا غير مجد ، وإنما مهمتكم أن تمنعوهم أن يبذروا أو يحصدوا أو يرعوا ، و الحرب التي سنقوم بها ليست حربا تعتمد على طلقات البنادق ، وإنما هي أن نحرم الجزائريين من مواردهم التي تنتجها أراضيهم اذهبوا و قطعوا القمح و الشعير *[56]

---

(54)-ولد في ليمونج سنة 1784 ، وهو من عائلة مسورة الحال ، كانت له ثقافة المال ، فلقد عرف كديمقراطي و ليبرالي ، توفي 1849 بوباء الكوليرا ، قضى فترة شبابه في فلاحةالارض و لم يتخلق باخلاء النبلاء على الرغم من انتمائه العائلي ، انخرط في الجيش سنة 1804 ، وشارك في بعض الحروب التي خاضها نابليون الاول ، وفي سنة 1836، عين قائدا لمنطقة وهران ، وخاض عدة معارك ضد الامير عبد القادر وقد عقد معه معاهدة التافنة ، ثو استدعي الى فرنسا ليشتغل في منصب نائب في البرلمان ، وفي سنة 1840، عاد الى الجزائر و بقي الى غاية 1847 ، سلط خلالها على الجزائريين حرب ابادة شنعاء بالتقتيل و التعذيب و التشريد ، كما اغار على جيش المغرب سنة 1844 ، و في معركة واد ايسلي اما عن جانبه السياسي فانه كان يدعي الانتماء الى التيار الديمقراطي اللبرالي لكنه في الحقيقة من دعاة النظام الملكي المناهض للجمهورية ، وقد اصبح في الذاكرة الفرنسية و خاصة لدى المعمرين عنوانا للإمبراطورية الكولونيالية و رمزا للتوسع و الاحتلال

انظر: Charles Andrè JULIAN,L'Histoire de l'Algérie contemporaine ; conquête et colonisation 1827-1871, Paris , 1964,pp164,165

لمزيد من المعلومات حول بيجو انظر :ة 1-ROZET et CARETTE , L'Algérie , F.F.E, Paris, 1850

2- BOUNNAFONT, Douze ans en Algerie1830-1842, E.D.E, Paris, 1880

3 – Hafid GAFAITI, La diaporisation de la littérature postcoloniale : Assia DJEBAR et Rachid MIMOUNI, E.H, Alger, 2005

4-Louis BLANC, Op.Cit

5- Le Compte D'HERISSON, La chasse à l'homme : guerre d'Alger, P.O.E, Paris, 1848

6- Alexandre DUMAS, Impression de voyage, L.F.E, Paris ,1855

(55)- Franck LAURENT, Victor Hugo face à la conquête de l'Algérie, C.N.L, 2001, pp126, 127

بحيث جلب معه بيجو اثناء عودته الى الجزائر 60000جندي سنة 1840

90000 جندي سنة 1844

108000 جندي سنة 1846

(56)- Amédée GABOURD , Histoire contemporaine comprenant les principaux évènements qui se sont accomplis depuis la révolution de 1830, ,E.F.D.F, Paris 1846, pp124-130

والى جانب ذلك عمل على توسيع صلاحيات المكاتب العربية ، و اصدر أوامره بإباحة الحرائق و إتلاف الأرزاق ،و ارتكاب المجازر الفظيعة،و تسليط العقوبات الجماعية ،بما في ذلك التغريم الجماعي يقول سانت أرنو في هذا الصدد * دمر ، و احرق و انهب و نحن في قلب الجبال بين مليانة و شرشال لا نطلق إلا القليل من الرصاص ، فإننا نحرق كل شيء في القرى في الأكواخ و في بلاد بني مناصر ، لقد احرقنا و دمرنا كل شيء * [57]

اما بليسييه [58] الذي كتب عن مجزرة أولاد رياح الذين ماتوا حرقا و خنقا [59]

كما قام بتنظيم مطاردات للأمير عبد القادر ،و العمل للسيطرة على مصادر تموينه ، و بالتالي ضرب للبنى التحتية للمقاومة الشعبية.

---

(57)–سانت ارنو هو جاك لوي سانت ارنو ماريشال فرنسي ، ولد في باريس 1798 ، و توفي 1854، كان ابن محامي قديم في البرلمان و بعدها اصبح والي لود بفرنسا ، اخذ دروسه في مدرسة نابليون ، ودخل في 1816 ، في الحراس الشخصيين خرج من هذه الخدمة في 1822 ، و توجه كمتطوع في قضية الهي لينيك بسويسرا و تجول في العلم حتى 1831، رجع الى الجيش في نفس مرتبته السابقة ، شارك في حرب فوندي و اصبح ضابط تحت اوامربيجو و عمل معه في بلاي في 1836 و صل الى افريقيا ضمن الجيش الافريقي و شارك في غزو قسنطينة ، و في 1840 ، كان كولونيل ن تحكم في الزواف 1840 ، و أصبح ماريشال في 1847 ،انظر : Saint ARNAUD , Lettre du Maréchal Saint ARNAUD a son frère, Paris , 1855,p381

(58)–هناك خلط بين الشخصيتين ، فبلسييه دي رينو ايدموند هو مؤرخ فرنسي ، وقد الف كتابه المشهور عن الاحتلال و مقاومة عبد القادر ، اما بليسييه امابل جون جاك فهو منفذ المجزرة ضد اقلاد رياح المعروفة ، كما انه شارك في معركة ايسلي ، وولد ب 06نوفمبر 1794 .انظر :

1Pélissier de RENAUD, Les annales Algérienne, Paris, 1939, p286

ايضا : 2Narciss FAUCON, Le livre d'or de l'Algérie : Histoire ,politique ,militaire , administrative, événement et faits principaux, biographie des hommes etc.. 1880-1889, Préface de M .le COLONEL trumlet, T1, L.A.C, Paris, 1889, p620

(59)–Pélissier de RENAUD, Op.Cit, même page

و قد استطاع بيجو بذلك تحقيق عدة انتصارات على الأمير عبد القادر في مراحله الأخيرة .
و في نفس الصدد يقول مونتانياك [60] * أن النار لا تنطفئ في المكان الذي نحرقه ... فنقتل و ننهب و ذلك لفائدة قواتنا * [61]

و قد كانت جرائم الإبادة تتم عن طريق الخنق بالدخان حتى الموت أو الاستسلام و الخضوع لفرنسا بالإكراه ، و بسبب هذه السياسة المنتهجة من بيجو و جنرالاته[62] بعد نقض معاهدة التافنة 1839 بدأت قوة الجيش الجزائري تفشل و تضمحل شيئا فشيئا .

---

(60)–هو لوسيان فرونسوا مونتانياك ولد سنة 1803، وتوفي 1845 ، في بلدة بورو دخل مدرسة سدان ثم الكلية الحربية في سانسير ليتخرج منها سنة 1821، برتبة ملازم ، والتحق على الفور بفرقة المشاة الاولى ، حارب سنة 1823، في اسبانيا ، و سنة 1832، اشترك في عمليات حفظ الامن التي نفذت في باريس و في سنة 1836، رقي الى رتبة ملازم اول في 1837، ارسل الى افريقيا وتسلم قيادة الكتيبة رقم 61.
و في سنة 1845، تسلم رتبة الق5ائد الاعلى لجمعة غزوات و كان السبب في حادثة سيدي براهيم انظر : اديب حرب ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 505.

ايضا : Dominique AUZIA ,L'Algérie ,P.F, Paris, 2007-2008, pp64,65

Jules DAVID, Revue historique et fastes littéraires , F.F , Paris, 1845, pp09-20

(61)– MONTAGNAC, Lettre d'un soldats : Neuf année de compagne en Afrique , correspondance inédite de Montagnac, Paris ,1885, pp129-150

(62)– Paul GAFFAREL , L'Algérie :histoire , conquête et colonisation , Paris, 1883, P400

ايضا : Bruno ETIENNE, François POULLION , Abdelkader le magnanime, I.M.A, Paris, 2003, PP 40-49

مما زاد من التعب النفسي للأمير عبد القادر هو سقوط عاصمته المتنقلة الزمالة ، و كانت تضم حوالي 30000فرد من عائلته و القبائل التي بقيت وفية له [63] و كانت تقوم على حمايتها 5000نظامي [64] التي كانت تمتد من نبع طاقين إلى سفح جبل عمور [65] .

فبعض المؤرخين اعتبروا أن نجاح فرنسا ضد الزمالة هي قمة البربرية ، لان ملابسات سقوطها يرجع بالدرجة الأولى إلى وشاية بعض المنشقين منهم محمد بن عياد ، عمر بن فرحات من منطقة طاقين و بن عيسى [66] عن مكان وجودها و الذين كانوا تابعين للجنرال يوسف [67]

---

(63)- Smati MAHFOUD ,Op.Cit,p32

(64)- ENFANTIN , Colonisation de l'Algérie, P.B.L ,Paris ,1843, p402

(65)- Alexandre BELLAMARE ,Abdelkader sa vie politique et militaire , E.B Alger, ,pp 141-153

(66)-هو بن طبلة بن يحي بن عيسى باشاغا التيطري اصله من عائلة من التيطري ، ولد عام 1805، و شارك في معركة سطاوالي ، 1830، و في مليانة قطعت رجله مع بوشارب ضد فرنسا .في 1842، استسلم لفرنسا و اصبح تابعا لها ، و اصبح يعمل في المهمات السريه لفرنسا و في 16 ماي 1843 شارك في سقوط الزمالة .في 10 نوفمبر 1844 ، اصبح خليفة اغا الشرق قويدر بن عبد الله ، و كانت له نفس المنصب مع الأغا بومزراق و طيلة هذه الفترة شارك في كل الغزوات م المشروعات الاحتلالية الفرنسية التي أسقطت المقاومة و البلاد و توفي في 05نوفمبر 1881، و عمره81 سنة .انظر :

Narciss FAUCON ,Op.Cit, pp63-65

(67)-ولد في 1808 ، و اخذ كرهينة لقراصنة بربروس و توفي في صف جنرال في كان في فرنسا في 16 مارس 1866 ، اخذ الى تونس مع عدة رفقائه و في هذا الوقت أعجب به الباي لحسن منظره و ذكائه فعلمه الاسبانية و العربية و التركية. قتل شاويش تونسي و ظل يبحث عنه ، وتمكن من الركوب في باخرة فرنسية تسمى ادونيس 1830، و من ذلك العهد بقي في خدمة فرنسا و استخدمته كسلاح ضد العرب لانه يعرف تقاليدهم و طريقة عيشهم و لعب كترجمان في عهد بورمون و كذا كلوزيل سمي اغا في 02 ديسمبر 1830، سمي كقبطان و كان شجاعا و ذكيا شارك في عدة عمليات في القصبة و عنابة و لهذا في 25 مارس قبل بصفة استثنائية في الجيش في 17 ماي شارك في الحرب على تلمسان ضد البوحميدي و أصبح جنرال 28 مارس 1856 .و ارتد عن الإسلام سنة 1845 انظر :

1- J.OTTON, L'Algérie Youssef bey et Abdelkader E.J.L, Paris, 1837
2- Les débuts de Youssef a l'armée d'Afrique, Revue Africaine, t54,1910
3- Léon ROCHE, Dix ans a travers l'islam 1834-1844, PREFACE Carraby, L.A.D, Paris
4-Maurice Constantin WEYER, La vie du général Yusuf, E.L.G,Paris, 1930

و في يوم 16-18 ماي 1843 سقطت الزمالة و كان من نتائجها :
بالنسبة للفرنسيين : جرح 12 جندي و موت 9 عناصر [68]

أما بالنسبة **للأمير عبد القادر** فقد كانت الخسائر جسيمة ، فبلغ عدد الشهداء ما يزيد عن 300 رجل و اسر 3 آلاف شخص، من بينهم عائلة محمد بن علال بن مبارك[69] و ابنة الميلود بن عراش [70] و عائلة الخروبي [71] .

---

(68)- : LYNADIER et CLAUZEL, Histoire de l'Algérie Française
Procédé d'une introduction sur la domination s Carthaginoise, Roman, Arabe, Et italique, Paris, 1846, pp159-172

للمزيد من التفاصيل حول سقوط الزمالة انظر :

1-D'IDVILLE , Le maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documents inédite 1784-1849 T2, Paris ,1883 , pp404-413

2- Alfred NETTEMENT, L'histoire de la conquête de l'Algérie : écrit sur des document s inédit et authentique, L.J.L, Paris, 1867
3- Albiges CAILLET, Notice sur un projet de colonisation de l'Algérie, Paris, 1856
4-Jean Gabriel CAPPOT, L'Algérie française, , E.A.V, Paris, 1856
5-Achille FILLIAS, Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie 1830-1860 , Paris, E.A.V, 1860
6- George VOISIN, L'Algérie pour les Algérien , M.L.F, Paris, 1861
انظر : 7- المهدي بن شهرة ، تاريخ و برهان بمن حل بمدينة وهران ، دار الريحانة للكتاب ، الجزائر، ط1، 2007

(69)- محمد بن علال من ابناء سيدي مبارك احد الرجال الصالحين بمدينة القليعة و يطلق عليه أحيانا اسم جده سيدي مبارك ، استشهد في 11 نوفمبر 1843 ، بمعركة سيدي يحي و هو كان خليفة الأمير عبد القادر على مليانة و كان من الشخصيات السياسية و العسكرية البارزة بحيث يضاف الى البوحميدي و مصطفى بن تهامي الذين تحملوا أعباء المقاومة مع الأمير عبد القادر من بين رفقائه الأشد صلابة و الاكثر تفانيا في العقيدة و كان معروفا بالصلابة و الاستقامة والانضباط. انظر عبد القادر الجزائري، المصدر السابق ،16

(70)- ولد ببني شقران وهران من اسرة متواضعة و نشا في رعاية الحكم التركي، عينه الامير اغا الشرق تحت خلافة بن تهامي و كان ذا خصال حميدة ومتميزة و المهارة التي جعلته ينال خطوة كبيرة لدى الامير عبد القادر و اسند اليه مهام الشؤون الخارجية فاشرف على ابرام معاهدة دميشال التافنة ، وقد ربط علاقات وثيقة مع بعض الأوساط الرأسمالية من يهود و فرنسيين جلبت اليه العديد من الشكوك .انظر :

Eugène DAUMAS, Correspondance du capitaine Daumas , consul a Mascara 1837-1839 Ed G Yver , Alger ,1912 , p16

(71)-كان السكرتير الأول للأمير عبد القادر و قد أعلن لاكوت قبل وفاته انه كان يعمل في المخابرات السرية لصالح عبد القادر، فالقي عليه القبض ما بين 1844-1845 انظر: Thémistocle LESTIBOUDOIS,
Voyage en Algérie, ou étude sur la colonisation de l'Afrique française L.F.F, Paris, 1853, pp127, 128

كما استولى الدوق دومال على خزائن بيت المال ،و حرق مكتبته التي تحتوي على ألاف المخطوطات [72] . رغم الألم على ما أصابهم الا أنهم استطاعوا الاستمرار و المواصلة حتى 1847 ، و أعاد الأمير عبد القادر تكوين عاصمته تحت اسم الدائرة ، لان عدد سكانها لم يكن يتجاوز الألف نسمة،و التي انتقل بها إلى الحدود المغربية اين أقام حول نهر ملوية وراء جبل بني سناسن [73] .

II -2- تجنيد الجزائريين ضد الجزائريين – فرق ، تسد –

من أهم المشاكل و الصعوبات التي واجهت الأمير عبد القادر في مقاومته، هي عدم القدرة على الإدراك من بعض الزوايا و القبائل و الفئات لقيمة المقاومة الشعبية ، فالاختلاف بينهم و بين الأمير لا يكمن في الشجاعة، و إنما في فلسفة الجهاد و منهجه ، لذلك كان من الصعوبة بما كان ربط كل هذه الفئات تحت راية الجهاد المشترك أي المقاومة الشعبية .
ومما زاد في هذه الهوة ،هي الدعاية الفرنسة و الضغط الفرنسي على القبائل للابتعاد عنه عن طريق الإكراه بكل الوسائل القمعية و الزجرية كما سبق الإشارة إلى ذلك .فنجد مثلا:

جماعة الكراغلة [74] : فنظرا للامتيازات التي كانوا يحظون بها خلال العهد العثماني ، كانوا يعتبرون أنفسهم أولى بتسيير شؤون الحكم و الإدارة لأنهم ورثة النظام العثماني ، متناسين بذلك ان بعدما وقع الداي حسين معاهدة 05 جويلية 1830 قد زال قانونا الحكم العثماني من الجزائر و فرنسا اعتبرت نفسها هي صاحبة السيادة السياسية بموجب وثيقة الاستسلام 1830.

---

[72] -أديب حرب ، المرجع السابق ،ج2 ، ص 440

[73] -عبد المنعم قاسمي ، المرجع السابق ، ص 10

[74] -هم طبقة اجتماعية كانوا يمثلون الفئة الثانية في السلم الاجتماعي العثماني ، ظهرت هذه الفئة نتيجة للتزاوج بين الأتراك و الجزائريات ، و كانوا يحظون بامتيازات و مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري باعتبارها تقرب الى العنصر التركي الحاكم انظر : A BEHAGHEL, L'Algérie

Histoire , géographie , climatologie , hygiène , agriculture , forêts , zoologie , richesse , minérales , commerce et industrie , mœurs , indigène, population , armée , marine, administration , Alger, 1865 , pp 335-343

و هكذا فان هذه الطبقة وقفت ضد المقاومة الشعبية ،و يظهر ذلك جليا من خلال الرسالة المؤرخة ب26 جوان 1837 المرسلة من هذه الجماعة إلى الفرنسيين طالبين منهم الحماية [75] .

و لم يشدوا عن هذا الموقف بعض كلوغلي المشور ، و مازونة و مستغانم[76] .

و السبب الحقيقي لهذا الاختلاف، يظهر فعليا بين احمد باي و الأمير عبد القادر يعود بالدرجة الأولى إلى اختلاف في الأفكار .

فعبد القادر كان صاحب فكرة المقاومة الشعبية بمعنى مقاومة الأجنبي عن طريق جيش وطني شعبي منظم يتحمل المجازفة ، التضحية و المغامرة ، و الوسيلة الصالحة لتحقيق هذا الهدف هي إخلاء المدن و التي انتقده عليها أديب حرب متناسيا أن المقاومة الشعبية تستوجب التدافع بين الخصمين و الكر و الفر ما يستوجب الخروج من المدينة و ليس التحصن بها و هذا ما أدى إلى طول مدة المقاومة 15 سنة متتالية.

و هذه المقاومة تبنتها على ممر التاريخ مقاومة **الفيتنام** التي تحدث عنها الجنرال جياب في معركة ديان بيان فو 1854 .

كما تبناها ماوتسي تونغ الذي قام بالمسيرة الكبرى (**la longue marche**) للهروب من السلطة المركزية ، و هي لاتختلف كثيرا عن المقاومة الشعبية التي قادها الأمير عبد القادر قبل ذلك .
كما نلمس وجودها عند عبد الكريم خطابي و عبد الملك في ثورتهما في منطقة الريف .

إن دوام هذه المقاومة عبر السنين ، يرجع إلى كونها وسيلة الشعوب الضعيفة في الدفاع عن حقوقها ،و عدم الخضوع و الاستسلام للاستعمار و اللجوء إلى هذه المقاومة راجع إلى الإمكانيات الغير متكافئة و الغير متوازنة .

---

[75] -ناصر الدين سعيدوني ، موقف الامير من بقايا السلطة التركية بالجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،، الجزائر، دس، ص43

[76] -Paul GAFFAREL , Op.Cit, pp 176,177

إن هذه المقاومة التي يظهر الضعيف خلالها ذكاء في التعرف على نقاط ضعف القوي ،و منها المواجهة ، كما تظهر هذه الحرب مدى تضحية الإنسان و التزامه و قناعته (رغم ضعف إمكانياته من مخازن و أسلحة و قطع الأسلحة و أطباء و مخازن ...) ما عدى افتقاره إلى الإرادة و العزيمة و الصمود .

و لقد عرفت شعوب العالم أهميتها و التي مارستها بعد الأمير عبد القادر الجزائري، لأنه كان أول من آمن بها ، و مارسها على ارض الجزائر، و التي دهش بها الجنرالات الفرنسيين، و خريجي مدرسة سانسير [77] ، فاظهر خلالها للشعب الجزائري طريق الخلاص عن طريق المقاومة الشعبية ، وأراد أن يجعل الشعب صاحب القضية لأنه غرس فعلا بذرة الحرية والمحافظة على الكرامة الإنسانية * **ديمومة المطالبة بالثورة** * فظهرت الثمرة في حرب التحرير 1954 بمعنى تواصل الأجيال و قطف الثمرة كان في 1962.

وهنا تكمن نقطة الاختلاف مع الحاج احمد باي ، الذي كان يؤمن بفكرة التحصين في المدن و عدم إخلائها، بخلاف عبد القادر بحيث تحصن في قسنطينة –مع العلم ان قسنطينة محصنة طبيعيا – و اعتقد أن العدو لن يصل إليه ، و لكنه مع الأسف رغم تفانيه لم يستطع الصمود أمام المدافع الفرنسية وبالتالي سقطت قسنطينة 1837 واضطر بعدها إلى الفرار [78] .

---

[77] –هي مدرسة عسكرية مشهورة في فرنسا ، تعمل على تخريج العديد من الضباط العسكريين ، فتقريبا كل الجنرالات الذين واجههم عبد القادر هم من خريجي هذه المدرسة التي تدرس الفنون الحربية العسكرية . و لها عدة فروع ، منها ما هو مخصص للدراسات البحرية ، و منها ما هو مخصص للدراسات القتالية و غيرها من التخصصات في كل فنون الحروب .

[78] –لمزيد من التفاصيل حول معارك قسنطينة ، العودة إلى :

1- Ernest MERCIER, Les deux siège de Constantine 1836-1837 I.L.L.P, Alger, 1896

2- Louis REGIS, Constantine : voyage et séjour, C.L.E, Paris, 1880.

3- Duc de CARAMAN, Relation contenant le détail de la part que feu a prise a la première Expédition de Constantine en 1836 , I.L.F, Paris, 1843

4- Charles FERAUD, Le tours du monde : visite au palais de Constantine , L.H.C, Paris, 1877

5-BOUNNAFONT, Douze ans en Algérie 1830-1842, E.D.E, Paris, 1880

6-DEVOISIN Valentin, expédition de Constantine accompagne de réflexions Sur nos possession, J.C, Paris, 1840

و هكذا فالاختلاف بين الشخصيتين لا يكمن في الشجاعة بل في فلسفة الجهاد ، لان الامير أدرك أن التوسع الأوروبي لم يعد يمثل قضية حروب فقط، بل قضية انقلاب حضاري تماما (يظهر من خلال تعامله مع الأوروبيين سواء الأسرى او الاستفادة منهم في التدريب و صناعة الأسلحة) و كان يرى في مشروعهم الحضاري كظاهرة إنسانية ايجابية .

كما نلمس موقف **المخزن** ممثلا في **الدوايـر و الزمالة** [79] الرافض للأمير عبد القادر و مقاومته بحيث وقعت اتفاقية 16 جوان 1835 [80] وقد كرست ولاء المخزن للسلطة الفرنسية ، بحيث كانت تخدم المصالح الفرنسية بالدرجة الأولى وهذا ما نلمسه جليا في بنودها .

(79)– هي القبائل المنتشرة بسهول وهران و تنقسم الى قسمين و هما : المخزن الشرقي و الغربي ، فالشرقي يضم المكاحلية و اولاد سيدي العربي و اولاد عباس ... اما الغربي فهم نجع الدوايـر و الزمالة الغرابة ، البرجية و كانوا يحظون بامتيازات من قبل السلطة العثمانية ، مهمتهم جمع الضرائب بالقوة و ذلك مقابل اعفائهم من الضرائب كالمعونة ، الغرامة،..انظر : بن وعودة المزاري ، طلوع سعد السعود في اخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا في اواخر القرن 19م ، تحقيق : يحي بوعزيز، ط1، لبنان ، دار الغرب الاسلامي، 1995 وسميت بهذا الاسم لقيامها بخدمات في دائرة الخيام .انظر : بن عبد القادر ، تحفة الزائر، تحقيق: ممدوح حقي،ط2، ، دار اليقظة العربية، الجزائر ،1966، ص 145

(80)–تتكون هذه الاتفاقية من 12 بندا جاء فيها:

1- تعترف القبائل بسيادة فرنسا وتحتمي تحت سلطتهم .

2- تتعهد بطاعة رؤساء المسلمين الذين يعينون من طرف الحاكم العام .

3- تقدم وهران الضرائب سنويا و التي كان يدفعها البايات القدماء.

4- يستقبل الفرنسيون في اوساط القبائل كما يستقبل العرب في اوساط الفرنسي.

5- تجارة الاحصنة و المواشي ن و كل المنتجات الاخرى تكون حرة من طرف كل قبيلة ، تعلن رغبتها في الولاء للسلطةالفرنسية على ان تشحن البضائع الا من الموانئ التي يخصصها الحاكم العام .

6- تجارة الاسلحة و الذخائر لا يمكن ان تتم الا بواسطة السلطات الفرنسية .

7- تقدم القبائل المجندين في كل مرة تدعى الى ذلك من طرف حاكم وهران الى بعض الحملات العسكرية في الممتلكات الافريقية .

8- خلال مدة الحملات يتسلم الفرسان اجر فريقين لليوم الواحد و الرجال المشاة المسلحون ببندقية فرنكا واحدا و هو الاخرون يحق لهم التزود بخمس خراطيش من الذخيرة الحربية ، على ان يزودوا باضافة عشر خراطيش من ثكناتنا على ان يتم تعويض القبائل الموالية للسلطة الفرنسية الخيول التي قتلت في المعارك .

9 – ليس من حق هذه القبائل الموالية اعلان الحرب على القبائل المجاورة لها الا في حالة حصول اعتداء من هذه الاخيرة عليها ، و في هذه الحالة يلتزم اعلام حاكم المقاطعة فورا لنجدتها

10-11-12 –فقد ضمنت حرية شراء الفرنسيين لما يلزمهم من مواد ، ومسالة القضايا بين العرب .

انظر : حميدة عميراوي ، معاهدة الدوائر و الزمالة ، الثقافة ، العدد88، 1985 ، س 136

و قد تمت هذه المعاهدة بين الجنرال تريزيل [81] و المزاري[82] وكان من نتائجها نقض معاهدة ديميشال في 1835، بعدما هجم تريزيل على قبائل الحشم و الغرابة الحليفة للأمير عبد القادر ، و كانت هذه الفئة ممثلة في مصطفى بن إسماعيل [83].

ومما زاد في تدعيم القوة الفرنسية الداخلية هو موقف **التيجانية** و يمكننا تلخيص هذا الموقف على ضوء ما جاء على لسان الشيخ محمد التيجاني الكبير [84] (انه من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ماديا –و أدبيا – وسياسيا ، ولهذا فإنني أقول لا على سبيل المن و الافتخار ، ولكن على سبيل الاحتساب و التشرف بالقيام بالواجب ، أن أجدادي قد أحسنوا صنعا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا ، وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا .

---

[81]–هو كامي الفونس تريزيل ، ولد في 05 جانفي 1780، و دخل الجيش 1801 ، و في 1803 ، حصل على رتبة قائد في فريق المهندسين الجغرافيين ، وعمل في سفارة فرنسا في إيران 1807–1808 ، ثم استدعي مرة أخرى في حزب لينييه ، اين فقد عينه اليسرى و منها عين جنرال في مرسوم 05 جويلية 1815 ، و عاد ككولونيل ووصل الى إفريقيا 1830، وقاد غزوة باتنة و قادها في 29 سبتمبر 1833، و خلف ديميشال في وهران ، واظهر تعاون مع الدواير و الزمالة و مات 11 ابريل 1860. انظر : Narcisse de FAUCON , Op.Cit, p599-601

[82]– هو أن أخ مصطفى بن إسماعيل ، كان اغا تحت الحكم العثماني و احد رؤساء الدوائر و الزمالة و لما بويع عبد القادر انضم الى صفوفه ، لكنه ما فتيء ان انضم الى الجيش الفرنسي فعينه كلوزيل تحت سلطة باي مستغانم ، وبعد وفاة مصطفى بن إسماعيل استخلفه بيجو على رأس الدوائر و الزمالة انظر: Achille FILLIAS , Op.Cit, p298, 299

[83]–ولد 1796 و توفي 1843 ، احد الأشخاص الذين كان لخيانتهم اشد الوقع على المقاومة الوطنية ، يعود نسبه الى أولاد عفان من محال أولاد بوبكر الذين أطلق عليهم اسم الدوائر ، و كان مصطفى يشغل منصب اغا الدوائر و الزمالة ، وعند تنصيب مولاي علي على تلمسان من قبل سلطان المغرب ، أعلن ولاءه لهذا الاخير ، وبعد ها التحق بكراغلة المشور حيث كانوا محاصرين من جنود الامير و في سنة 1836 ، احتل كلوزيل تلمسان و فك عنهم الحصار ومنذ ذلك الوقت أصبح مساندا الى الفرنسيين و قد وصفه بليسييه بالغلظة و الجشع و بعد نقض معاهدة التافنة راح ينهب و يقتل و يسلب حقدا و كرها الى ان لقي حتفه في كمين نصب له في منطقة فليتة و تعده فرنسا من قبل اعوانها و قد خلدته برسم صورة كبيرة له في قصر فرساي .انظر : ESTERHAZY Wilsin, Notice historique sur le Makhzen d'Oran , Paris, 1849, pp 11,12

[84]–و هو الملقب بصاحب السجادة الكبرى ، و هو خليفة احمد التيجاني الأكبر مؤسس الطريقة التيجانية و ذلك بعد وفاة الأمير بخمسين سنة.

ففي سنة 1838 كان جدي سيدي محمد الصغير قد اظهر شجاعة نادرة في مقاومة اكبر عدو لفرنسا ، الأمير عبد القادر ، و مع ان هذا العدو قد حاصر بلدتنا بعين ماضي و شدد عليها الخناق 8 اشهر ،فان هذا الحصار تم بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين ، وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين و ذلك أن جدي أبى أن يرى وجه اكبر عدو لفرنسا فلم يقابل الأمير عبد القادر [85]
و بالتالي يمكننا وصف هؤلاء بما وصفهم العنابي بقوله * منشغلين بتكوير وتكبير العمائم ، وإطالة أكمام الجبائب ، وصبغ اللحى و الشوارب ، والتكثير من حبات السبح و التحذلق و الحوقلة و السبحلة ... أما أمر الجهاد عندهم فقد أصبح من ذكريات الخوالي ، لا يقرا إلا كآيات في القران أو عبارات في الأحاديث النبوية ..*[86]

إذن هذا هو موقف التجانية من المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر ، هذا الى جانب الفتوى[87] التي جاء بها ليون روش [88] و التي وزعت عبر كامل التراب الوطني بمساعدة من التيجاني عام 1842 تقتضي هذه الفتوى * بوقف الجهاد ، لان إذا تغلب العدو الكافر على المسلمين فانه لا يجوز لهؤلاء مجاهدته، لان ذلك ضرب من الانتحار ، وليس عليهم أن يتبعوا الأمير و لا أن يشايعوه *

[85]– محمد الخضر الشنقيطي ، مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني ، جمعها إبراهيم القطان ، سنة 1936، السعودية، ص ص 616-621.

[86]–محمد بن محمود العنابي ، السعي المحمود في نظام الجنود ، تقديم و تحقيق: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1983 ، 315-350

[87]–على حسب بعض المصادر فان روش حمل هذه الفتوى مع أتباع التيجاني الى علماء القيروان و الأزهر و الجزائر ، و منهم مصطفى القديري ، الذي كان من فقهاء المالكيين الذين تولوا الفتوى على عهد الأمير بما انه كان مواليا لفرنسا .انظر : Marcel EMIRIT ,La légende de Léon ROCHE, revue africaine , n-91, 1947 p88

يقول كوبولاني ان هذه الفتوى قدمت اكبر خدمة لتأسيس احتلالنا للجزائر انظر : Duppont COPPOLANI , Les confrérie religieuse musulmane , E.J, Paris, 1897, p276

[88]–ولد في 27 سبتمبر 1809 ، في قرونوبل ، تعلم اللغة العربية عن طريق المعاملة مع السكان في 1835 ، و اصبح مترجما محترفا .في افريل 1836، أخذه معه كلوزيل كترجمان الى المدية و عندها اعجبته مهنة الحرب على الترجمة فتجند في السبايس 1837، و لكن والده الغى قرار انخراطه في السبايس و هنا انخرط في جيش الامير عبد القادر لمهمة رسمية و شجعه بيجو على ذلك في 08 ديسمبر 1839 ، سمي بترجمان لدى الجيش و لقب بالحاج عمر بعدما توجه الى مكة لجلب الفتوى المضادة للأمير ، وشارك في حرب أيسلي 14 أوت 1844 ، و شارك في معاهدة 18 مارس 1845 القاضية برسم الحدود بين الجزائر و المغرب انظر : Narcisse FAUCON, Op.Cit, pp522-526

كما تواصلت عملية تشتيت القبائل من حول الأمير عبد القادر بشتى الطرق و الوسائل ، لإضعاف قوته العسكرية و إجهاض مشروع بناء دولة الجزائرية تضاهي في مكانتها الدول الأوروبية.

إذن لهذه المعاملات الداخلية مع هذه الشخصيات و أخرى لم يتم ذكرها هنا فان القوة المادية الفرنسية تقوت خصوصا في هذه المراحل الأخيرة ، و على عكسها تماما كانت قوة عبد القادر التي كانت مشاكله تتفاقم يوما بعد يوم ، وتتعارض اذا ما قورنت مع مستوى القوة الفرنسية .

كما واجه مشكلة التجنيد ، لان معظم القبائل التي كانت تمده بالقوة العسكرية قد تعرض أبناؤها الى التقتيل الجماعي و الإبادة ، الى جانب القبائل الأخرى قد استسلمت الى الفرنسيين لذلك فان خسارته للجيش في المعارك لم يكن يعوض ، و هذا ما أدى الى ضعف القوة العسكرية
و على العكس تماما القوة العسكرية الفرنسية فقط تنامت أكثر فأكثر و الإمدادات بالجيش كانت متواصلة من اجل تطويق الجيش الجزائري و القضاء عليه و خصصت ميزانية ضخمة لذلك .
كما انها جندت عدة فرق من الأهالي لمساندتها في سياستها التوسعية فنجد على سبيل المثال :

ا – **الصبايحية** : أو السبايس

تتكون هذه الفرقة من خيالة عرب، كانت بداياتهم منذ 1837 و استخدمت كفرق استطلاع فقط ، ثم تحولت إلى فرق مهمة في الجيش الفرنسي و أصبحوا تحت قيادة ماري مونج الذي كان يعرف جيدا عادات العرب و اللغة العربية .و كان الهدف من إنشاء هذه الفرق هو ضرب الجزائريين ببعضهم البعض و الوقوف ضد الأمير و رفاقه في الجهاد و الإضرار بهم [89] و قد تنظموا رسميا في جوان 1841 [90] وساهموا في سقوط الزمالة 1843.

---

[89]– BEHAGHEL, Op.Cit, pp389,390

[90]–كانت كل فرقة تتكون من 20 سرايا ب 40000رجل تحت إشراف عقيد فرنسي او من الاهالي ، وكان للجزائريين نصف الرتب من رتبة عريف الى رتبة ملازم أول ، ولكن لم يكونوا يحصلوا على الرتب العالية ، وقد كانت هذه الفرقة ترتدي السترة الحمراء و السروال الازرق و الطربوش و البرنوس المخطط بالاحمر و الأزرق و شاركوا في سقوط الزمالة انظر : Charles André JULIAN , Op.Cit, pp274;275

ب- الزواف[91] زواوة:

كان الفيلق الأول منهم من الأهالي، مجندين من طرف كلوزيل في سبتمبر 1830 و في عرش من القبائل يسمون بالزواوة [92]
أما الزواف المتطوعين فقد ابدوا شجاعة فائقة في مواجهة الأمير عبد القادر تحت حكم دوفيفي [93]
وفي 1831 تقرر دمجهم مع جيش المتطوعين من أتراك و موريين و بعض السود ، وقد فاق عددهم 600رجل [94]

ج-قناصي إفريقيا :

أنشأت هذه الفرقة سنة 1831، مشكلين فيالق مختلطة 1834 ، ففي البداية كانوا كتيبتين من الخيالة الخفيفة الأولى في الجزائر، و الثانية في وهران ، و كانت مشكلة من 6سرايا و كل سرية تضم 40 فارس .

---

(91)- هذه التسمية أطلقت عليهم من الفرنسيين ، نسبة الى الزواوة و في هذه التسمية كثير من الخبث .

(92)- Le comte de CASTELLANE , Souvenirs de la vie militaire en Afrique , G.L.E, Paris 1879, pp102-133

(93)- فرونسياد فلوروس دوفيفي ولد في روان 1794، و هو تلميذ في مدرسة البوليتيكنيك في 1812-1814، كان ضابط المدفعية و ذهب الى تونس 1825 ، كمدرس بجيش الباي و شارك في غزو الجزائر 1830، و كان محبوبا من طرف الجيش لاخلاقه النبيلة معهم
شارك في حصار قسنطينة الاول 1836 ن و الثاني 1837 ، و قاد عدة حروب ضد الأمير عبد القادر في موزايا ، المدية ...و دخل الى فرنسا لانه كان ضد سياسة بيجو و ألف عدة كتب حول الإدارة الاستعمارية في الجزائر و هذا ما سبب له العداوة و مات في 08جويلية 1848.
انظر : Narcisse FAUCON, Op.Cit, pp245-247

(94)- Charles André JULIAN ,Op.Cit, pp276,277

و الغي هذا الفوج سنة 1839 ، ثم عاد للظهور من جديد بقيادة العقيد راندون [95] سنة 1844 و قد مثلت هذه الفرق حوالي 10/9 من الجيش الإفريقي الفرنسي الاستعماري سنة 1845.
و في هذا الصدد يقول Thémistocle Listiboudois * كنا نستخدم الخونة الجزائريين الذين كنا نسميهم التركوس في مكان فيلق الاحتلال الفرنسي * [96] .

و هكذا فقد تنامت قوة فرنسا منذ 1840-1847 في الجزائر ، جيشا و مادة ، بالرغم من الحرب ، و ترسخت كقاعدة مادية في الاقتصاد سخروها من أجل إنهاك المجتمع و اختراقه بالمعارك .
و الأمير عبد القادر ضعفت قدرته العسكرية في نفس الفترة ، جيشا بسبب نقص المجندين و صعوبة التجنيد ، ماديا ، انعدام طرق التمرين ، من أحصنة ، و سلاح ، بسبب سياسة الأرض المحروقة .
و الإبادة الجماعية .

---

(95)-هو جاك لوي سيزار اليكسوندر كونت راندون ، عضو في مجلس الشيوخ ، و حاكم عام للجزائر ، ولد في قورنوبل في 25 مارس 1795 ، بدا الحرب في روسيا في سن 16 سنة تحت اشراف الجنرال مارشون عمه ، ونجى من الموت و اصبح قائد المدفعية رقم 13 ، في 1830 ، و في 1835 ، اصبح عقيد ن و في 1838 ، كولونيل و في 1841 ماريشال و حاكم عنابة و جنرال 1848 ، و عمل منصب مدير شؤون الجزائر في وزارة الحرب .
و في 11 ديسمبر اصبح حاكم عام ف الجزائر و يعود اليه سبب استسلام كل القبائل باتنة و سباو و مات في سويسرا 16 جانفي 1871 . انظر : Narcisse FAUCON, Op.Cit, pp257-260

(96)-Op.Cit, pp127,128

II-3- العلاقات الفرنسية – المغربية – التونسية .و انعكاسها على مقاومة الأمير عبد القادر.

إن اتصالات الأمير بحكام البلاد الإسلامية و الأوربية كانت تهدف منذ البداية الى إعطاء دولته بعدا سياسيا في المجال الدولي ، أساسه المصلحة المشتركة ، و قوامه المنافع التجارية بالأعراف الدولية .

لكن الملاحظ أن هذه العلاقة كانت تتحكم فيها علاقات فرنسا الدولية ، وتؤثر فيها الثورات في أوربا و في نفس الوقت ، كانت فيه نظرة الحكام في العالم الإسلامي قاصرة ، و محدودة و بخاصة فيما يتعلق بالأطراف المؤثرة في وضع الجزائر ، المغرب الأقصى ، الباب العالي ، تونس التي تحفظت في تعاملاتها مع الأمير ، دون فهم أبعاد الصراع الذي كان يخوضه ضد فرنسا. فهذه الأوضاع لم تكن تتجاوز في نظرهم مقتضيات الشرعية العثمانية ، و أحقية البيت العلوي في المغرب .

هذه الشرعية تتطلب في نظرهم المحافظة على الأوضاع ، كما هي ، و عدم القبول بأية محاولة تخل بالوضع القائم ، بالرغم من أن هذا الفهم لم يعد له مبرر أمام تحدي الآلة الاستعمارية العسكرية الدبلوماسية الأوربية ، التي سوف تكرس الهيمنة الاستعمارية الأوربية بالجزائر ، قبل أن تلحق بها الأقطار المجاورة أثناء القرن 19 م . و هذا ما فهمه و أدركه الأمير عبد القادر و لم يستطيع فهمه سلطان المغرب ، و باي تونس و قد تغلبت عليه أيضا الدبلوماسية الفرنسية في مجالها الدولي .

II-3-1- العلاقات الفرنسية، التونسية

لقد كانت هناك علاقات بين الطرفين منذ 1831 ، واستمرت حتى 1847 ، ففي بداية الأمر ، دخل كلوزيل في مفاوضات مع باي تونس ، عن طريق قنصل فرنسا في مدينة تونس انتهت سنة 1831 في 4 فبراير، و على إثرها تم التوقيع على اتفاقية كلوزيل [97] التي تقتضي بتعيين بايا تونسيا على وهران ، فعين الباي ابن أخيه أحمد و القائد خير الدين، مع مجموعة من 250 مقاتلا للتوجه نحو وهران ، مقابل دفع ضريبة سنوية لسلطات الاحتلال .

---

[97] – Charles André JULIAN ,Op.Cit, pp70,71

و فعلا فقد أقلعت الباخرة بالتونسيين ووصلوا وهران عند الساعة 09 من صباح 11 فبراير 1831 و بعد أسبوعيين من إقامة الوحدة التونسية في إيالة الغرب مع العقيد لوفول [98] .

بعدما وجدت هذه القوات خزائن بايليك وهران فارغة ، و إمكانية الحصول على موارد مالية بالطرق العادية غير ممكن و زيادة على التكاليف الحامية التونسية ، وتكاليف الإدارة ، و غير ذلك فهو قد إلتزم بدفع مبلغ ضخم من المال الى الفرنسيين (800 ألف فرنك)

طلب ممثل الباي في 16 فبراير 1831 من القائد الفرنسي إلغائها (الضريبة) .

و نظرا للرفض تم إلغاء الاتفاقية 28 مارس 1831 ، وعادت القوات التونسية الى تونس .

و الجدول الآتي يوضح دخول القوات إلى وهران[99] :

الإطار الزماني للوجودالتونسي في الجزائر	الإطار المكاني للاستقرار	الخليفة الباي في هران	الإطار الزماني للانسحاب
وصول الباخرة في 11 فبراير 1831	نزول القوات في وهران	ابن أخ الباي سيدي أحمد و القائد خير الدين	28 - 30 مارس1831

- موقفهم من المقاومة الشعبية الجزائرية :

لقد كان لبايات تونس موقف معارض و مضاد لمقاومة الأمير عبد القادر ، و عارضوا نوابهم ووكلاءهم لتقديم أية مساعدة له .

---

[98])- ولد بتاريخ 24 ماي 1775 ، و توفي في أكتوبر 1847، اشترك في الجيش الإمبراطوري كقائد فرقة ن ثم نقل الى القيادة مجموعة من جيش نابليون ، اشترك في معارك النمسا و اسبانيا ، وفي نهاية هذه العملية رقي الى رتبة عقيد اختاره حكومة باريس ليخلف الجنرال كلوزيل كقائد للقوات الفرنسية في الجزائر 1831 ، و لكن معاداته للاستيطان أدت الى استدعائه وتعيين دوروفيغو خلفا له 1831 انظر :

Paul AZAN, Les grands soldats de l'Algérie, Cahier de centenaire de l'Algérie , Paris, 1931, p14

[99])- إسماعيل العربي ، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982 .

و يجب عند هذه النقطة أن نقدم ملاحظتين هامتين:
- أن الامير عبد القادر لم يكن غافلا عن المصادر التي يمكن أن يحصل بواسطتها و عن طريقها على السلاح ، من الخارج و منها جبل طارق ، الذي يسيطر عليه الانجليز، و الذي يعتبر بوابة هامة خاصة أنه همزة وصل مع أوربا التي تتوفر فيها الأسلحة الضرورية للمقاومة ، و لقد كانت للأمير عبد القادر صلات مع الحكومة الانجليزية عن طريق مسؤوليتها في جبل طارق[100] ، و لقد أظهر بايات تونس معارضة شديدة للمقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر ، ويظهر ذلك جليا من خلال معارضتهم لوكيلهم بجبل طارق زكي كرطوزو الذي قدم مساندة للأمير عبد القادر ، و إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على موقفهم الرافض للمقاومة و المؤيد للاحتلال الفرنسي للجزائر.

فخلال تردد رسل الأمير على جبل طارق للاتصال بالسلطات الانجليزية للحصول على الأسلحة، اتصل هؤلاء الرسل بوكيل تونس ، و أحكموا ا الصلة بينه و بين الأمير فأصبح يساعدهم على جمع الأسلحة و على تنظيم الاتصالات .

و كاتب زكي كرطوزو الباي تونس [101] حوالي سنة 1841 عندما اشتد الحصار على الأمير عبد القادر ، أن يسمح له بان يواصل دعمه للأمير عبد القادر كما سبق و أن فعل ذلك و يطلب منه الرد السريع على مطلبه [102] .

---

[100] - عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس،1972، ص ص 197-229.

[101] -و يقصد به مصطفى باشا باي تونس في هذه الفترة

[102] -أرشيف الحكومة التونسية ، صندوق 78 ملف 229 ، و ثيقة رقم 04 : تتضمن مراسلات زكي كرطوزو مع حكومته حول طلب الامير المساعدة منه في شراء السلاح مؤرخة سنة 1841. .انظر الملحق رقم 02

بعد هذه الحادثة تذرع الباي التونسي بتسليم زكي كرطوزو لجوازات سفر تونسية الى بعض المغاربة ، و أرسل له رسالة يوبخه على ذلك و عنفه على الإعانات التي يقدمها للأمير عبد القادر معلنا عن علاقته الطيبة ، و المحبة الكبيرة بين الدولتين التونسية و الفرنسية ، رافضا أن يعين من يثور عليها [103] .

وبعدما تسلم زكي كرطوزو هذه الرسالة من الباي ، أعلن عن استعداده التام لقطع العلاقة مع الأمير عبد القادر ، بالرغم من أن مقدار المال الذي سلمه له الأمير المقدر ب ستة آلاف ريال لشراء السلاح مازال لديه [104]

و بالتالي من خلال هذه الوثائق الثلاث، نستنتج انقطاع كل الدعم الذي كان يحتاجه الأمير عبد القادر خاصة المتمثل في الأسلحة التي كان يحتاجها من الدول الأوروبية – عن طريق جبل طارق خاصة– و هكذا فقواعده الخلفية تخلت عنه ، و لم يحظى بالسند التونسي و لا حتى المغاربي كما سنأتي عليه في حينه لمواصلة المقاومة ، في فترة كان في اشد الحاجة إلى المساندة .

II- 3-2- العلاقات الفرنسية -المغربية

عندما سقطت مدينة الجزائر كان على رأس مقاطعة وهران حسن باي ، و كان شيخا طاعنا في السن ، له أطفال لكنه ثري الى أقصى الحدود.
غير ان شيخوخته التي حدت من مطامحه -كما يقال -، جعلته يمل الحكم و لا يركن إلا للحياة الهادئة قد دفعته إلى الاستسلام دون أي محاولة لمقاومة الاحتلال ، معتقدا ان الفرنسيين سيحترمون راحته إذا اظهر انه لا يضمر لهم العداوة ، وظل فعلا يحكم باسم فرنسا أي منذ بداية التحرك الفرنسي نحو وهران أي من 14 جوان 1831 إلى غاية 14 ديسمبر 1831، أين اضطر إلى الخروج من وهران بعدما تعرض على إثرها إلى مضايقات شديدة و كثير من الاضطهاد اضطراه الى الفرار إلى الإسكندرية و منها الى مكة المكرمة حيث قضى أيامه الأخيرة [105].

---

[103] - أرشيف الحكومة التونسة ، المصدر السابق ، وثيقة رقم 05 مؤرخة في ماي 1847 .

[104] -المصدر نفسه ، الوثيقة رقم 06 ، مؤرخة في جوان 1847 .

[105] -و قد ظل يمارس الحكم في منصبه مدة اربعة عشر عاما ، يقول حمدان خوجة انه طبع خلالها ادارته بالنزاهة و الاعتدال سوى الاندماج في السكان الذين لم يستعمل العنف ضدهم ابدا ، و لاجل ذلك ازدهر بايليك وهران ازدهارا كبيرا انظر : حمدان خوجة ، المرآة ، ترجمة م محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1982 ، ص 172

إذن بعد هذا الفراغ السياسي الذي ظهر في بايليك الغرب ، كان لا بد من ملا هذا الفراغ ، ومحاولة منها بقاء المنطقة تحت سيطرتها كان لا بد لفرنسا أن تعطي بعض المساومات من اجل تحقيق هذا الغرض، و من بين اخطر التيارات التي عقدت معها فرنسا المساومة هي المغرب الذي اتخذت من تلمسان قاعدة لنشر النفوذ المغربي للسلطان عبد الرحمن في الاتجاه الشرقي.

كان سكان تلمسان ينقسمون إلى عنصرين أساسيين ، الحضر و الكولوغلي ، و إزاء الفراغ السياسي كما سبقت الإشارة إليه ، التجأ الكولوغليون إلى المشور ،و أما الحضر فقد سبق لهم الاتصال مع السلطان عبد الرحمن [106] عندما استنجدوا به لحمايتهم عند قيام الثورة الدرقاوية 1807 م .

و أمام ذلك بعث الحضر بوفد يرأسه الصقال إلى عامل السلطان عبد الرحمن في وجدة [107] ، أبي العلاء ادريس الجراري ، وقدموا اليه رغبتهم في الانضواء تحت حكم المملكة ، و عندها التجأ السلطان إلى مجلس العلماء طلبا للرأي و الفتوى ، وبعد درس الموضوع من مختلف جوانبه عارض العلماء المشروع [108] ، و رغم ذلك أعادوا الكرة في شهر سبتمبر و بعثوا بوفد آخر من أعيان المدينة يمثل الحضر الى السلطان و قد رد الوفد فيما يتعلق باشتراط موافقة الباب العالي بان مدينتهم لا يمكن ان تنتظر اية مساعدة من القسطنطينية في تلك الظروف، و ان من حقهم تبعا لذلك أن ينصبوا على أنفسهم إماما بمعنى أن الوفد و على رأسهم الصقال قد طلبوا من السلطان عبد الرحمن أن يكون إماما عليهم، أي طلبوا منه ان يقبل الدعاء له على عكس الشيخ محي الدين الذي طلب من السلطان عبد الرحمن المساعدة .

---

[106] – تولى الحكم سنة 1822 ، و تفي بالعاصمة مكناس 1859.

[107] –بعث الوفد منذ شهر اوت 1830، بايعاز من بن نونة انظر ك اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 28

[108] –محتجين بان من الضروري ان يحصل السلطان على اذن الخليفة العثماني حث ان صاحب السيادة على المدينة كما يتحتم حصول الاجماع و اتفاق العنصرين من السكان قبل ان يحق له منح الحماية لتلمسان .

و إزاء هذا الإلحاح ، قرر السلطان تعيين خليفة له في تلمسان ، فوقع اختياره على علي بن مولاي سليمان [109] ، و قد وصلت حملة مولاي علي الى تلمسان في 07 نوفمبر 1830 ، و نزل الأمير المغربي في قصر الباي [110]

ان المتبصر لهذا التعيين من قبل السلطان المغربي يظهر نوعا ان صح عدم المبالاة لأنه إذا كان مهتما فعلا بمصير المنطقة، لما عين طفلا لم يبلغ الرشد الفكري و النضج السياسي ، كما لا يعرف معنى المسؤولية حتى يمنح مسؤولية الملك في الغرب الجزائري ، و ان دل ذلك على شيء فانما يدل على سوء تقدير السلطان المغربي للعواقب الوخيمة التي ستترتب عن هذا التعيين .و بعد المحاولات المغربية للتوجه نحو المدية تعرض المغرب إلى التهديد من الفرنسيين، الذين احسوا بان الوجود المغربي في المنطقة يهدد مشروعهم ألاحتلالي، خاصة و انه بدا يتوسع شيئا فشيئا و لهذا وجهت فرنسا سفينتين حربيتين للتهديد الى طنجة في 18 نوفمبر 1831 [111]

ولكن طريقة معاملة القوات المغربية للسكان كان مثارا للسخط بين كثيرين من العناصر ، الى جانب التهديد الفرنسي أدى إلى سحب القوات المغربية من الأراضي الجزائرية و ذلك في 22 مارس 1832.

و من هذا التاريخ سيقتصر نشاط السلطان على المساعدة المادية فقط خصوصا السلاح و المعنوية التي يقدمها للمقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر و التي فيما بعد أصبح يحسب حسابا دقيقا لما يقدمه من التأييد و العون مراعاة للجانب الفرنسي .

---

[109] –كان صبيا لم يبلغ من العمر 15 سنة ، وارفق به عامله بوجدة ادريس الجراري ليعمل كمستشار على راس قوة تتكون من 500 ، جندي و ضابط .

[110] –كان هذا القصر يدعى قارة سليمان

[111] –على ان هذه المظاهرة الحربية لم تؤثر في عزم السلطان الذي رد على التهديد الفرنسي مرة اخرى بتأكيد حقوقه قائلا ان العرب من قسنطينة و بلاد الجريد حتى تلمسان بايعوه سلطانا عليهم بطريقة شرعية و أن من واجبه أن يقبل اعتراف هؤلاء العرب و المسلمين بسلطانه.

و من خلال هذا الجدول [112] سوف نلخص الاطار الزماني و المكاني الذي دخلت فيه القوات المغاربية المنطقة و زمن الخروج.

الاطار الزماني لدخول القوات المغربية الى الجزائر	الاطار المكاني لاستقرار القوات المغربية في الجزائر	خليفة السلطان المغربي في الجزائر	الاطار الزماني لخروج القوات المغربية من الجزائر
07 نوفمبر 1830(الدخول الاول)	الاستقرار في قصر الباي الذي يدعى قارة سليمان (تلمسان)	علي بن مولاي سليمان	8افريل 1831
16 أوت 1831	الاستقرار في معسكر	محمد بن الحمري الذي جاء من فاس بعدما طلب محي الدين المساعدة من سلطان المغرب	22 مارس 1832

II- 3-2-1- المعاهدات الفرنسية المغربية و انعكاسها على المقاومة الوطنية

أ- مطاردة الأمير عبد القادر من الأراضي الجزائريـــة ولجوئـــه إلـــى الحدود المغربية

بعد سقوط العاصمة المتنقلة الزمالة سنة 1843 واستسلام العديد مـــن القبائل التي كانت تسانده ضد القوات الفرنسية ، وفي لحظة ضعف انقلبوا عليه ، فحاول الأمير أن يعيدهم إلى المقاومة الشعبية ، و ينتشلهم من أحضان الفرنسيين ، الا انه فشل في ذلك، لان الفرنسيون عرفوا كيف يحافظون علـــيهم عمـــلاء أوفياء يخدمون مصالحهم بلا شعور، ولا وعي، عن طريق الحرب النفسية ، و قد كلفتهم لمراقبة تحركات الامير وملاحقته أينما حل قصد آسره أو القضاء عليه

[112]- إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص ص 30-33

ونظرا لهذه الحالة الخطيرة التي آلت إليها القوات العســكرية الجزائريــة ، وضعف إمكانية الحصول على السلاح و الذخيرة الحربية التي أصبحت محدودة ، و بانقطاع طرق التموين ســواء داخليــا(الأرض المحروقــة ، الإبــادة) ، أو خارجيا، إلى جانب سقوط الزمالة وتأسيس الدائرة أين كان يخاف عليها كثيــرا، ومما زاد من حزنه أيضا استشهاد بن علال من طرف جيرارد [113]

فلم تكن هذه الحادثة اقل تأثيرا عليه من سقوط الزمالة ، ومع ذلك قــام بتعيين قدور بن علال لتسلم مهام عمه[114] وفي هــذه الســاعات الحزينــة ، ولحرصه على إيجاد بديل من الجزائر يناصره في إجراءاته ، اختار المغــرب الأقصى لتكون كقاعدة خلفية له ، لأنه عرف بضرورة الابتعاد مؤقتا بدائرته عن الجزائر، ونقلها إلى مكان أمين بالمغرب ، ضانا منه ان الدائرة ستكون بمــأمن هناك واستند في اتخاذ هذا القرار إلى الأسباب التالية :

– استسلام القبائل التي كان يعتمد عليها في طرق تموينه ، ومساندته ، لتعاملهــا مع الفرنسيين واستسلامهم لها بصفة من الصفات، و بالتالي ضــعفت الرابطــة السياسية الوطنية القبلية في مؤازرتها للمقاومة الشعبية .

– بعد الدائرة عن مسرح الأحداث ستزيد من حرية تحركاته ، بحيــث ســيتفرغ لمراقبة الفرنسيين عن كثب، و اعتقد أن بهذا العمل سيضع دائرته بمــأمن عــن الأيدي الاستعمارية و الغارات .

- الابتعاد المؤقت سيمكنه من إعادة تنظيم قواته المقاتلة، ويعطي بذلك نفسا قويا وجديدا للمقاومة .

---

(113)– بحيث نكل به فقد ارسل راسه الى لاموريسيير الذي بدوره ارسله الى الحاكم العام و شهر به في طريق وهران حتى مليانة ، ليكون عبرة لكل من يقف ضدهم ، وبعدها اعطوه الى ابن عمه علي بن مبارك و دفن في القليعة ، وقتل معه 404 قتيل ، و 280 سجين و 600 بندقية انظر :
BELLAMARE, Op.Cit, pp289, 290

(114)– Léon ROCHE , Op.Cit, pp379,380

- محاولة شغل الجيوش الفرنسية من جهته لتخفيف الضغط على خلفائه في الداخل [115] ولذلك اختار الحدود الجزائرية المغربية ، وتمركـــز مـــع دائرته وجنده في الشط الغربي على بعد 80كم جنوب شرق وجدة ســـنة 1843 [116]

وفي هذا الإطار صرح الجنرال بيجو في اجتماع مفتوح بعد حملة الربيع [117] * كان بإمكاني أن أعلن بعد حملة الربيـــع ، أن الجزائـــر قـــد قمعـــت وأصبحت خاضعة، ولكن فضلت ان أتريث وان أكون اقل من الحقيقة ، و لكـــن بعد هذه المعركة 11 نوفمبر 1843 التي أطاحت ببقايا مشاة الأمير وقتلـــت أول خلفائه ، يمكن أن أصرح بشجاعة أن الحرب قد انتهت * [118]

---

[115]– مع العلم انه في هذه الفترة لم يبق له سوى منطقتي :

- الصحراء الشرقية ، بقيادة محمد الصغير خليفته على الناحية وواجه ابن قانة الذي يعد من كبار مؤيـــدي الفرنسيين لفترة طويلة .
- البويرة و كان عليها خليفته احمد بن سالم الذي يعد من اقوى خلفاء الامير . انظر :

أديب حرب ، المرجع السابق ، ص ص 455،453 بتصرف .

[116]– Edward FERDINAND, BEAUMONT Vassy et de la BONNINIERE , Histoire de mon temp 1816-1875 , Paris, t4, 1857, pp360-365

أيضا : ROZET et CARETTE , Op.Cit, p649

[117]– لقد شمل هذا الاحتفال مأدبة عشاء فاخرة بتاريخ 1843/11/25

Adrien PASCAL Op.Cit , Pp218-220

[118]– AZAN Paul , l'émir Abdelkader, Op.Cit, p75

و للمزيد من التفاصيل انظر :

Achille FILLIAS, Op.Cit, pp339-400

كما أرسل الأمير عبد القادر رسالة إلى القبائل المستسلمة بحيث قال : لقد تخليتم عن دين أبائكم وتسامحتم مع الدين المسيحي، هل تنقصكم الشجاعة و المثابرة و الاستمرار لبعض الوقت ، وتحمل آلام الحرب ، وتتركون أراضـــيكم وممتلكاتكم ، فهذا دليل على أنكم لستم بحق مسلمين لا تعتقدوا أنكم ستحصـــلون على الراحة الأبدية بعد هذا الضعف ، فيما يخصني طالما لدي نفس فـــي هـــذه الحياة سوف أحارب الفرنسيين وسأتبعهم وأعاقبهم على العـــار و الجـــبن الـــذي تبذلونه . (119)

أثناء وجوده في قاعدته الخلفية بالمغرب ، اصطدم بمطامع ومطـــامح السلطان المغربي عبد الرحمن ، لأنه كان يرغب في التوسع على حساب التراب الجزائري منذ العهد المريني ، واشتد الصراع خلال العهد العثماني، ولهذا لم يكن مفهوم للتضامن السياسي المطلق موجودا ، ومما زاد في توسيع الهوة بين البلدين الشقيقين ، هو التدخل الفرنسي في المغرب بقصف كل من طنجة و الصويرة ، والذي نتج عنها معاهدة طنجـــة 1844 و لا لا مغنيـــة 1845 (120) .و بـــذلك توسعت الهوة بين البلدين واشتعلت نار الفتنة بين المغرب و الجزائـــر و الـــى جانب :

- وجود بعض القبائل المحلية المغربية في منطقة الريف ، بنـــي زناســـن ...و التي كانت مؤيدة للأمير عبد القادر ، وطلبها من الامير ان يبـــايعوه لكنه رفض ذلك باعتبار انه يقود معركة ضد الفرنسيين من اجـــل بـــلاده وليس مقاومة لسلطان المغرب .

(119)- A.G.ROZEY , Mémoire aux chambre législative , E.M.O, Paris 1842, pp49-50

(120)- Abdelkrim MEJRI , Les socialiste français et la question Marocain 1903-1912 , E.H Alger, , 2004, pp51-53

ب– الصراع الفرنسي المغربي و نتائجه

ب–1– معاهدة طنجة 10 سبتمبر 1844 :

لم يرتاح الفرنسيون لوجود الأمير عبد القادر في البلاد المغربية ، فاتخذ بيجو بموافقة وزيري الخارجية و الحربية ، احتياطات على الحدود الجزائرية المغربية كما انشأ ثلاث مراكز عسكرية جديدة لاستعمالها عند الضرورة القصوى ، كقواعد للانطلاق نحو محاربة الأمير في الأراضي المغربية وعبد الرحمن معا وهي : [121]

- اثنتين جنوب غربي تلمسان في سبدو و سعيدة .
- واحد غرب تلمسان على بعد 25 كم شرقي وجدة أي في لالة مغنية .

اين قام الفرنسيون بحفر الخنادق في هذه المنطقة التي تعتبر مقدسة عند المغاربة وهذا ما أثار حفيظة السلطان المغربي ، فتوجهت حملة بقيادة المأمون بن الشريف على كتيبة من الجند ووجهها السلطان الى وجدة و عززه بابي الحسن علي بن القناو ي[122] اين وجه إنذارا الى لاموريسيير بإخلاء مواقعه من لالة مغنية ، ولكن هذا الإنذار لم يجدي نفعا و دخل الفرنسيون حتى منطقة أيسلي للبحث عن الأمير ، وفي 14 اوت 1844 [123]– دارت بين الجيوش المغربية و الفرنسية معركة ايسلي [124] بحيث استعد لها السلطان بحشد جنوده فشكل حوالي 30.000 فارس [125]

و دعم ابنه بها محمد و التي واجه بها الفرنسيين في ايسلي بعمالة وجدة التي تبعد ب 08كم جنوب غرب وجدة.

---

(121)– REVUE DES DEUX MONDE , Tome 9 , XV année , nouvelle série 01/01/1845 , Paris , 1845, p962 .

(122)–هو من اعيان رباط الفتح المغربي ، و عين كحاكم وجدة بالمغرب .

(123)– De MARTEMPREY , Op.Cit, pp 185-187

(124)–ينبع هذا الوادي من مرتفعات الاطلس التلي و يتجه بسرعة نحو الجنوب الغربي باتجاه البحر ، يخترق مجراه المتعرج جبالا وعرة و اودية عميقة و تكثر حوله الاشجار و الاغطية النباتية انظر ، اديب حرب ، المرجع السابق ، ص481

للتعرف أكثر على هذه المعركة انظر : – service historique de la défense , Armée de terre , cart. 1H97, Le Plans de la bataille d'Isly

:1H97 - Rapport sur la bataille D'Isly du maréchal BUGEAUD

:1H97 - Ordre du marche De l'armée commandée par le maréchal BUGEAUD (la tête de sanglier du BUGEAUD)

(125)– IDEVILLE, Op.Cit, pp531-534

و في هذه الأثناء كان عبد القادر في هذه الناحية ب 500 فارس فقط ،و انهزم في هذه المعركة جيش الخليفة محمد ولد السلطان [126] ، والتي سبق أن قدم الأمير عبد القادر له النصائح ،ولكنه لم يأخذها بعين الاعتبار [127] .

كما تزامنت هذه المعركة بقصف كل من موغادور وطنجة ولمدة 09 ساعات من الثامنة صباحا وحتى السابعة عشرة مساءا ، خاصة وان مدينة موغادور كانت تمثل كخزينة لثروة الملك الذي يمتلك فيها تقريبا جميع الأراضي، وتم قصفها في 15 أوت ، أما طنجة في 06 أوت وتم احتلال كل من موغادور وطنجة [128] ووضع حامية فرنسية في موغادور تتكون من 500 مقاتل [129]

وكان الهدف من هذا القصف هو إجبار السلطان عبد الرحمن لمنعه عن مساندة الأمير عبد القادر .

وكللت هذه الأحداث بمعاهدة طنجة 10 سبتمبر 1844 وذلك بعد التدخل الرسمي للمبعوث الدبلوماسي الانجليزي دروموند هاي الذي اقنع المغاربة بأنه لا يجب انتظار أي مساعدة أوروبية ، وخوفا منه من ضعف الحكومة أمام فرنسا ، ومعرفته بان عدم الرضوخ لفرنسا سيجعل من الحرب تطول أكثر، عمد السلطان عبد الرحمن إلى قطع المؤونة عن الأمير عبد القادر و أيضا انتشال أعمال اللصوصية في الأراضي المغربية بسبب هذه الظروف .

---

(126)- هناك اختلافات كثيرة حول احصائيات الجيوش في هذه المعركة ففي حين يقول السلاوي ان السلطان جهز 30000 فارس ، الا ان كل من ROZET et CARETTE فيقولان ان السلطان ارسل بعض المئات من الكشافة الذين هزمناهم بكل سهولة .

انظر : السلاوي الناصري ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الأقصى ، القسم الثالث ، ج09 ، دار الكتاب، المغرب، 1956، ص ص 50-56 و للمزيد من التفاصيل انظر :

ROZET et CARETTE, Op.Cit, pp652-653

(127)- ZOUMOROFF Philippe et autre , Abdelkader , E.F, A1994,PP345,346

(128)- DR WARNIER ,Le conflit franco-marocaine de 1844, REVUE AFRICAINE , N-94 , 1950, pp399-425

(129)- Alexandre DUMAS ,Op.Cit, pp270-283

بسبب هذه الظروف كلها ألف الطرفين وفدين من باريس وفاس للتباحث [130] . كانت هذه المحادثات طويلة ، أسفرت عن معاهدة طنجة التي صادق عليها السلطان عبد الرحمن ولويس فليب ، ودخلت حيز التنفيذ في 26 أكتوبر 1844. وتتكون هذه المعاهدة من 8 مواد [131] وقد تعرضت بصورة جدية لمصير الأمير عبد القادر وحاشيته، وكذا لمصير المقاومة الشعبية الجزائرية في حد ذاتها . تنص بنود هذه المعاهدة على:

- منع المساعدات عن الأمير عبد القادر
- واعتبار الأمير عبد القادر خارجا عن القانون أينما وجد ووجوب على السلطتين الفرنسية و المغربية مطاردته من الأراضي الجزائرية المغربية إلى أن يطرد من البلدين أو يلقى عليه القبض ويسجن في إحدى المدن الساحلية المغربية على المحيط الأطلسي إذا القي عليه القبض من السلطة المغربية أو يحترم ويعامل معاملة حسنة إذا القي عليه القبض من طرف السلطة الفرنسية .

وبالتالي في هذه الأشهر الأخيرة (1844/12/11) كان الأمير عبد القادر، مختبئا عن المغاربة و الفرنسيين ولم يحصل على اية معلومات جديدة في وقت كان بن سالم خليفته الماكث في الجزائر في أمس الحاجة إلى المساعدة وينتظر النجدة .

(130)- كان الوفد الفرنسي يتكون من نيون NION الذي كان كقنصل فرسنا في المغرب و الدوق غلوسبرغ GLUSBER سكرتير السفارة الفرنسية في مدريد و الدكتور وارنييه WARNIER و هو طبيب عسكري اما الوفد المغربي فكان يتكون من الفقيه بوسلام ، أبي سلهام علي ازطوط عامل العرائش .

انظر : اديب حرب ، المرجع السابق ، ص 501

(131)- BELLAMARE ,Op.Cit ,pp293-296

وفي 18 مارس 1845 تم التوقيع من الطرفين على معاهدة أخرى هي لالا مغنية نظرا لبقاء العديد من القضايا عالقة بين الطرفان الفرنسي و المغربي . هذه المعاهدة شارك فيها ليون روش من اجل تسطير الحدود الجزائرية المغربية بناءا على الوثائق العثمانية مع بقاء شروط المعاهدة السابقة قائمة في مواجهة الأمير عبد القادر و مطاردته [132] .

III- المعارك الأخيرة للأمير عبد القادر و احتضار جيش المقاومة .

III- 1- معاركه الأخيرة مع الفرنسيين

في ديسمبر 1844 وتنفيذا لمعاهدة طنجة أرسل الملك عبد الرحمن بلاغ نهائي لعبد القادر يطلب فيه تفكيك جيشه والتحاقه بفاس ليقطن فيها هو وعائلته فاستدعى الأمير نزولا عند هذا الطلب مجلسه للشورى و المكون من: **البوحميدي، بن تهامي، البركاني، الميلود بن عراش،** و قد تم بالإجماع رفض هذا الاقتراح حيث تمركزوا في قبيلة بني سناسن عندها حصل على تأييد العديد من قبائل منطقة الريف .

وأثناء بقائه في المغرب راسل بن سالم الأمير عبد القادر بعدما ضيق عليه الخناق، واستقر في باتنة (بوجي) واخبره فيها بان المخابرات الفرنسية تروج نبا لوفاته في الجزائر [133] . واستنجد به واعلمه بتضييق الخناق عليه ووقوف القبائل ضده . ولكي ينفي الأمير عبد القادر دعاية موته وعدهم بالعودة في ظروف مواتية .

---

132) SHD, Op.Cit , 1H28 : Traite du 18 Mars 1845 entre l'empereur des Français , et l'empereur d'Algérie Et l'empereur du Maroc . le traite porte sur la mutuelle reconnaissance des possessions des Deux empereurs ,1845.

(133)- و قد تم الترويج لفكرة ان والدته لا لا الزهرة تكتب مكانه و كان الهدف من هذه الإشاعات التي استعملتها فرنسا تهدف إلى إفشال أي محاولة مقاومة ضدها سواء من خلفائه المتمركزين في الجزائر او حتى أي مقاومة أخرى و ذلك لان الأمير عبد القادر كان دائما و ما يزال الرمز الوطني

ففي 30 جانفي 1845 حدثت اضطرابات داخلية: فأولاد إبراهيم من درقاوة هاجموا على تكنة في بلعباس وقتلوا 20 جندي وكل أتباع مولاي الطيب ، كما تحركت قبائل صحراوية ، وفي تلمسان ، سيدي فاضل وخيالة الإنجاد ، كذلك ظهور الحركة المسلحة التي تزعمها بومعزة [134]. عندها قرر الامير عبد القادر العودة الى الجزائر من جديد لمواصلة المقاومة الشعبية التي لطالما نادى بها فدخل عبر شمال الشط الغربي عندها اعلم قائد وجدة (القناوي) لاموسيير بهذا التحرك لعبد القادر –مما يعني وجود تعامل فرنسي مغربي متواصل–

دخل الأمير عبد القادر من جديد إلى الأراضي الجزائرية ،أين كان معلن عنه في مركز للعقيد مونتانياك بجمعة الغزوات ، ورغبة منه في القضاء على الأمير خرج في 21 سبتمبر 1845 وكان معه القائد كوست فرومون وكوربي دوكونيور على رأس فئة مكونة من 24جندي و 62 من الخيالة وكان الهدف من هذا الخروج هو منع التقاء عبد القادر مع بن علي (أغا الغسال) و بومعزة (الشلف) . ولهذا كان لقاؤه بعبد القادر في 22 سبتمبر ليلا في ضريح سيدي ابراهيم [135] واستطاع الأمير خلال فجر 23 سبتمبر من تحقيق انتصار كامل على هذه الحامية بعدما مات مونتانياك [136] متاثرا بجروحه، و قتل كوست فرومون ولم يبق سوى جيرو و النقيب كوربي مع 80 من الخيالة الذين تحصنوا بقبة سيدي إبراهيم وبقوا لمدة ثلاث أيام بدون أكل ولا شراب .

---

134)- اسمه الحقيقي هو محمد بن عبد الله و يلقب بابي معزة ، ينتسب إلى قبيلة خويدم في واد الشلف ،و الظهرة حيث اظهر دعوته سنة 1845 ، للجهاد على عناصر قبيلة الفليتة ، و شيخها بن جلون فنجحت دعوته الى حد ما ، و خضعت له بعض القبائل بجبال الظهرة و الونشريس ووادي الشلف ، و هاجم حامية مستغانم و منها تابه سانت ارنو و بليسييه و في هذه الفترة حدثت جريمة ولاد رياح في كهوف القنطرة من قبل سانت ارنو و هذا ما اثر عليه فالتجا الى جبال الونشريس و اخذ ينتقل من مكان إلى آخر حتى استسلم لسانت ارنو في الشلف و نقل إلى باريس سنة 1847 و منها الى الاستانة التحق بالجيش العثماني .انظر :

CASTELLANE, Op.Cit, PP108-144

و للمزيد من التفاصيل انظر : LYNADIER et CLAUZEL ,Op.Cit, pp215-218

Djellal BELHAI, Les dons de la mer, E.P.H, ALGER, 2006, p142

135)- يقع على بعد 03 كم شمال شرقي سيدي موسى و في وسط سهل لا يصلح للزراعة و لهذا الضريح مدخل واحد انظر اديب حرب ، المرجع السابق ن ص 526

(136)- للمزيد من التفاصيل حول المعركة انظر :

Jules DAVID, Op.Cit, pp9-15

عندها قرروا الخروج يوم 26 سبتمبر وحاولوا التوجه نحو جمعة غزوات ولكنهم أبيدوا كلهم ، ولم يبق منهم سوى عشرة منهم اسروا ومن بينهم رئيس السارية كوربي دوكونيور .
وخلال هذه المعركة أصيب الأمير برصاصة في شحمة اذنه [137]و رغم ذلك الا انه استطاع مع المجاهدين أن يحققوا انتصارا كاملا .

بعد تسعة أيام من هذا الانتصار توجه الأمير نحو ناحية بني عامر أي في 27 سبتمبر عندما أرسل كافينياك 50 عسكري و 200 رجل وعدة وعتاد ومؤن لتقوية ثكنة عين تموشنت ،وكان يقود الموكب الملازم ماران ، ومعهم 20 ألف من ذخيرة البارود . وفي 28 سبتمبر واجه عبد القادر و البوحميدي الجنود الفرنسيين الذين استسلموا دون مقاومة وكان منهم 3 ضباط[138]، 20 عريف، 10 رتباء و 171 جندي.

ولقد شهد الجنرالات الفرنسيين بعودة الأمير عبد القادر بكل قوة ونجاح وهذا ما نستشفه من خلال رسالة كافينياك للامورسيير قائلا : " لقد أصبح عبد القادر سيد البلاد التي تمتد من الحدود الشمالية وأعالي التافنة ، انه لنجاح هائل لعبد القادر وأنا اشعر أنني عاجز عن وضع عوائق في طريق زحفه" [139] .

كان لهذه العودة لعبد القادر أثرها المعنوي على أتباعه وخلفائه، فأعاد لهم الحماس من جديد للقتال و الجهاد في سبيل الوطن ، واوجد بذلك وحدات عسكرية جديد مقاتلة . وبسبب كثرة تنقلاته في الفترة من أواخر سبتمبر وأواخر أكتوبر 1845 صعب على القوات الفرنسية معرفة وتحديد مكان تواجده مما اضطر بيجو للعودة إلى الجزائر في 13 أكتوبر 1845 ووصلها يوم 15 أكتوبر من نفس السنة [140] .

---

137)- Paul AZAN , Sidi Brahim : Dictionnaire biographique internationale des écrivains , par Henry CORNOY , E.L.F, PARIS, 1902, pp208-292

(138)- و هم الطبيب كاباس ، هيلاران ، و ماران .انظر : اديب حرب ، المرجع السابق ، ص 538

(139)- ROZEY , Op.Cit ,PP129-140

(140)- كان بيجو قبل هذا في بيته في اكسيدوي ، و قد كان متذمرا من حكومته، و قد ربط رجوعه الى الجزائر بوعود الحكام بالاخذ بعين الاعتبار افكاره الاستعمارية .

ومع الدعم القوي وفور وصوله مارس عملية تمشيط وإبادة واسعة وشاملة فقمع قبائل ولهاصة، ترارة، سواحلية، مسيردة، وذلك لقطع اي تعامل مع عبد القادر او تزويده باي مؤونة .
كما قمع في 07 نوفمبر أولاد شعيب الذين استضافوا الأمير عندهم . وعندما وصلته أخبار عن مكان وجود الأمير جهز 18 فرقة لملاحقته بقيادة الجنرال يوسف ولكن هذه الملاحقة لم تسفر عن شيئ فقد ظل عبد القادر مدة 07 شهور مشى فيها مسافة تعادل 3890كم اي 5.56 فرسخ من الغرب الى الشرق ومن الشمال الى الجنوب ، من السهول المحرقة للصحراء الى القمم الثلجية في القبائل الكبرى ، وبذلك ترك فيهم التعب و خوران القوة و اللهث فعادوا إلى الثكنة دون أي نجاح [141]

وفي 23 ديسمبر تمكن الجنرال يوسف من الاشتباك مع عبد القادر في تمدة ، واخذ جزءا من أمتعته وأثناء المواجهة قتل تحته حصانه . وبعد هزيمته التالية أمام يوسف توجه نحو ورسنيس بالشلف وعين الحاج محمد الصغير بن سيدي مبارك خليفته وتوجه نحو الهضاب العليا لنجدة بن سالم . [142]

وفي 05 فيفري اشتبك مع الجنرال جانتير وبلانجيني وقد قتل تحته حصانين و رغم ذلك ظل صامدا واستطاع الفرار مع بن سالم ووصلوا حتى قبيلة ايت اسماعيل ومنها حضر اجتماع في برج بوغني من منطقة القبائل وألقى خطابا فيها يحث على الجهاد لكنه لم يبد أية نتيجة . وكان هذا الاجتماع في 05 مارس 1846. ومن القبائل المؤيدة كانت الايرثن، يني، صدقة، و الواسف

(141)- و خلال هذه المسافة كان الطويلة كان عبد القادر يهاجم بصورة حاطفة مخلفا بعض القتلى و الجرحى في صفوف الفرنسيين بسبب تكتيكه الحربي الكر و الفر .

(142)-في 24 جانفي 1846 ، راسل ارنو اخيه يخبره عن الصعوبات التي تواجههم لمواجهة الامير عبد القادر و يصفه بالرجل المتحرك كالعصفور و قال كان يمشي 0 3 فرسخ أي ما يعادل 150 كم في الليلة الواحدة .. انظر : Saint ARANAUD , Op.Cit , p851

ومنها انطلق نحو الجنوب الوهراني وخلال طريقه قتل معه 70 رجلا منهم خليفته بن كليكة و250 حصان و 1000جمل و 25 ألف من الماشية و الأبقار ، وأخلى في طريقه كل من الملازم لاكوت(كان كرئيس للمكتب العربي بتيارت) وليفي (الترجمان) اللذان كانا متأثران بجروحهما [143] .

واستطاع عبد القادر الوصول إلى جبل عمور عند أولاد نايل ، وفي نفس الوقت وقعت حادثة قتل الأسرى الفرنسيين في الدائرة [144] من طرف مصطفى بن تهامي بعدما منعت الدائرة من كل مؤونة في الأراضي المغربية وكان عددهم 280 ، خاصة بعدما باءت كل محاولات تبديل الأسرى بالفشل [145].
وفي ليلة 24-25 ابريل قتل منهم 170 و11 اخذوا إلى الدائرة . وفي وقت كان الأمير يبعد 600كم عن المنطقة ووصل إلى جبال القصور في 24 ماي 1846عند أولاد سيدي الشيخ لطلب المساعدة ، لكنهم رفضوا بحكم قوة فرنسا وخوفا من الإبادة ، عندها عاد أدراجه إلى الدائرة لرؤية أهله الذين غاب عنهم مدة سنة كاملة

الدائرة كانت موجودة على ضفاف الملوية وبعد انضمامه لها اخذ دائرته وتوجه بها نحو تازة وخوفا من رضوخ قبائل المنطقة لعبد القادر طلب سلطان المغرب من ابنه محمد ولي العهد في فاس بمطاردة عبد القادر الذي لقب بالمخرب . ونظرا لهذا التهديد تقدمت الدائرة و 11 اسير نحو منطقة عين الزهرة ، وفيها راسل السجين كوربي كل من كافينياك ، بيجو في طنجة يعلمهم برغبة عبد القادر بإطلاق سراح الأسرى المتبقين، وأعلمهم بانه كان سخيا وطيبا معهم ولذلك يجب إطلاق صراح سجنائه [146] .

---

143)- قبل وفاته اقر لاكوت بان الخروبي كاتب الامير عبد القادر السابق الموجود بالجزائر منذ 03 سنوات هو ما يزال على علاقة بالامير و يمده بالمعلومات و عندها القي عليه القبض .

انظر : ZOUMOROFF, Op.Cit, p70

(144)-لمزيد من التفاصيل عن هؤلاء الأسرى العودة الى :

François Antoine ALBY, Les vêpres Marocaines ou les derniers prisonniers d'Abdelkader, E.L.N, PARIS, 1853, pp295-335

(145)- لقد رفض بيجو تبديل الأسرى لان بيجو كانت لديه فكرة منذ 25 ماي 1843 ، تتمثل في محاولة تحويل الأسرى الجزائريين الى كولون في فرنسا و لتجنب مصاريفهم الكثيرة يتم تقسيمهم للعمل في القرى الفرنسية خلال سنة او سنتين خاصة و انهم بحاجة الى يد عاملة و العرب يعرفون كل اعمال الفلاحة ما عدى الحصاد و قرر ارسال 300 او 400 سجين جزائري من مختلف الجنسين الى فرنسا للعمل في الحقول الفرنسية .

(146)- انظر : ZOUMOROFF, Op.Cit ,p376

ولكن بيجو كان دائما يعتبر عبد القادر خارجا عن القانون لذلك رفض تبادل الأسرى معه .
وقد كللت سنة 1847 بحادثتين أثرتا فعلا على نفسية الأمير عبد القادر :

- أولهما: وقف بن سالم للقتال في 28 فبراير 1847 في سوق الغزلان [147] وتبعه كل من بلقاسم اوقاسي وسيدي عبد الرحمن من جرجرة (أصدقاء بن سالم) في 10 ابريل 1847 ونقل إلى بلاد الشام في 24 سبتمبر .
- وثانيهما: بتاريخ 13 افريل 1847 استسلام بومعزة للجنرال سانت ارنو واخذ إلى باريس بعد عدة معارك في الورسنيس و الشلف [148] .

III-2- معاركه الأخيرة مع المغاربة .

في ربيع (ماي) 1847 تركت الدائرة عين الزهرة وتوجهت إلى عين أحلاف وسط قبائل الريف التي كانت مؤيدة لعبد القادر وهنا كان ينتظره مولاي هاشم ابن أخ الملك و القائد احمد بن الأكحل بقوة كبيرة ، هذه القوة ساهمت في القضاء على قبيلتي بن عامر و الحشم و الجعافرة الذين أخذهم البركاني إلى فاس واظهر رغبته في مساندة الأمير فأبيدت هذه القبائل من طرف السلطان المغربي وقد صور مشهد هذه الحادثة الناصري السلاوي بقوله " بدأ جيوش هذه القبائل يقتلون أولادهم ونساءهم خشية العار وكانوا يستعملون موتاهم كدروع لتحميهم من الموت وعندما فشلوا في مواجهتهم قتلوا أنفسهم حتى لا يقعوا أسرى في يد المغاربة "[149].
وبهذا فقد الأمير أهم قوة عسكرية كانت تمده بالمقاتلين وفي نفس الوقت كان جيش الاحتلال بقيادة يوسف ورينو متواجد في الصحراء وأصبح يسيطر على واحات الصحراء من غير منازع [150] .

---

(147)- قبل ان يقدم بن سالم على هذا العمل قام بتقسيم منطقته الى ناحيتين ، الاولى الى شقيقه عمر بن سالم و الثانية الى بلقاسم اوقاسي انظر : IDEVILLE , Op.Cit, pp147, 148

(148)- Pierre MONTAGNON, La conquête de l'Algérie : Les germes de la discorde 1830-1871 , E.G.W,PARIS, 1993,p361

(149)- السلاوي ، المصدر السابق ، ص ص 56-57

(150)- Charles André JULIAN, Op.Cit,p205

أما السلطان عبد الرحمن ، فقد جند بناءا على طلب الفرنسيين 30000مقاتل بقيادة ولديه محمد وسليمان، إلى جانب قائد منطقتي وجدة و الريف [151] ، هته الأخيرة التي أرغمها عبد الرحمن للانضمام له بعدما قام برازيا شنيعة وغزوات دامية ، ومصادرات وغرامات إجبارية للدفع وتعذيب وتنكيل ، نشرت الرعب في كل المملكة وذلك قبل وصوله الى فاس في نوفمبر 1847 ، أين سلم ولداه الإمدادات وانطلقوا نحو نهر ملوية [152] .

وكان التنسيق تام بين المغاربة و الفرنسيين في مطاردة عبد القادر ، فكانوا يعملون على عمودين : العمود الأيسر بجانب جبال الريف و العمود الأيمن يتجه نحو ملوية وفي نفس الوقت قائد وجدة كان يجمع المخزن (القومية) .

أثناء هذه الاستعدادات وفي 17 نوفمبر تعرض عبد القادر من منطقة بني سناسن للضرب وهذا ما ألزمه للرجوع إلى الوراء وكان الحصار من كل ناحية ففي الشمال البحر غرب و جنوب غرب الجيوش المغربية ، الجنوب الشرقي قائد وجدة وبني سناسن عندما وجد نفسه في هذا الموضع أرسل وفدا يتكون من البوحميدي للمفاوضات مع سلطان المغرب ، وصل البوحميدي يوم 27 نوفمبر ولكنه استقبل في 03 ديسمبر وخلال المفاوضات ظل الملك متمسكا بمسالة الاستسلام للأمير ورفاقه فسجن البوحميدي بعدما اتهم بقتل ابن الأحمر واجبر على تناول السم [153] ومات خلالها.

(151)- كان الجيش المغربي يتكون من الودية : اسم يطلق على جزء من الخيالة التي تشكل قوة المملكة و كان عددهم 3000.

أما عبيد البخاري فكانوا يشكلون الخيالة السود و عددهم 3000 أيضا .

انظر : Léon ROCHE , Op.Cit, pp 464-468

(152)- يصب هذا النهر من الجنوب إلى الشمال البحر المتوسط ينبع على 04 فرسخ من الحدود الجزائرية و على 06 فرسخ من ميناء جمعة غزوات أي ما يعادل 17 كم على الحدود الجزائرية و 26.60 كم على ميناء غزوات أي ما يعادل الساعة انظر:

LESURE C.L, Annuaire historique, PARIS, 1848, pp15-18

(153)- Thémistocle LESTIBOUDOIS ,Op.Cit, pp389-392

وبعدما علم الأمير بسجن صديقه المقرب وصل منطقة سلوان وهاجم في ليل 11 حتى صباح 12 ديسمبر 1847 القوات المغربية بقوة لا تفوق 500 فارس استطاع القضاء على العديد من الرجال (على حسب الإحصائيات 100 قتيل)، أما من جانبه فقتل له 200 خيال وعدة جرحى وهذا ما ادى الى انسحابه الى نهر الملوية لحماية دائرته من التقدم المغربي وانحصر جهده في هذه المرحلة القادمة فقط للدفاع عن الدائرة التي تحوي عائلته و الأطفال و النساء و الشيوخ و حيواناتهم و خيولهم وأمتعتهم وهكذا فقط انتهت المقاومة رسميا في معركة سلوان التي تعتبر كخاتمة لمسيرة جهادية دامت 15 سنة .

VI- المفـــاوضـــــات [154]- مع لامـــور سييـــر و اتفاقية وقف القتال

توجهت الدائرة من نهر الملوية نحو واد كيس في 21 ديسمبر 1847 (الذي يقطع حدود المغرب و الجزائر) ليتجه بعد ذلك الى قمة كربوس . توقف المغاربة عند هذه الحدود ولامورسيير ظل في الحدود الجزائرية المغربية وعسكر عند هذا الوادي (واد كيس) خوفا من فرار الأمير إلى الصحراء وفعلا فقد كان الأمير يفكر بالخروج من التراب الجزائري من المغرب ويفر نحو الصحراء ولتحقيق هذه الغاية كان يعرف انه من اللازم المرور بممر عبر الجبال ومنها الى الساحل وبالتالي الوصول . لذلك فقد عرف لامورسيير بهذا الممر فأرسل ليلا الملازم الأول للصبايحية المسمى بوخوية كمستطلع وفعلا فقد التقى هذا الأخير بموكب الأمير وتبادلوا طلقات نارية ولهذا السبب وصلت الخيالة الفرنسية وحاصروه في الساحل [155] .

---

[154]- و معناها اجتماع لدراسة الاوضاع و معرفة مطالب الطرفين لوقف القتال و يتم الموافقة عليها من الطرفين

[155]- لمعرفة تفاصيل اكثر حول هذه الاوضاع السيئة في مراحل المقاومة الاخيرة :

انظر : D'HERISSON , Op.Cit, pp312-365

وفي هذا الوقت اي بمحاصرة القوات المغربية له من نهر ملوية وبني سناسن ومحاصرة القوات الفرنسية له ما وراء هذا النهر وفي الطريق المؤدية للجنوب (الصحراء) فكر في المواجهة ، فظهر له عدم توازن القوى تماما، وبالإضافة الى الصعوبات التي قد تتعرض لها الدائرة و النساء و الأطفال و الشيوخ ، وخصوصا مع وجود المصابين و الجرحى، اقتنع الأمير بضرورة اخذ قرار حاسم في الدقائق القادمة.

VI-1- التقرير بالإجماع ، لوقف القتال

بعد زوال كل سبل النجاح أمر الأمير عبد القادر كل دائرته بالاجتماع معه، و بحضور مجلس للشورى في 22 ديسمبر 1847 وخطب فيهم قائلا وهو بكامل يأسه و حزنه " تذكروا العهد الذي أعطيتموه لي في المدية عندما عاودنا الحرب ، العهد الذي لا يمكنكم نسيانه مهما كانت الإخطار و المعاناة ، وقالوا له كلنا نتذكره ومثبتين به ، قال : هذا العهد اعتبرته ربط بينكم وبيني وهذا الاعتقاد الوحيد الذي حثني على المثابرة في الجهاد حتى هذه الساعة ورغم اللامل ، كنت متمسكا بأنه لا يوجد مسلم مهما كانت درجته وشرفه ان تكون له فرصة لاتهامي بأنكم عاهدتموني وعاهدتكم ثم أخلفتكم أو إنني لم أقم بما يجب لنصرة كلمة الله، وإذا تصورتم أنني يمكن أن افعل أي شيء حتى الآن، فقولوها لي وإذا لا يوجد ما تقولونه لي اطلب منكم بان تسمحوا لي بان أتبرا من العهد الذي منحتموني إياه " فقالوا له " نشهد كلنا أمام الله بأنك قمت بكل ما استطعت ما كان يمكنك فعله و الله سيجازيك يوم الحساب " (156)

قال : " إذا كان هذا هو رأيكم هناك ثلاثة حلول أمامنا :

1 - نرجع للدائرة ونواجه الكل – وهذا ما يشبه الانتحار –
2- نبحث عن طريق للصحراء وهذا يؤدي بالنساء و الأطفال و الجرحى الى لسفر الطويل وقد يتعرضون إلى الهلاك أو يمسك بهم العدو
3- أو وقف القتال.

(156)- CHURCHUILL, La vie d'Abdelkader ,M.H , Alger , 1981, p270

فكان ردهم نحن نتبعك أينما كنت و أينما ذهبت ، جاهد أو أوقف القتال كما تريد فنحن معك فقال لهم بكل تأثر * صدقوني الحرب انتهت يشهد الله اننا جاهدنا طالما كنا قادرين و ما علي الى الله أديته و عند عجزي لا عتاب علي * [157] و في هذه الأثناء استسلم كل من مصطفى و السعيد شقيقي الأمير عبد القادر للجنرال لاموريسيير بمرافقة مجموعة من الأشخاص [158]

و لذلك و في ظل هذه الظروف القاسية و الصعبة تقرر بالإجماع وقف القتال و ظل النقاش قائما عن الجهة التي سيتم التفاوض معها للفرنسيين ام المغاربة عندها تقرر بداية المفاوضات مع لاموريسيير [159] ، فأرسل الأمير عبد القادر مندوبين الى قائد مقاطعة وهران منهم موح اليزناسي يحملون شروطا لوقف القتال ، فحمل بوخوية بدوره شروط الأمير الى الجنرال لاموريسيير [160] بعدما وضع الأمير عبد القادر خاتمه على ورقة نظرا لسوء الأحوال الجوية متمثلة في الأمطار و الليل الحالك و أعطاها للمندوبين عنه لتسلم إلى الجنرال لاموريسيير كإشهاد و ضمان العقد الشفوي في اسمه ، وطلب من خلال هذه المفاوضات المبدئية الأمان و كذا رغبته في التوجه إلى الإسكندرية أو عكا [161] .

---

(157)- Département des Archives de la ville de Toulon ,1DOC12 ,La détention D'Abdelkader au FORT LAMALGUE,pp1,2 , 1847-1848.

(158)- Archive nationale -d'Aix en Provence ,Archives nationales du gouvernement de l'Algérie , E229/1 , Les Arabes venus de l'Algérie avec les frères d'Abdelkader,1847

انظر ايضا : JUST Jean , Etienne ROY , Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus anciens jusqu'à nos jour , E.M, PARIS, 1859, pp248, 327

(159)- في بداية الأمر أعطى الأمير عبد القادر حرية الاختيار لرفاقه ، و هو اختار على حسب قوله ان اطلب التسريح لي شخصيا و لكل من يرغب أن يتبعني إلى وطن مسلم .انظر :

Ferdinand de CORNOT, Recueil manuel et pratique de traite de convention et autre Diplomatique, E.B, PARIS, 1849, PP419-420

(160)- هو من بنات الجيش في إفريقيا ، ويسمى لويس كريستوف دي لاموريسيير و هو الجندي المخلص لدوبرمون ، الملازم المفضل لبيجو ، العدو الشرس لعبد القادر . انظر :

L'évêque d'Orlèon DUPANLOUP, Oraison funèbre du générale Lamoricière, PARIS, 1865, pp7, 8

(161)- كانت طلبات الأمير عبد القادر كالآتي ، نريد أن ترسل لنا كلمة فرنسية لا تنقص و لا تتبدل و تضمن لنا نقلنا إما إلى الإسكندرية أو عكا و دون اتجاه آخر انظر: 1DOC12, Op.Cit, même page

للمزيد من التفاصيل العودة إلى: Emile GIRARDIN, Op.Cit pp46-77

وصل بن خوية و المندوبين و اظهروا الخاتم للاموريسيير و عبروا له عن طلباته ، فقبل لاموريسيير بهذه الشروط و بسبب الأمطار لم يكتب لاموريسيير في بداية الأمر الموافقة و انما عبر عن قبوله الشروط بإرسال سيفه و خاتم القائد بازان [162]

و بوصول هذا الجواب و السيف و الخاتم للأمير عبد القادر و بعد توقف المطر ، تم تثبيت هذه الشروط في رسالة وأرسلها مع المبعوثين من جديد إلى الجنرال لاموريسيير الذي استدعى الصقال من تلمسان لقراءتها ، ومنها وثق وعوده في اتفاقية [163] ، وقف القتال .

VI -2- مصادقة الدوق دومال على التعهد المقدم من لاموريسيير

و مباشرة بعد استلامه لرسالة الأمير عبد القادر ، أرسل لاموريسيير رسالة إلى الدوق دومال جاء فيها :

* الناس الذين حادثتهم هذا المساء أكدوا لي حالة الضياع التي يوجد فيها الأمير عبد القادر ، ... عندها بدأت في صياغة هذه الرسالة و أنا تحت وقع هذه الأخبار المتضاربة ، حتى جاءني بن خوية بصحبة مبعوثي الأمير ، كان يحمل لسيفي و خاتم الكومندار بازان ، إضافة الى رسالة من الأمير عبد القادر كتبها صهره مصطفى بن تهامي ، أردف نسخة منها مترجمة صحبة هذه الرسالة و جوابي عليها ، وجدت نفسي مجبرا لاتخاذ هذه الالتزامات تجاه الأمير عبد القادر و لي الثقة الكاملة في سموكم و الحكومة في تزكيتها إذا وثق الأمير في الأمان الذي أعطيته له...* [164]

---

(162)- جاء جواب لاموريسيير اضافة الى السيف و الخاتم كما يلي : وصلني امر ابن الملك لويس فليب لقبول الامان الذي طلبته مني ن و قبول ذهابكم أيضا الى الإسكندرية او عكا ، لن ناخذكم الى مكان اخر االتوا كما شئتم ليلا او نهارا و لا تشكوا في كلمتنا فهي ايجابية ، ملكنا سيكون كريم معك و مع – مرافقيك ، انني اكيد بانك تستطيع ان تحمل معك عن طريق البحر الى الشرق كل من يريد الذهاب معك .

انظر : 1DOC12, Op.Cit, p4, 5

(163)- إن هذه الوثيقة الموقعة بين الطرفين هي عبارة عن اتفاقية ائتمان لان الاتفاقية هي العقد الذي يبرم بين الدول و الأفراد من جهة و بين الأفراد فيما بينهم من جهة أخرى تكون هذه الاتفاقية ملزمة للإطراف الموقعة عليها معناه تطبيق بنود الاتفاق بحذافيره و أي تقاعس من الطرفين يتعرض المتقاعس للمساءلة القانونية .

(164)- François Charles THEODORE , Touchard LAFOSSE , Histoire de la gendarmerie d'Afrique et la colonie d'après les documents de l'armée 1830-1860, L.A.B.E , 1860 , pp326-330

و هكذا تمت الموافقة على شروط الأمير عبد القادر من طرف الجنرال لاموريسيير و أكدها الدوق دومال [165] . إذن بعدما تمت هذه الموافقة توجه الأمير عبد القادر بصحبة عائلته و من اختاروا المنفى معه إلى قبة سيدي إبراهيم و منها إلى جامع الغزوات –جبل نمور– و بقي الأمير ليلة في هذه المنطقة أين التقى بالدوق دومال الذي أكد له وعود لاموريسيير و صادق عليها ، و ذلك بحضور المترجم ورسو في يوم 23 ديسمبر 1847[166] .

و في صبيحة 24 ديسمبر 1847 ، ركب على متن الباخرة SOLON و توجه إلى وهران أين كان من المفترض ان يبقى بضعة أيام في وهران ، و لكن تقرر فورا مغادرته البلد ، و كان ذلك في 25 ديسمبر 1847[167] . و قبل مغادرته اخذ منه سيفه وخيله عنوة بحجة انه لا يحتاجهما في الباخرة[168] و في هذه النقطة عدة اختلافات و روايات و لم يتم الاجماع حولها .

لقد كان الأمير عبد القادر يعتقد أن فرنسا ستحترم وعودها و انه سيؤخذ مباشرة إلى الإسكندرية أو عكا ، لكن هذا الحسبان لم يكن صحيحا فقد سيق إلى المعتقلات الفرنسية مع عائلته و أطفاله و رفقائه ، و لم يعد إلى الجزائر إلا ميتا . و هكذا فقد غادر الجزائر في 25 ديسمبر 1847 ، على متن السفينة لاسمودي LASMODEE [169] ، بعدما بيعت كل الجمال و البغال و الخيام و الأحصنة و كل ممتلكات الدائرة من طرف احمد الصقال قائد منطقة تلمسان و التي قامت بشرائها سلطات الميناء .

---

(165)- SHD, Dépôt de la guerre 1H123,- JANVIER N-16 a joindre au N-13: Lettre d'Abdelkader au général de Lamoricière , DECEMBRE 1847
- JANVIER N-17 à joindre au N-13; Réponse du général de Lamoricière à Abdelkader, DECRMBRE 1847

(166)- و فور وقفه للقتال ارسل الدوق دومال رسالة تلغرافية ليعلن فيها هذا الخبر .انظر :
Ibid, Une dépêche télégraphique le 23 DECEMBRE 1847, du gouvernement Général de l'Algérie a monsieur le ministre de la guerre

(167)- Arsène BERTEUIL ,L'Algérie Française : histoire , mœurs , coutume , industrie , agriculture , D.L.E, PARIS, pp285, 286

(168)- معظم المراجع و المصادر الفرنسية تجتمع على ان مسالة تسليم الأمير عبد القادر لسيفه و خيله كانت إرادية ، و لكن على حسب رواية بديعة الحسني فإنها تقول انها سمعت من جدتها التي تعتبر حفيدة الأمير عبد القادر أن السيف قد اخذ منه عنوة ، انظر ، بديعة الحسني ، المرجع السابق ن ص 211

(169)- تأسست سنة 1840 في 20 أكتوبر ، وشاركت في قصف موغاددور في 16 أوت 1844 و في حملة البلطيق و كريمي 1854–1855.و انتهت خدمتها في 1865 .

انظر : SHD, Dépôt de la marine , Mars1982 : Notice sur la frégate a vapeur Asmodée 1840-1865

و في هذا الصدد لا يسعنا هنا سوى القول أن الأمير عبد القادر قد وقع اتفاقية وقف القتال بعدما ربطها بشرف فرنسا ، اذ تدرج في الاتفاق و التوثيق من جنرالاتها الى ابن الملك شخصيا .
و كرد على ما يقال عن الأمير عبد القادر استسلم فأقول ان الاستسلام معناه ان يخسر الشخص في معركة ثم يستسلم ، و لكن هذا لم يحدث مع الأمير عبد القادر لان معركته الأخيرة كانت ضد المغاربة في سلوان و ليس ضد الفرنسيين ،كما انه أوقف القتال طوعيا ، و ما قام به يسمى وقفا للقتال او طلب للامان.

فنظرا لفشل القوة العسكرية له رغم وجود الإرادة الكبيرة للمواصلة إلا انه عرف بضرورة نهاية المشروع الأميري خصوصا انه وجد نفسه وحيدا مع مشروع ، كما انه لم يكن جاهلا بموازين القوى العسكرية و السياسية و الاقتصادية و العلمية ، و لم يتوهم النصر ، و إنما كان يقوم بما يمليه عليه الواجب الديني و الوطني و ما تمليه عليه الكرامة الوطنية، و قد عبر عن هذا للأسقف دوبوش قائلا *منذ ثلاث سنين كنت أحارب الفرنسيين ،وليس لي أن أرى نهاية حميدة في هذه الحرب ، مع اني كنت معتقدا أني لم أقم الا بالواجب الديني و حفظ بلادي .. لقد ازدادت موازين القوى الفرنسية باستمرار و لم يكن هذا في صالح المقاومة الجزائرية *[169].

كما كان يشاهد أطفال وزوجات و آباء الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم من اجل استرجاع كرامة الوطن و حريته ، و بالتالي فهؤلاء أصبحوا أمانة في عنقه إذن هل يوقف القتال بكرامة و شرف أم يغامر بهؤلاء نحو الصحراء المحاصرة من طرف قوا ت لاموريسيير ؟، و هكذا فالاختيار كان بالإجماع لوقف القتال و بشروط مشرفة و لأنه لم يوقع الاتفاقية باسم الشعب ، تجنب اهانة الشعب الجزائري و اهانة نفسه .

و على حسب البعض الذين عبروا عن آرائهم و اعتبروا أن انتحاره هو المخرج بدل وقف القتال فأقول أن إذا لم يكن وقف القتال وقفا بطوليا فان الانتحار كذلك ليس موقفا مشرفا خصوصا و أن الدين الإسلامي الحنيف يحرم قتل النفس .

---

(169)- CHURCHUILL , Op.Cit, p47

و إذا تصفحنا التاريخ فإننا نجد رجالا لهم منزلتهم التاريخية في حروب كبرى ساروا على نفس نهجه مثل حنبعل الذي استسلم لروما ، ونابليون الذي تمجده فرنسا كثيرا و الذي استسلم لبريطانيا لم نجد من المؤرخين من يلومهم على نهايتهم، ووصفوهم بالخيانة ،و مع ذلك فان الأمير عبد القادر يلام على نهايته ، على الرغم من أنها كانت نهاية مشرفة و أفضل من نهاية نابليون .

وهناك سؤال مطروح عن سبب اختيار الأمير عبد القادر للإسكندرية كمكان لمنفاه ، ،و حتى في هذه النقطة يقال عن الأمير عبد القادر انه اختارها لأسباب اقتصادية نظرا لكونه زارها من قبل و مطلع على الأوضاع منذ زيارته المنطقة و مكوثه عامين قبل الاحتلال الفرنسي ، لكن في الحقيقة أن السبب الاقتصادي غير وارد ، فالأمير لم يحب الثروة المادية ،و لكان ذلك صحيحا لاستجاب لمغريات الفرنسيين عندما خدع و سجن ، و لكنه كان دائما إنسانا بسيطا و مجاهدا، و ظل كذلك الى غاية وفاته ، وقد جاء اختياره للإسكندرية على أساس مقصود و هذا ما استوعبه الفرنسيون ، لذلك خدعوه ، لان هذه المنطقة يمر منها الحجاج الجزائريون ، وهكذا يمكنه من خلالهم تقصي أخبار الجزائر و ربما التنظيم و كسب التأييد و العودة من جديد للجزائر ، و لو لم يكن كذلك لما كانت فرنسا خدعته و سجنته خوفا من عودته إلى الجزائر، لان كانت له شعبية كبيرة في أوساط العامة .

و هكذا و كخاتمة نقول ان جهاد الأمير عبد القادر كان جهادا منظما و مشروعا و مدركا لمقتضيات الصراع مع العصر ، وبقدر ما كان مرنا في تعامله مع الفرنسيين – في المعاهدات – بقدر ما كان مشروعه مضاد نهائيا للوجود الفرنسي بالجزائر ،و هذا ما جعل الحرب تطول و تكشف يوما بعد يوم كل تناقضات المجتمع الجزائري ، بمعنى ان الأمير المقاوم المؤمن بالحرب الشعبية لم يكن قابلا للانهزام، فكمشروع و رؤية و تخطيط لم يكن قابلا للانهزام ،بل إن الهزيمة جاءت خارج رؤية الأمير عبد القادر .

و هكذا نقول أن الاستجابة الغير واعية و الإرادية، و التي كان دافعها الحقد و الجهوية و حب الزعامة من بعض الطرق و الشخصيات و الزوايا ،و مساهمتهم في خدمة الإستراتيجية الفرنسية للقضاء على المقاومة ، هي التي أدت إلى تضييع البلد ، و مع ذلك بقي شرف المقاومة راسخا لدى الجيش الوطني الشعبي لدفاعه عن القيم الإنسانية و كرامة المواطنين حتى 1962.

I- المرحلة الأولى : معاناة المعتقلين بطولون تحت الحكم الملكي

I-1- المحطة الأولى : اعتقاله في فور لامالق بطولون

I-1-1- الأوضاع السياسية الفرنسية و الدولية المزامنة لاعتقال الأمير عبد القادر

افتتحت سنة 1848 بالتحضير لثورة جديدة بفرنسا و التي تناثرت شظاياها حتى تفاجيء كامل أوروبا في فبراير 1848 [1].

(1)- لم تأت هذه الثورة فجأة او صدفة بل هناك بعض المؤشرات التي أعلنت عنها او أنذرت بها و التي لم ينتبه إليها النظام الحاكم فاجتماع عامل النقص في المواد الغذائية، مع ازدياد تكاليف الحياة بالإضافة إلى انتشار البطالة كل هذا ادى الى مضاعفة احتجاج الفئة الشغيلة طوال شتاء 1847-1848 ، الا ان انعدام وجود تنظيم فعلي في صفوف العمال جعل المظاهرات العمالية بدون جدوى ن ولذا يبقى أحسن أسلوب مستعمل لإظهار الاستاء هو الحفلات التي كانت تروج فيها الافكار الهادفة الى أحداث اصلاح انتخابي خلال شتاء 1847-1848 ، فاقيمت حوالي 70 مادبة ، و في يوم 22 فبراير 1848 في العاصمة باريس قام قيزو بمنع المادبة و هذا ما تسبب في اندلاع الثورة التي استمرت 04 ايام .في اول الامر لم يتحسس لويس فليب 1830-1848 و الذي كان عمره انذاك 75 سنة و لكن في 23 فبراير 1848 ، بدا يتحسس الامور و يتداركها و لذا سارع للتخلص من قيزو الا ان الثورة استمرت و لذا قرر التنازل عن العرش في 24 فبراير لصالح حفيده لكن هذا التعيين جاء متاخرا لان الجماهير تمكنت من السيطرة على الجزء الكبير من المدينة فخاف الملك على حيالته حينها فر مع عائلته الى انجلترا . فرار الملك ترك فراغا في الجهاز التنفيذي في بايء الامر حاولت لاكوداس اورليان انتهاز الفرصة و اعلان نفسها وصية لابنها الا انالجماهير اقتحمت غرفة النواب و فرضت الجمهورية من جديد . ان الحكومة المؤقتة التي تولت زمام الامور كان اغلب اعضائها ممثلين في التيارين السياسيين المعروفين انذاك لا سيما التيار الذي تتزعمه جريدة Le national ، و التي كانت تهتم بالمسائل السياسية و الثاني يخص تيار جريدة الاصلاح La reforme و التي اختصت بالمسائل الاجتماعية و من الشخصيات البارزة في التيار الثاني نجد الاشتراكي Louis BLANC . ان اهتمام جماهير باريس بمسالة التوظيف و اصرارهم عليها ادى بالحكومة المؤقتة الى فتح الورشات المنصوص عليها في برنامج الاشتراكيين و هذا ما ادى الى ارتفاع اليد العاملة نموى من 10000في مارس 1848الى 120000في جوان .الحكومة المؤقتة التي اعقبت لويس فليب تسرعت حين اعلنت حق كافة الرجال في الانتخاب و بالتالي ارتفع عدد الناخبين من 900000اللى 400مليون فرد ، و في 23 افريل نظمت انتخابات عبر كامل القطر الفرنسي بالجمعية لاوطنية عائدات الانتخابات اثبتت فوز اغلبية المعتدلين امام هذه النتائج حاولت جماهير باريس الراديكالية استعمال العنف الا ان الحكومة حدت من هذا التحدي و صدر الامر لالقاء القبض على زعمائها امثال بلونكي و حين ذلك حدثت المجابهة المعروفة بايام جوان الدموية و هذا ما ادى الى تفوق الجناح الجمهوري المعتدل على الجناح المتطرف و هو امر ثبت في الدستور المصادق عليه و الذي اعلن عن ميلاد الجمهورية الثانية الفتي تراسها شارل لويس نابليون بونابارت 1848- 1852 .للمزيد من التفاصيل انظر : Alexandre LAYA ,Etude historique sur la vie privée,politique et littéraire de M.A. THIER, E.F; 1846 pp30-70

التغييرات في الحكومات ، الصراعات في الافكار و في المصالح ، تسلسل الكوارث و الاضطرابات الفكرية ، و ثوران العواطف و الانفعالات ، اثرت بصفة دقيقة اكثر من أي وقت مضى على الوضع الداخلي الفرنسي الذي كان مضطربا لاسباب التغييرات الانتخابية و البرلمانية ، تضاعف المعارضة المتطرفة و الاحباط السياسي الذي خلف نهاية الحزب المحافظين ، كذلك الوضعية المالية المحبطة للاستعمارات الافريقية و الحركة العامة للحرية .

في نفس الوقت و امام سوء الأوضاع الداخلية السياسية الفرنسية و هيجان الرأي العام الداخلي يلاحظ بروز الحزب الراديكالي الايطالي[2] و إضعاف السياسة الخارجية الفرنسية بسبب التدخلات الايطالية في النمسا و السياسة الخاصة للملك و الأوضاع السياسية الخارجية الألمانية [3] ، انجلترا ن سويسرا ، اسبانيا ، و خاصة الزواجات بين الفرنسيات و الاسبان و قضية الجنسية[4] .

اذن كل هذه الظروف المتأزمة الداخلية في فرنسا و كذا في علاقاتها الخارجية ، وبروز دول منافسة لها كما سبق الحديث عن ذلك و التي أدت الى إضعافها خارجيا . كانت مرحلة اعتقال الامير عبد القادر و حاشيته ، و رغبة منها لاسكات السخط الداخلي من الراي العام لا بد لها البحث عن امر يلهيه عن انتقاد السياسة الداخلية الفرنسية المتازمة و ضعفها الخارجي – على المستوى الدولي – و هكذا عمدت الى اعتقال الامير عبد القادر متعمدة ،و كذلك خوفا من عودته الى الجزائر لانها بغنى عن مقاومة قوية في الجزائر لكونها في هذه الفترة كانت تعاني من هذه المشاكل .

(2)-بحيث عرفت هذه السنة كذلك تحولات في ايطاليا و ظهور ثورات 1848-1849 ، و التي مرت بثلاث مراحل و التي تم خلالها إعلان الجمهورية سنة 1849 ، بعد فرار البابا بيوس و تم استدعاء مازيني لرئاستها و كان من نتائجها :

1- التركيز حول حتمية الوحدة الوطنية بعد ايطاليا .

2- تحول الثورة من تحرري استقلالي إلى ثورات قومية في هابسبورغ و نتيجة للثورة الفرنسية ظهرت الوحدة الايطالية على يد غاريبلدي .

(3)- كذلك لا يفوتنا ان ننوه الى بسمارك الذي دخل الحياة السياسية 1847 -1848 ، في المانيا و الذي كان اه مقولة مشهورة : * اعظم الوسائل في وقتنا الحالي سوف لا تقرر عن طريق الخطب و القرارات الجماعية ، وهو غلط و لكن عن طريق الحديد و الدم .* و الذي اثر على السياسة الخارجية الفرنسة في صراعه مع نابليون الثالث و قاد المانيا نحو الوحدة .

(4)- LESURE ,Op.Cit ,pp1-4

ان وقف الامير عبد القادر للقتال كان مشروطا بنقله الى عكا او الاسكندرية بتدعيم من الجنرال لاموريسيير و مصادقة الدوق دومال ، الا ان هذا الشرط لم يطبق و اعتقل الامير عبد القادر و اطفاله ، و هذه الحالة ادت بالاستراتيجي العسكري و رفاقه الى سنة اعتقال في طولون ، بو ، و04 سنوات اقامة جبرية في امبواز ، ورغم شجاعة الامير عبد القادر امام يمين الزور الا انه صدم اتجاه هذا الإجراء و الانتهاك لحقوقه لا سيما منها حقوق الاطفال و النساء

ان وقف الامير عبد القادر للقتال خلق اشارة الرحلة الطويلة و البعيدة عن الوطن و التي قادته من السهول الواسعة و الخصبة و من الصحراء الجزائرية الى امبواز مرورا بطولون بو ، بتتابع (08 جانفي الى 28 افريل 1848) (29افريل 03 نوفمبر 1848) (08نوفمبر 1848–11 ديسمبر 1852) بعدما تجاوزت فرنسا لمواثيقها و التزاماتها القانونية اتجاهه و اتجاه كل اتباعه .

لقد شكل اعتقال الامير عبد القادر حدثا فخريا لفرنسا في بداية الأمر و الذي سبب هدوءا نسبيا للرأي العام الفرنسي في اضطراباته الداخلية و أزماته الخارجية بموازاة مع الدول الأوروبية كايطاليا و المانيا .و هذا ما تحدثت عنه جريدة LE MONITEUR عن استفادة فرنسا من وقف الأمير عبد القتال للقتال : * ان إخضاع الأمير عبد القادر هو حادث في غاية الأهمية لفرنسا انه يؤكد طمأنينة احتلالنا ، انه سمح لنا ان نخفض من عدد القوات و الأموال التي كنا نرسلها لإفريقيا منذ سنوات طويلة ، و سيساهم في تدعيم قوة فرنسا في أوروبا فهي تستطيع اليوم اذا دعت الضرورة ان تنقل مئة ألف جندي التي ستستخدمها بالاحتفاظ بالأهالي المقهورين ، تحت نيرها إلى مناطق أخرى *[5]

و هكذا تمت خديعة الأمير عبد القادر قانونيا و أخلاقيا بحيث تحولت الباخرة بأمر من الحكومة من وجهتها المتفق عليها ، الى ميناء طولون TOULON بعدما مكثت 10ايام في لازارات من 29–12–1847 الى 08 جانفي 1848 ، اين وصل الى طولون .

(5)– Le Moniteur, N-03, JANVIER 1848

و هكذا فان الأمير عبد القادر قد انهزم عسكريا امام غرب يتوسع و لا يتقلص بعدما فقد كل أدوات المجابهة و لكنه حاول الانتصار سياسيا ، و رمزيا ، ليكون جزائريا بدون دولة ، ويثمن انجازه و يرسخ نموذجه في الذاكرة على الأقل و يدعم مكانته كشخصية جزائرية طبعت مجريات القرن 19 و التاريخ الجزائري خصوصا و هذا ما سنفهمه و نتعمق فيه من خلال دراستنا لحياته في المعتقلات الفرنسية التي بقي فيها مدة05 سنوات .

I-1- 2- ظروف الأسرى في الباخرة لاسمودي : تغيير الوجهة

ان توقيف الامير عبد القادر للمقاومة و اعتقاله كانت بالنسبة له هي العملية الاكثر وجعا في حياته كلها ، بحيث كتب في احدى رسائله الى الاسقف دوبوش قائلا * لم استطع النزول من الخيل لأودع بلادي إنني ألزمت الدفاع عليها حتى اخر نفس في حياتي * [6]

في صبيحة 25 ديسمبر 1847 ، انطلقت الباخرة لاسمودي من مرسى الكبير و على متنها الامير عبد القادر، و عائلته امام حشد كبير من الناس ، فمنهم من جاء لوداعه ، ومنهم من كان سيذهب معه الى المنفى، و كان من بين الحشد من الرجال و النساء من بكى بحرقة على فراق الامير عبد القادر الذي ترك بلاده نحو المجهول .
و قد التقى الامير عبد القادر بالقس سوشي [7] ، الذي تعارف معه منذ فترة جهاده في الجزائر حول مسالة تبادل الاسرى و قد اعطاه الامير عبد القادر عمامته كتذكار له .

بدات لاسمودي بالابحار ، و كان الاسرى متعبين جدا و الرحلة كانت شاقة جدا و سيئة و مع ذلك و مع ذلك كانوا ينتظرون وصولهم الى وجهتهم المنتظرة عكا او الاسكندرية .

---

(6)- Mustafa CHERIF , La mémoire de l'émir Abdelkader , colloque international , MAI , B.N.A, Alger , 2005 , pp3,4

(7)- كان يعمل كنائب ووكيل عام للاسقف دوبوش و الذي تعرف على الامير عبد القادر في مسالة تبديل الاسرى .

لقد كانت رحلة الامير عبد القادر و رفاقه في وقت الشتاء و رافقه كل من العقيد بوفور و الترجمان العام روسو على متن السفينة لاسمودي التي كان يقودها القائد كارتييه (CARTIER [8])

لقد كانت مسيرتهم في البحر ذات عذاب نفسي شديد ، فقد كان منهم من يري البحر للمرة الاولى و هو معتادين على استنشاق الهواء الطلق و المنعش ، لم يستطيعوا التكيف مع رائحة البنزين الكريهة و الآلات و داخل غرف مغلقة مدة 05 ايام .

و خلال رحلتهم بدات الاحوال الجوية تسوء ن الرياح الشديدة و الامواج المتضاربة مما ادى الى اثارة الفزع في صفوف حاشية الامير لا سيما منهم الاطفال و النساء [9].

لقد كان الامير عبد القادر يعاني من إصابات طفيفة على ساقه و جرح على الجزء الخلفي من القدم اليسرى ، و لكن اغلب الأسرى كانوا يعانون من إصابات خطيرة .

و على حسب بعض المؤرخين فقد تحدثوا عن المساعدة التي قدمها جراحي لاسمودي للامير و حاشيته و انهم قدموا ما يلزم من الرعاية الى المصابين ، و قد اظهر الامير تقديره لهذا العمل من خلال الرسالة التي جاء فيها : * ليحميكم الله ن ويتفضل عليكم من الخير و السعادة لأنكم تستحقونها ، لقد عملتم بلطف مع رفاقي المجروحين ليجازيكم الله و يكافئكم * [10] .

و قد عبر جراح لاسمودي سنة 1848 ،و هو جيس كا رد (Gis CARD [11]) عن الحالات التي عالجها بقوله أن معظم الحالات التي عالجناها في السفينة كانت خطيرة [12] .

---

(8)– لقد كان هذا القائد يجيد الخدمة و قد كان يحظى باحترام الجمهور وهو أول من نزل مع القوات الفرنسية إلى الجزائر1830، واختير لأخذ لأمير عبد القادر انظر : Arsène BERTEUIL , Op.Cit, p286.

(9)– Elias RENAULT , Histoire de huit ans 1840-1848, E.P , PARIS , p318

(10)– Revue médicale Française et étrangère , journal des progrès de la médecine rippocratique , S.N , PARIS , 1856 , p 253

(11)– هو طبيب عسكري لفرق الزواف 1834 .

(12)– Académie des sciences, Belles-lettres et Arts : précis analytique des travaux de l'Académie des sciences Belles –lettres et Arts de RUEN ,A.S.B.L.A, ROUEN 1857-1858, pp144-146

كما شكر عبد القادر قائد لاسمودي على العناية التي قدمها له في منتصف المخاطر التي تعرضت لها الباخرة [13].خلال هذه الرحلة تم حجز الامير عبد القادر في حجرة على يسار الباخرة ، و التي لم يخرج منها طيلة مدة السفر و كرس نفسه للصلاة و القراءة و التأمل.
و خلال هذه الفترة كان الأمير عبد القادر يقرا في كتاب لم يفارق يده و هو الإشارات الإلهية و شد انتباهه فصل الغريب من هذا الكتاب:

* يا هذا ... فاين أنت عن غريب طالت غربته في وطنه و قل حظه و نصيبه من حبيبه و سكنه ؟ اين انت عن غريب لا سبيل له الى الاوطان و لا طاقة به على الاستيطان ، قد علاه الشحوب و هو في كن ، غلبه الحزن حتى صار كانه شن ، ان نطق ، نطق خزيانا متقطعا ، و ان سكت، سكت حيرانا مرتعدا ، وان قرب، قرب خاضعا ، وان بعد، بعد خشعا ، وان ظهر، ظهر ذليلا و ان توارى ، توارى عليلا ، وان طلب ، طلب و اليأس غالب عليه ، وان امسك ، امسك و البلاء قاصد عليه ، وان أصبح، أصبح حائل اللون من وساوس الفكر ، و ان امسى ، أمسى منتهب السر من هواتك الستر ، و ان قال، قال هائبا ، وان سكت ، سكت خائبا و قد اكله الخمول ، و مصه الذبول و حالفه الدخول ... قيل الغريب من جفاه حبيب، و أنا أقول الغريب من هو في غربته غريب، بل الغريب من ليس له نسيب، بل الغريب من ليس له الحق نصيب، فان كان صحيحا، فتعال حتى نبكي على حال، أحدثت هذه الهفوة و أورثت هذه الجفوة *[14]

و بعد 05 أيام من الرحلة أي في 29 ديسمبر 1847 ، و في فترة المساء أعطيت أوامر من السلطة المحلية للانتظار في باريس ، وإنزال جميع الركاب من لاسمودي في لازارات بطولون .

---

(13)– Marcos Antonio MACEDO , Pèlerinage aux lieux saints , suivi d'une excursion dans la basse EGYPTE , en SYRIE , et à CONSTANTINOPLE , E.L.I , PARIS , 1867, pp352, 353

(14)– واسيني لعرج ، كتاب الأمير ، مسالك أبواب الحديد ، الفضاء الحر ، الجزائر، 2004 ، ص 454-455 .

I- 1-3- الوصول الى لازارات(LAZARET)

لقد وصل الامير عبد القادر و 102 شخص آخرين منهم 23 امراة ، 60 رجل ، 11 صبي ، 8 فتيات [15] ، من مرافقيه الى ميناء طولون و انزلوا في منطقة تسمى لازارات [16]. ، هذا المكان كان يستخدم قديما لوضع و عزل الناس الذين يعانون من أمراض معدية ، و كانت الدهشة و الحيرة شديدة في صفوف الامير و رفقائه بعدما وجدوا أنفسهم على الأراضي الفرنسية ، و من اجل إسكات أي محاولة احتجاج، أعطي الأمير عبد القادر تبريرات غير مقنعة ،حول ضرورة البقاء في فرنسا لبعض الوقت حتى يتم التشاور مع خديوي مصر ، لاتخاذ كامل الضمانات لعدم عودته الى الجزائر ، و بالنسبة لعكا فقد استبعدت لأنها على حسب أقوالهم لم تعترف بالسيادة الفرنسية على افريقيا .و بالتالي فهذه المشاورات ستأخذ وقتا طويلا .

و في هذه الفترة كان تريزيل هو وزير للحربية و الذي لم ينسى عداءه الكبير للأمير عبد القادر ، خصوصا في هزيمة المقطع الشهيرة ، لذلك كان يرى بضرورة اخذ كامل الاحتياطات قبل اتخاذ أي خطوة سيتم الندم عليها فيما بعد . يقول الطبيب العسكري وارنييه WARNIER * انه لو لم يكن الجنرال تريزيل وزيرا للحربية انذاك لربما كانت لاسمودي قد أخذت الأمير عبد القادر و حاشيته الى المشرق ، كما انه لو كانت هناك العديد من السفن في الميناء غير لاسمودي، لكانت وجهته نحو الاسكندرية ممكنة ، لكن لاسمودي وحدها كانت في الميناء و صعوبة غيابها طويلا عن الخدمة غير وارد *[17].

بعد هذه التضليلات تملك الامير عبد القادر حدس بانه خدع و لكن امله ظل قائما في كلمة فرنسا و التزامها القانوني حوله .

---

[15]- Archives Nationales –Dépôts des archives d'outre –mer , cart. E229/4, état nominatif des arabes accompagnants la famille de l'ex – Emir Abdelkader, le 20 janvier 1848.

[16]- هي شبه جزيرة قاحلة تقع في فتحة جنوب ميناء طولون .

[17]- Op.Cit , pp 312-314

بعد وصولهم الى لازارات هرعت البحرية لتهيئة شقق لهم ، و قد كان محافظ الميناء بارسوفال PARSOVALE قد اعلن عن وصولهم الى لازارات .
مرفوقا بالمترجم روسو زار الامير عبد القادر لازارات على متن زورق المحافظ ، كي يرى الشقق التي جهزت لعائلته [18].و من بين الشخصات الاساسية التي نجدها معه : امه لالا الزهرة المسنة، اطفاله ، زوجاته ، مصطفى بن تهامي ، قدور بن علال ..

و في آن الوقت ، وصل فوج من المشاة من البحرية بقيادة الملازم رومان ROMAN الى لازارات من اجل القيام بالخدمة . و ظل الأمير عبد القادر مرافقا بروسو المترجم لانه على حسب لورو L'HEUREUX لم يكن الامير عبد القادر يتقن الفرنسية [18].

ظل الامير عبد القادر 10 ايام في هذه الشبه الجزيرة SEPETE [19]، بكل صبر في انتظار أي باخرة على حسب زعم الفرنسيين لتأخذهم الى بلاد الإسلام التي سبق و ان قدم لاموريسيير و الدوق دومال وعودا حولها لان الفرنسيين ظلوا يؤكدون له أن ذلك لن يكون إلا مؤقتا .

I-1- 4- الحياة اليومية بطولون(TOULON)

بعد انقضاء 10 ايام من وجودهم في لازارات ، في 08 جانفي 1848 ، وصلت أوامر من الحكومة بإرسال الأمير عبد القادر الى فور لامالق [20].

---

[18]– و لمنعه من أي محاولة لتعلمها اتخذت العديد من الإجراءات و ذلك لكي لا يتعرف على ما يجري من حوله ، و يبقى المترجمين يتحكمون في اتصالاته و رسائله التي زورت في العديد من المواضع . انظر :
Ligue des droits de l'homme, Exposition sur la détention d'Abdelkader au fort Lamalgue, regards Français sur Abdelkader et sur la conquête de l'Algérie, l'arrivée à Toulon d'un prisonnier embarrassant , un héros des deux rives , 26fevrier -23 juin TOULON' 2003, pp1-4

[19]– Ibid, meme page

[20]–و هو حصن عسكري يتموقع في شرق طولون

و من هنا بدأت أحاسيس الحزن تظهر على وجه الأمير عبد القادر، لانه عرف ان نقله الى طولون ليس مؤقتا و انما سيدوم طويلا ،و بدا يشتم رائحة الخديعة و المكر في كلمة الفرنسين، و قد عبر روسو المترجم الخاص للحكومة الذي كان قريبا منه في هذه الاثناء عن صمت الامير الدال على حزنه العميق ،و الذي لم يغب عنه منذ ان ترك لازارات ،و الذي فرضه عليه امر الواقع ،و بذلك بدأت حياته و من معه تبدا مرحلتها الاولى من معاناة ستدوم 05 سنوات و بدايتها من 08 جانفي 1848 [21].

و قبل مغادرته و عائلته مدينة لازارات اين كانت تنتظرهم العربات على شكل موكبين :

الاول : يتجه بالامير و من يختارهم معه الى فور لامالق

الثاني : يتجهون بهم الى فور مالبوسكي .

كان لهذا الموقف حزن كبير و عميق لدى الأمير ، و عبر عن ذلك بقوله : *كلهم عائلتي ، ليس عدلا ، لا اود ان انفصل عنهم ، و لكن أمام هذه المعاملة القاسية ليس لدي أي خيار آخر *[22]

و هكذا تم افتراق الامير عبد القادر مع 71 شخص من احبائه و اوفياء الوطن وسط بكاء الاطفال ،و مشوا بهم في طرقات ضيقة و سرا باتجاه فور مالبوسكي [23] ، و قد حصل كل من زوجاته الثلاث ، و امه ، واطفاله و قدور بن علال ، و مصطفى بن تهامي و قارة محمد على الموافقة لمرافقته الى فور لامالق ، و كان لهذا الافتراق اثره البارز على نفسية مرافقيه خاصة منهم من تقرر الانفصال عنهم .

وهكذا وصل الأمير عبد القادر و أتباعه 31 إلى حصن لامالق على الساعة السادسة مساءا [24].

---

(21)– Adrien PASCAL, Op.Cit , pp220-224

(22)– Ferdinand HOEFER , Op.Cit, pp80-85

(23)–يوجد هذا الحصن في مدينة كاستينيو أين يوجد فيه التمديدات و المدافع و هو يقع في الغرب من طولون .

(24)– Jean Joseph François POURJOLAT , Etude africaine , récits et pensée d'un voyageur , P.C, PARIS , 1847, p127

و من المؤكد أن اختيار الحكومة لحصن لامالق في طولون ليكون معتقل للامير عبد القادر ليس فجائيا او كمحض للصدفة ، بل لأنه ميناء عسكري و كان يمثل الضمانات الأمنية اللازمة نظرا للفرق العسكرية التي تتمركز فيه و كذا لموقعه الاستراتيجي – قربه من البحر– و هكذا فيصعب على الأمير الهروب و العودة الى الجزائر [25].و في هذا الإجراء فان سجنه لا يختلف كثيرا عن تجربة غوانتانامو الحالية .

و صل الامير عبد القادر و رفاقه الى الحصن و قد اعطاه لورو توضيحات غامضة عن أسباب نقله الى هذه المنطقة ، و هي ان الحكومة في اطار مفاوضات مع مصر و عكا ، وهذه المفاوضات تستغرق وقتا طويلا و كان رد الامير عبد القادر : *لست قلقا ، فلدي الثقة في فرنسا علاوة على ذلك اعين العالم تراقب ما يحدث لي ، و نهائيا لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا * [26].

و ظلت الحكومة قلقة من هروب الأمير بطريقة او بأخرى ، و ربما المساعدة الانجليزية لذلك قرر وزير الحربية تريزيل ان يبقي لورو حارس على الاسرى و أكد هذا الأخير بدوره انه سيكون يقظا ليلا و نهارا لتنفيذ ضمانات الأمان و صعوبة هروبه

و قد اكد لورو في رسالة الى تريزيل في 09 جانفي 1848 ، جاء فيها تأكيده على ان الامير عبد القادر لا يتقن و لا كلمة بالفرنسية ن و كل الاجراءات اتخذت لمنعه من تعلمها كي لا يدرك ما يحيط به من امور ، ويصعب عليه الاتصال بخصومهم كالانجليز[27]. الذين كانوا يرغبون دائما في خلق مشاكل لفرنسا.

---

(25)- Boualem BESSAIH , De l'émir Abdelkader à l'Imam Chamyl , le héros des tchétchènes et du Caucase , E.D, Alger , 1997, p194

(26)- Du BARAIL , Mes souvenirs 1820-1851 , T1 , 12ème édition , E.P, PARIS, 1897-1898, p214,220

(27)- ZOUMOROFF, Op.Cit, p391.

لقد انتظمت حياة المعتقلين في حصن لامالق فقد منحتهم الحكومة قبو الدخول كمقر لاقامتهم، و كان للامير و ابنائه غرفة تسمى LA MIDI و كان مخصص هذا القبو في الطابق الاول سابقا للخيالة ن وتقع شرق الثكنة ، طول الحجرة 25متر ، و عرضها 05 امتار بمعنى لكل مسجون الحق في متر واحد للتحرك ن هذا الجزء مخصص للرجال و فوقهم ضباط الحامية في الركن الشرقي من الحصن المسمى باسم فارس .

اما النساء فتحتل الجانب الشمالي من الطابق في الحصن تحت سلطة والدة عبد القادر ، و التي كانت تمنعهم من الخروج خوفا عليهم من الضباط الفرنسيين و من الفتنة[28]. و قد وضع الأمير عبد القادر و رفاقه تحت الحراسة المشددة.

و ظل الامير عبد القادر متحيرا من مصير رفاقه في فور مالبوسكي ، خصوصا بعد الشكاوي التي كانت تصله منهم عن الظروف القاسية التي كانوا يعيشونها ، و عن الاسباب الحقيقة من فراقهم ن لذلك طالب الامير عبد القادر بشدة و باصرار لارجاعهم معه و فعلا فقد قبلت الحكومة طلباته و تم الحاقهم به في فور لامالق يوم 16 جانفي 1848.

بدأت الأسابيع تمر على المعتقلين دون أي جديدو بدأت الشكوك تتعمق لدى الامير عبد القادر، لأنه كان رجلا يدرك مصالح الدولة ، و العلاقات بين الدول ، و كان شبه متأكد ان فرنسا ستتخلى عن التزاماتها اتجاهه ، و لكنه ظل صابرا أمام رفقائه ، و الذين اعتبر نفسه مسؤولا عنهم و ملزم بحمايتهم ، و الدفاع عنهم الى غاية تحقيق وجهتهم ، و كان يقول لهم كلمة مشهورة يحبونها * إن مرجعية أخلاقنا تكمن في سلفنا ، الذي كان دوما محافظا على حرمته رغم الصعاب * [29]

(28) L.D.H, Op.Cit , p5

(29) – Emile GIRARDIN , O.p.Cit, PP 450-455

لقد أصبحت الحياة روتينية ، بحيث كان ينهض في الصباح يتوضأ ، و وبعدها يصلي صلاة الفجر ثم يأخذ أول وجبة و هي الخبز و الزبدة و الفواكه المجففة ، لتأتي بعد ذلك فترة زيارة والدته فيمضي معها بعض الوقت و يبقى عندها حوالي الساعة ، و بعدها يزور أصدقاءه ، ثم تأتي فترة أطفاله اين يبقى منفردا معهم ، و يعيد تدريسهم ما كانوا يتلقونه على يد مشايخهم امثال محمد بن عمران ، و المختار ، الى ان يحين وقت الغداء , و في منتصف النهار صلاة الظهر.

و بعدها يبقى في غرفته يكتب او يقرا او يستقبل الشخصيات التي جاءت لزيارته حتى الساعة الثالثة ، اين يقوم مع رفقائه لصلاة العصر بعد نداء محمد قارة الذي كان جهور الصوت ،و بعد صلاة العصر القراءة الدينية في المصحف الشريف يرتلها إما مصطفى بن تهامي[30] او الأمير شخصيا ، ثم ياتي وقت زيارة العائلة زوجاته – ووالدته ، من الخامسة حتى السادسة ، ليأتي وقت صلاة المغرب جماعة ، بعدها قراءة الجماعة الدينية حتى الثامنة مساءا بحضور مصطفى بن تهامي ، محمد قارة .. ثم ياتي النقاش في علم الحديث او حول نقاط قانونية أو تفسير لبعض الآيات ، ثم يختتم يومهم بصلاة العشاء بعدها يأخذون آخر وجبة ، المتمثلة في الكسكسي و بعدها يلتقي الأمير عبد القادر مع اقرب المقربين حتى العاشرة او الحادية عشر ليلا [31]

كما اهتمت السلطات بالشروط المادية لهم ، فقد احضروا من الجزائر 06 برانس خفيفة ، 61 برنوس عادي ، وقائمة لبعض اللوازم للنساء كالحنة ، و الحايك و الكحل [32]

---

(30)– كان والده مفتي وهران في العهد العثماني ن و كان معلما قبل ان ينظم للمقاومة و يصبح كاتب الامير عبد القادر الخاص، ثم خليفته على معسكر ، و كان مخلصا للقضية الوطنية و كان في نفس الوقت صهره حيث زوجه اخته .

(31)_ L.D.H, Op.Cit , p5

(32)– SYLVA Consul, Les petits touristes: premiers voyages de vacances, E.T, PARIS, pp89-120

و هكذا فقط ا صبحت حياتهم تمر كانها الف سنة في انتظار الفرج ، و قد انغلق الامير عبد القادر على نفسه في غرفته لم يخرج ابدا ، وقد قيدت حركته و كذا حريته بكل شكل من الاشكال و نفس المصير لقيه رفقاءه خصوصا ان بعض اغوات الامير قدتكلفوا باعمال التنظيف و الغسيل و غيرها .و بدات افكار الانتحار تراود اذهانهم او الهجوم على الحراس ليقتلوا و ذلك للتخلص من هذه الحياة البئيسة و المعاناة النفسية الكبيرة التي كانوا يعانون منها.

ومما زاد من حزنهم العميق و الشديد هو فقدان الامير و رفاقه لصديقهم الحاج سالم الذي توفي في 06 فيفري 1848 ، على الساعة السادسة صباحا ، و هو في سن 40 سنة و قد سجلت وفاته بحضور قيوم لاتور ، قائد شرطة طولون ، وقيوم بورت ، نائب الرئيس اوغست ، وسجل تحت رقم 299 [33]

الى جانب الحزن على وفاة الطفلة زينب في 17 جانفي 1848 ، على الساعة 11 ليلا ،و عمرها لم يكن يتجاوز السنتين في فور لامالق ، وقد سجلت في 18 جانفي تحت رقم 129 ، و بحضور كل من كسيتانجان الحارس و فرونسوا موقييه الحارس ايضا ، و اوغست بورقاران نائب رئيس البلدية [34]

و قد كانت اسباب الوفاة هو الدخان الكثيف المنطلق من اشعال الحطب للتدفئة ، و الذي يسميه الفرنسيون BARAZIROSSE ، و خوفا من اصابة اطفاله بالمرض سمح الامير عبد القادر و رفاقه بتطعيم اطفالهم .و يقول دوماس : *لقد كان للامير ثقة كبيرة في الطب الغربي بالرغم من انه لم يكن متطورا كفاية *[35]

(33)– Les archives de la Mairie de Toulon, Extrait des décès des Arabes décédés à Toulon, N-299

(34)_ Ibid, N-129

(35)_ Horace de VIEL CASTEL, Mémoire du Comte Horace de VIEL CASTEL, E.F.F, PARIS, 1864, pp89, 90

لقد كانت حياة الأمير و رفقائه صعبة جدا في معتقل فور لامالق ، البرودة القاسية و الشديدة ، سوء الاضاءة ، الرطوبة في كل مكان ، و عدم وجود التدفئة الكافية ، و هذه الحالة عبر عنها شارل بونسي CHARLES PONCY [36]قائلا : * في رسالة وجهها الى اراقو ARAGO [37] و لامارتين طالبا منهم التدخل لدى السلطات لاطلاق سراح الامير عبد القادر معبرا عن الحالة السيئة التي وجده عليها : اول ما لاحظناه عندما قطعنا الرواق الضيق المظلم للحصن تلك الحجرات الوسخة و الرطبة التي كانت كبيوت للنساء ، ولم يكن فيها ابواب لتحميهم بل ستائر غليظة من القماش *[38] كما حظي بزيارة الراهب كوردوران CORDORAN .

و بالتالي فهذا الوضع أدى بالامير عبد القادر إلى الشعور الكبير بالاهانة ،و حجر لحريته فلا يستقبل من يريد ، و بالتالي فانتهكت اكثر حقوقه قداسة .

I-1-4 – 1-مهمة دوماس السرية :

و نظرا لانغلاقه على نفسه ، قررت الدولة ارسال الجنرال دوماس DAUMAS [39] في مهمة سرية الى جانب الامير عبد القادر ، بامر من الحنرال تريزيل في 12 جانفي 1848 ، دوماس استدعي بعدما كان في عطلة في باريس ، و استدعاه في مهمة سرية –جاسوس– على الامير عبد القادر و اختير دوماس نظرا لاتقانه اللغة العربية و معرفته الجيدة للتقاليد الجزائرية ، ولانه كان كقنصل في معسكر 1837–1839 ، و لقد اظهر دوماس مهمته الظاهرية فقط و هو وجوده كمترجه و لكنه لم يعلمه بالمهمة السرية التي جاء من اجلها الى فور لامالق(FORT LAMALGUE.)

---

(36)– هو شاعر ماسوني .

(37)–هو فيزيائي و فلكي فرنسي 1789 -1853 ، تولى فترة قصيرة خلال ثورة 1848 وزارة الحربية و البحرية انظر: Encyclopédie universelle, France, 1997, pp102-110

(38)– Une visite à Abdelkader, Bulletin trimestriel de la société des sciences belles-lettres et arts du départements du Var, I.L.L, Toulon, 1850, p12 .

(39)–هو مالشيور يوسف اوجين جنرال وعضو في مجلس الشيوخ و كاتب ولد في 4 سبتمبر 1803 ، و دخل الجيش كمتطوع 1828 ، حصل على رتبة عقيد 1827 ، و درس في مدرسة سومور ن جاء الى الجزائر 1835 ، تحت امرة كلوزيل و شارك في معارك معسكر و تلمسان ن خصص وقته لدراسة اللغة العربية و التقاليد الجزائرية ن وشغل منصب قنصل فرنسا في معسكر 1837-1839 ، و كلفه لاموريسيير بمديرية الشؤون العربية بوهران ، و كان اول من اوجد المكاتب العربية و اصبح عضوا بمجلس الشيوخ سنة 1857، و مات في كوبلونس 1871.

بدا دوماس بمباشرة مهامه ، و المتمثلة في دراسة افكار و انفعالات و نفسية الامير عبد القادر ، و يوصله الى تغيير موقفه شيئا فشيئا حول الوعود المقدمة له ، و بان فرنسا كريمة اعطته الامان و الحكومة ستعطيه الثقة و ضمانات لمستقبله.

وصل دوماس في 18 جانفي مساءا الى طولون ، و في صبيحة 19 جانفي كان الى جانب الامير عبد القادر و بدا خلالها بمراقبته ، فاستطاع الحصول على ثقته ، يقول دوماس في هذا الصدد : * لقد كنت استمع له و هو تكلم كثيرا و هذا اختصار حديثنا : بعد المعارك المجيدة التي انتصرت فيها على المغاربة و رغم هزيمتي الوحيدة و الاخيرة و التي لم تمثل سوى قدر الهي ، كنت استطيع بدون شك التسلل نحو الصحراء لفقيق و حتى السودان ، و لكن تعبت من حروب غير متوازنة و التي كانت لتزيد آلام جديدة ، اخترت طلب الامان ممن حاربتهم طويلا بشجاعة و ضراوة ،و يظهر لي ان المجد الوحيد لكم يتمثل في حسن التعامل مع عدو مثلي ، ففي بلادنا اليد تحب ان تداوي الجرح الذي سببته .. لم اندم على اختياري بعد الوعد الذي قدمه لي لاموريسيير LAMORICIERE [40] و صادق عليه ابن الملك الدوق دومال للذهاب الى عكا او الاسكندرية و من ثم الى مكة [41]

يقول دوماس : في طلباتك لم تذكر مكة ، يقول فرد الامير على هذا بقوة قائلا عندما قلت عكا او الاسكندرية معناه مكة ، و يواصل قائلا : ما هو البديل عن مكة ؟ الشرف ، الأملاك ، خزائن هذا العالم ،تعرف انت يادوماس تعرف ان هذه الاشاء هي ما اكره في حياتي ، ورأيتني بعينيك ، كل ما املكه هو خيمتي ، واكلي البسيط ، ولباسي و حصاني ، سلاحي و الجهاد و هذا هو اختياري ، في الحياة ، كانت لي امور اخرى في قلبي و فكري بدل هذه التفاهات البشرية ، اذا وضع في طرف برنوسي هذا املاك كل العالم لرميته في البحر ، هدفي هو مكة ، اقرا القران ، واموت الى جانب قبر الرسول صلى الله عليه و سلم ،لقد اعطيتكم كلمتي لن اعاود الحرب مهما كنت حرا *[42]

(40)–ولد في نانت 1806 ، و توفي في اميان 1865 ، اهتم بالرياضيات التي اخذها عن استاذه اوغست كوث ، وتخرج كتقني 1826 ، و انخرط في الخدمة العسكرية فرقة المدرعات ن التحق بمدرسة سان سيمون و اصبح ملازما 1830، و تعلم اللغة العربية لاحتكاكه بفرقة الزواف بعدما اصبح يعمل بافريقيا و التي بقي فيها 17 سنة ، و اصبح عقيدا للكتيبة الثانية من فيلق الزواف و اصبح مديرا للمكتب العربي ، و اصبح قائدا على وهران 1840، و قد قدم الوعد للامير 1847 ،

(41)– RABAN, Histoire privée politique et militaire d'Abdelkader depuis sa naissance jusqu'à sa soumission et son arrivée en France, I.L, 1848, pp 400-405.

(42)– ZOUMOROFF, Op.Cit, p393

عندها غادر دوماس، معتقدا انه استطاع التعرف على اسرار الامير الداخلية ، و كلف روسو ROSSEAU بالتوجه نحو الامير و ابلاغه برفض الحكومة المصادقة على وعود لاموريسيير و الدوق دومال [43].

و في الصباح عاد دوماس و أكد للأمير عبد القادر رفض الحكومة تطبيق الوعد المقدم له، وهذا التأكيد أذهل الامير عبد القادر و و حيره ، ولم يفهم موقف السلطات الفرنسية خصوصا و انه اوقف القتال طوعيا ، واعرب عن قلقه و حزنه الشديد لهذه الخيانة و قال انه كان يعتقد ان الضباط الفرنسيين يتحركون داخل سياسة دولة ،و ان قناعاتهم الفردية لا تؤثر على ما قطعوه من وعود و هم يفرقون بين ساحات الحرب و السلم .و قد غضب الامير عبد القادر غضبا شديدا و سخط عليهم و اعترض بقوة ، و عبر لدوماس عن ان هذا الموقف المتخذ من الحكومة الفرنسية و اعتبره كاصدار حكم بالإعدام عليه و على رفاقه، لان اعتقالهم بهذه الطريقة هو الموت البطيء بعينه ، كما اوضح له صعوبة العيش في هذا المعتقل الذي قيد حريتهم ، و منعهم من ابسط ضروريات الحياة ، الى جانب الاختلاف في اللغة و العادات و التقاليد و القوانين والدين و الملابس ..

و قد استوعب الأمير عبد القادر أن اعتقاله قد خطط له منذ البداية ، و هو لم يدرك ذلك و ما كان يقدم له من توضيحات ليست سوى تظليلات و لا اساس لها من الصحة .و عرف أن حريته باتت مستحيلة ،خصوصا و انه يمكن لدولة كفرنسا بقوتها و مفكريها ان تستخدم الأساليب الخيانة ، لتبرر أفعالها و تحصل على مصداقية دولية على خيانتها .و قد عبر الامير عبد القادر لدوماس عن حزنه العميق و اخبره بانه لا يوجد احد يوجهه في هذا الظلام الذي يحيط بهم الا الصلاة و التأمل و القران [44].

---

[43]– هو هنري دورليان الدوق دومال ولد سنة 1822 ، و توفي سنة 1896، و هو الابن الرابع للويس فليب تزوج بكارولين دوبربون سيسيل ابنة ليوبولد دوسالان، له ابنان اثنان ، اهدى ثروته كلها الى المعهد الفرنسي ن دخل الاكاديمية 1870، و اشترط على ان لا يباع ا شيء من املاكه ن لقد كان سبب سقوط الزمالة 1843، و اصبح حاكم عام 1847نفي الى انجلترا 1848، بعد سقوط والده ، ثم عاد الى فرنسا 1871، و مات في سيسيليا 1896.انظر :

ENCYCLOPEDIE, Op.Cit, p230-245

[44]–REVUE DE PARIS, E.P.D.G, PARIS, 1843, pp18,19

و بعد صمت جدي استفاد دوماس من هذه اللحظة الحرجة، و اقترح على الامير عبد القادر ان يكتب رسالة الى الملك لويس فليب ، و قد احس الامير عبد

القادر بان هذا يعتبر كمين من دوماس لكنه انساق وراء ضعفه ،و بضغط من دوماس كتب هذه الرسالة في 21 جانفي 1848 ، واعتقد ان تعاطف دوماس صادق .

بدا فيها الامير عبد القادر بالتركيز على مصلحة وطنه و دينه ، و شرح فيها الوقف الطوعي للقتال و ما جاء فيها : * انا جد متاكد بانكم تحبون الرجل الذي يقوم بما فعلته ، انني ارغب ان اتحدث معكم ، واطلعكم على وضعيتي ، فاذا سمحتم لي ان اتي عندكم مع 04 او 05 اشخاص و اترك عائلتي في طولون مع مصطفى بن تهامي ،و في الاخير اعتمد على حمايتكم ، اسلم شخصيتي بين ايديكم ...* (45).

فبعد كتابة هذه الرسالة لام نفسه كثيرا ، وبعد بضع ساعات طلب من دوماس ان يرجعها له لان فيها بعض التنازلات ،الا ان دوماس امتنع عن ارجاعها بحجة انه ارسلها،و فعلا القاريء لهذه الرسالة يلمس بعض التنازلات ، لاسيما عندما توصل الى كتابة ما كان يريده دوماس و هو وضع نفسه بين يدي الملك .

و لكن اذا ما كانت هذه الرسالة صحيحة فاننا لا يمكننا الحكم على الامير عبد القادر في ظل هذه الظروف الصعبة و امام صرخات الاطفال و الحالة المزرية التي كانوا فيها في المعتقل ،و آلام والدته ،و بالتالي فالضغوط كانت كثيرة ، وهذا ما ادى به الى كتابة هذه الرسالة التي نلمس فيها صرخات من اجل الرحمة و العدالة التي افتقدنا وجودها تماما في هذه الخديعة الكبرى التي لحقت به .
و بامر من تريزيل اتخذ دوماس مقرا له في فور لامالق مع زوجته ، لانه لم يفلح بعد في مهمته و هي تنازل الامير عن الوعد المقدم له ، و لكن بعد فترة وجيزة قضاها دوماس الى جانب الامير اكد دوماس بان مهمته لن تنجح لان رجل مثل الامير عبد القادر لن يقبل ابدا ان يكتب تنازل يلغي فيها العهد المقدم له من الدوق دومال و لاموريسيير (46).

(45)–هناك اشكالية تبقى مطروحة حول مصداقية هذه الرسالة فكلنا نعلم ان رسائل الامير عبد القادر كانت تترجم الى الفرنسية من طرف دوماس ، و دوماس كان في مهمة سرية و هو منحاز بطريقة او باخرى الى دولته لذلك فيمكن ان تكون هذه الرسائل مزورة ، او مفبركة عن الامير عبد القادر و ذلك لتزوير التاريخ الخاص بهذا الرجل .

(46)– Johanne Franz et MIQUEL, felix MIQUEL, Lettre d'un vétéran de l'école de Bretonneau, PARIS, 1856, p379

و في 26 جانفي كتب دوماس لرئيس المجلس نتائج ملاحظاته قال فيها : * عبد القادر ما زال هاديء ، صبور ، مستسلم للقدر ، ومسيطر على وضعيته ،

فاستقصيته ، ووضعت له من يستقصيه ، وتاكدت انه نادم على رسالته للملك ،وكذلك بانه لن يكتب ابدا أي رسالة يتخلى فيها عن الوعود المقدمة له ، فنحن لا نملك شيئا في فرنسا رغم ثرائنا و قوتنا الذي يمكن ان يغريه ، فاليوم بات الامير شبه متاكد و مقتنع ان أي مهمة للحصول على اطلاق سراحه مآلها الفشل * [47].
و قد دعى دوماس الامير عبد القادر للعشاء معه و بحضور السيدة دوماس و التي دهشت لفصاحة الأمير عبد القادر و تحضره و حديثه المثير لكل احترام و تقدير .و تحدث معهما عن الحجاب في الإسلام و أوجه التشابه بين لباس المسلمات و الأوروبيات ، خصوصا عندما كانت زوجة دوماس ترتدي لباسا مشابها للباس المسلمات ، بما يتناسب مع مكانة الامير عبد القادر الدينية[48].

و قد وصلت معلومات لدوماس في 28 جانفي عن طريق لاقان LAGAN ، يعلمه عن تمديد مهمته شهرين آخرين بما ان مهمته لم تنجح بعد حول اقناع الامير عبد القادر للاقامة في فرنسا ، كما رفضت زيارة الامير عبد القادر لباريس ، و على دوماس ان يمنعه باي حجة كانت ، كما على دوماس ان يخبره بالرفض التام لعكا ، و في حين ما ظل رافضا للاقامة في فرنسا ، سوف نعطيه وعود بديلة للذهاب الى الإسكندرية بشرط ان يسكن في بيت تحت مراقبة فرنسية و مراقبة دائمة من القنصل العام في المنطقة [49].

و في انتظار الوصول الى مفاوضات بين نائب ملك مصر و فرنسا يطلب من الامير ان ينقص عدد رفقائه و التابعين له ليعودون الى الجزائر [50].و يبقى معه فقط عائلته و أقرباءه .و لكن دوماس لم يصرح بهذا الخبر للامير عبد القادر في حينه.

---

(47)– Edward Ferdinand BEAUMONT et Vassy de la BONNINNIERE, Op.Cit, pp 350-357

(48)– Ibid, même page

(49)– ZOUMOROFF, Op.Cit, p396.

(50)– La délibération du conseil municipal en date de 05 décembre 1941, Arrête du Maire en date du 02 Avril 1942 , Abdelkader , p17

و في 03 فبراير اعلم الأمير عبد القادر بهذا الخبر و اظهر له دوماس حين ابلاغه **امرين** : اما ان يقيم في فرنسا في ظل ظروف لا تقل عن كونها فاخرة ،

او الذهاب الى الاسكندرية و يكون تحت الإقامة الجبرية الفعلية ، ويوضع عليه جواسيس ليلا و نهارا [51].

و هكذا فقد وجد الامير عبد القادر نفسه امام خيارات جديدة لم تعد تقتضي منه الحرب بل السياسة :

1- إما ان يثمن انجازه ، ويرسخ نموذجه في الذاكرة على الاقل و يدعم مكانته كشخصية طبعت
مجريات القرن التاسع عشر

2- اما ان يتحول ببساطة الى وسيلة بيد النظام الاستعماري .

و بالتالي فقوة الأمير عبد القادر جزائريا و عالميا بقت و ترسخت و ترصعت صورته لانه رفض بأسلوب راقي ان يكون ألعوبة في يد الفرنسيين و دون ان يضمر لهم عداءا ، بحكم ان الحرب قد انتهت ، واختار الوجهة الثانية و هو الإسكندرية ، وركز على حبه الشديد للذهاب الى الاسكندرية و شرح دوافع هذا الاختيار الذي لا ينم على كرهه لفرنسا ،و انما لاسباب العادات و التقاليد المختلفة بين الاوروبيين و المسلمين و قبل بانتظار المفاوضات .

و رغم ذلك فهذه المفاوضات طالت كثيرا و لم تظهر أي نتيجة لصالح الامير عبد القادر و رفقائه و ظلت قضيته معلقة .
و خوفا من تاثير اعتقال الامير على الراي العام ، و تبريرا لكلمة الشرف التي لم تلتزم بها فرنسا قرر الجنرال دولارو ووزير الحربية إخراج الامير عبد القادر لزيارة مخازن السلاح بنواحي طولون [52].

---

(51)- BELLAMARE, Op.Cit, p180

(52)- Le TOULONNAIS, journal du var et de l'Afrique, désigne par décision de la cour royale d'Aix pour l'insertion des annonces légale dans l'arrondissement De Toulon, N-2037, Dimanche, 20 février 1848

و بعد عدة محاولات قبل الامير عبد القادر هذا الاقتراح و في 19 فبراير مرافقا ب 10 من أقربائه منهم مصطفى بن تهامي، و قدور بن علال و الترجمان روسو ركبوا على الساعة الواحدة نهارا في قوارب خاصة مقدمة من محافظ الميناء ، فرأى الامير عبد القادر بواخر الحرب الراسية في الميناء و

استقبل إثناء وصوله من طرف الجنرال قالينييه GUALLINIER [53]، و زار ايضا مصانع الحبال ، الورشات الحرفية ، قاعة الأسلحة .و على الساعة الرابعة مساءا ترك الجموع و توجه الى صلاة العصر و بعدها عاد إلى المعتقل .

و عندما وصل الأمير عبد القادر الى المعتقل اعلم دوماس بأنه من هذا اليوم لن يخرج من هذا المكان إلا ليتوجه الى الإسكندرية و ذلك لسببين :

1- لم يتحمل بعض الاهانات من بعض الفضوليين الفرنسيين

2- كي لا تظن فرنسا بأنه نسي الوعد و استحب التجول في فرنسا ، و هنا تطول فترة اعتقاله.

و استمرت الحياة دون جديد يذكر ، سوى بعض الزيارات التي كانت من الحين و الآخر تخفف عنه حزنه العميق و الشديد ، و منهم نجد الكاتب موريزو و هو جندي بمدينة نيم و الذي كان أسيرا لدى الأمير عبد القادر في 12 أوت 1841 ، و جاء لزيارته ليشكره على تعاطفه معه

و قتما كان أسيرا عنده[54]، و قد أرسل رسالة إليه إلا أن دوماس اطلع عليها و محا منها بعض السطور المهمة .

كما زاره الجنرال اودينو و هو دوق مدينة ريجيو و قد أعرب عن صدق محبته للأمير عبد القادر .

---

(53)-هو قائد ولاية الفار

(54)-Archive d'Aix en Provence, La lettre de MORIZO au Ministre de la guerre le 29-janvier 1848.

II- الرهان السياسي لأسره في فرنسا

- موقف المؤسسات الدستورية الفرنسية ، و الصحافة-

II-1- موقف مجلس النواب و غرفة الشيوخ – البرلمان -

أصبح اعتقال الأمير عبد القادر و رفقائه موضوع صراع كبيـــر بـــين الحكومة و المعارضة ، بحيث قضيته اتخذت منحى خطير اختلفت فيه الآراء بين التأييد و المعارضة .

هذا الاختلاف في الآراء راجع بالدرجة الاولى الى وضع قضية خديعة الامير عبد القادر و شرف الدولة الفرنسية في الميزان ، خصوصـــا امـــام ســـخرية الـــدول الاوروبية المنافسة لها اتجاه هذا الإجراء الغير إنساني .و نظرا لتطور الوضـــع فان الحوار في مجلس النواب و الذي وصل صداه الى الأمير عبد القـــادر بفـــور لامالق ، كان ينص في مجمله على **إعادة النظر في وعود لاموريسيير** .

و قد اجتمع المجلس يوم الاثنين 17 جـــانفي 1848 ، و تـــداولت فيـــه قضية اعتقال الامير عبد القادر ،و قد كثرت الخطابات حول احترام العقد المبرم ، واعطيت اجوبة لرئيس المجلس قيزو [55] و الذي كان يحاول التوفيق بين مصالح الدولة الفرنسية و شرفها .الى جانب عدة اصوات حاولت انقاذ الشرف الفرنســـي امثال بعض المفكرين كلامارتين LAMARTINE ، امير موســـكوفا ، PRINCE DE MOSCOVAو لاروش جاكلان LAROCHE JACLIN [56] .

و من بين اهم الخطابات التي القيت في هذه المناســـبة نجـــد خطـــاب لشخصية بارزة في المجلس و هو ميريو MIRIO و الذي قـــال : * اذ الحكومـــة اكدت بان الوعود قد اعطيت فعلا ، يجب ان تنفذها بدقة شـــديدة ، و لا يلزمهـــا تغيير أي شيء بدون موافقة عبد القادر ، لقد كان يحس بان الاحترام العميـــق و الدقيق الذي يلزم اظهاره للعدو و خصوصا انه وضع السلاح طوعيا يكمـــن فـــي احترام الكلمة التي اعطيت له * [57]

---

[55]-هو فرو نسوا قيزو ولد سنة 1787 ، و توفي في 1874 ، سياسي و مؤرخ فرنسي ن كان رئيسا للحكومة في 1847-*1848 سببت سياسته المحافظة ثورة 1848، و قيام الجمهورية الثانية، كما شغل منصب رئيس مجلس غرفة النواب في فترة سجن الأمير عبد القادرفي فور لامالق .

[56]- BESSAIH, Op.Cit, p197.

[57]- Le MONITEUR, Recueil des débats législatifs et politiques des Chambres Françaises, France, Janvier 1848

كما نلمس في خطاب أمير موسكوفا نوعا من التعاطف مع قضية الأمير عبد القادر ، و الذي اكد فيه بضرورة احترام الحكومة الفرنســية للوعــد ، و لا يجب عليها التردد في تنفيذه ، فالخطر لا يكمن في تنصيب الأمير عبد القادر في دولة اسلامية و هذا ثانوي ، و انما الاولوية هنا تكمن في إنقــاذ شــرف فرنســا باحترام الكلمة المقدمة و التي يجب ان تنفذ [58].
بالنسبة للكلمة العسكرية فقد بدل الجنرال سيفه مع عبد القادر و امام هذا فقد تخلت فرنسا عن التزاماتها لذلك على الحكومة ان تختار بين امرين :

1- اما اعتبار الامير عبد القادر كقاطع طريق و قرصان
2- اوا اعتباره كعدو مهزوم

في الحالة الاولى : يجب حينها اعدامه ، **اما الحالة الثانية :** يجب التعامل معــه وفقا للقانون ككل الناس بمحاكمة عادلة[59] .
و من هذا الخطاب نلمس فعلا الصورة الغير عادلة و المنافية للقــوانين الدوليــة السائدة انذاك في اعتقال الامير عبد القادر و هذا الخطاب هو خير دليل على ذلك.
و لا يمكن لفرنسا ان تعتبر الأمير عبد القادر قرصان او قاطع طريق لانه كــان يدافع عن حقه المشروع ، و ما كان يسترجع من مؤن هو فــي الحقيقــة أمــلاك الجزائريين التي سلبت بدون وجه حق ، كما انه كان يقاوم محتل دخل بــلاده و احتلها بقوة السلاح ، و لم يكن مذنبا في دفاعه عن بلاده و عن حقوقهم المشروعة

كما رد فابفي FABVIER على هذا الرأي و اعتبر ان مصالح فرنســا و شرفها يجتمعان في المصادقة على الوعد و التي أصبحت ضرورية لان مصلحة فرنسا لا تكون معزولة عن شرفها [60]

---

(58)- Edward Ferdinand Beaumont, Vassy de la BONNINNIERE, Op.Cit, P 396

(59)- Ibid, même page

(60)- François GUIZOT , Histoire parlementaire de France ,recueil complet des discours prononcés dans les chambres de 1819-1848 , T5,M.L.P, PARIS , pp525-530

كما القى الماركيز دوبواسي DE BOISSY خطابا جاء فيه * .. انا اطرح سؤالا بسيطا ما مدى مصادقة الحكومة على هذا الوعد أي هل صـــادقت ام لـــم تصادق ، اقول اذا صادقت به يجب التضحية بمصلحة الدولة ، و اذا لم تصـــادق على الدولة ان تسوي كلمة ابن الملك * [61]

كما اجتمع مجلس الشيوخ في 05 فيفري 1848 ، اين ألقى لاموريسيير خطابا محاولا التخفيف من حدة اللوم عليه لقبوله بشروط الأمير عبد القادر بحيث ذكر الحضور بظروف وقف القتال ، و هو الوقف الطوعي بعـــدما كانـــت كـــل إمكانية للتوجه الى الصحراء مع جزء من خيالته ممكنة، و التأثير الســـيكولوجي الذي يمكنه من خلاله ان يحقق تفاعل العديد من السكان المحليين معه .
كما اتهمه البعض من الحضور على انه ترك مجالا للعدو فقال لهم * اذا كانـــت الصحراء افضل له من الإسكندرية فما زال الوقت على ذلك و هو لن يطلب اكثر من هذا ...* [62]

و اضاف قائلا * من السهل جدا ازالة الخيام و السجاد و ربمـــا حتـــى نساءه من قمة الجبال ، و لكن لا يمكننا ان نحول دون فراره نحو الصحراء مـــع خلفائه ،و لا يوجد شخص ينكر مصادقة الدوق دومال على الوعـــد المعطـــى ، فكيف اذن لا ناخذها بعين الاعتبار ، ان عبد القادر هو تجسيد لمبدا و لفكرة دينية ، عندما يكون بماضيه و معتقداته ، وبلاغته ، و فصاحته و معاركه التي قادها و نجاحاته ، أصبح بذلك الممثل الحي لفكرة عميقة في تقاليد شعبه و بـــذلك يمثـــل خطر كبير لبقائه في البلد[63] .
كما القى الجنرال فابفي مرة اخرى في المجلس كلمة جاء فيها * اذا مست كلمـــة فرنسا مات النصر *

---

(61)– François GUIZOT, Op.Cit, pp525-530

(62)– Ibid, pp605, 606

(63)– Arsène BERTEUIL, Op.Cit, p292

للمزيد من التفاصيل انظر : PICHON , Abdelkader : sa jeunesse , son rôle politique et religieuse , son rôle militaire sa captivité , sa mort 1807-1883 , E.L, PARIS, pp137-143

أما عن كافينياك الذي بقي رافضا لإطلاق سراح الأمير عبد القادر ،فقد عبر في المجلس عن رفضه التام لإطلاق سراحه، و اعتبر ان وجود الأمير عبد القادر في فرنسا ليس لاعتباره مسجونا و إنما هو فضل التماثل للقانون الفرنسي ، ولهذا يلزم الالتزام بالقانون و عدم إظهار الحنث باليمين [64]
و قد أيده في هذا الرفض أغلبية الحضور الممثلين عن الشعب الفرنسي امثال روليار RELLIERE فيما بعد .

و لقد كانت حجتهم في هذا الرفض، و هو انكارهم لعدم وجود اتفاقية وقف قتال [65] و كذلك اعتبار الامير عبد القادر المسؤول عن مذبحة الاسرى الفرنسيين التي سبق الاشارة اليها .
الى جانب رفض اغلبية السكان الفرنسيين لاطلاق سراحه، لانهم لم ينسوا مذبحة ابنائهم و التي اعتبروا الامير عبد القادر مسؤولا عنها .

و محاولة منه وقف هذا الجدل فقد اتبع رئيس المجلس خطة التضليل فرد على هذه التدخلات بقوله* يوجد تفاوض مفتوح لكسب باشا مصر لاستقبال عبد القادر و نحن لا يمكننا اجباره ، بعدها عليه ان يعطينا ضمانات و شروط حراسة بتفصيل ،و التي لا يمكنني الحديث عنها ،و لكن ما اقوم به سيمنحنا امن مؤكد * [66]

نستشف من خلال ذلك ان الدولة ارادت التوفيق بين الوعد المقدم من الجنرال لاموريسير و المؤكد من الدوق دومال مع الاحتفاظ بفائدة الدولة ،فاستبعدت عكا بحجة انها لم تعترف بالسيادة الفرنسية في الجزائر[67] ، و ابقت على الاسكندرية بشرط وجود مراقبة فرنسية مشددة لضمان امنها

---

(64)– Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, L'Emir Abdelkader a Amboise 1848-1852, F.S.L, France, 2002, p7

(65)– ان الفرنسيين يستخدمون مصطلح الاستسلام reddition و ذلك لتبرير فشلهم خاصة و نحن نعلم ان الامير عبد القادر اوقف القتال طوعيا ، وهذا ليس معناه استسلام و انما طلب امان .

(66)– A.G.ROZEY, Op.Cit, pp142-145

(67)– بالرغم من ذلك الا انها ارسلت دولافالات De LAVALETTE الى تركيا لطلب ضمانات لارسال الامير عبد القادر الا انها رفضت اعطاء الضمانات و طالبت بتحريره عندها غادر لافالت و طالب الديوان بالتخلي عن هذه المطالب و في هذه النقطة الكثير من الشك. انظر :
REVUE DE L'ORIENT ET DE L'ALGERIE, Bulletin de la société orientale de France, S.O, PARIS, 1852, p367

و على الرغم من ان قضية الامير عبد القادر و حاشيته كانت في التداول من طرف الحكومة ،الا ان التساؤل عن مستقبل الامير عبد القادر ظل مطروحا ،

خصوصا فيما يخص مسالة المصادقة على الاتفاق و على الشروط الواجب أخذها بعين الاعتبار وواجب الاحتياط من اخذه الى الاسكندرية حتى لا يتم الندم عليها في المستقبل .

ان وقف الامير عبد القادر للقتال و الظروف المحيطة به جعلت من السلطات الفرنسية ان تحتوي كل هذه القضايا ، فالاحتفاظ بالامير عبد القادر خارج الاراضي الفرنسية هذا امر صعب بالنسبة لها خصوصا ان لا احد ممن دافعوا عن قضية الامير عبد القادر و طالبوا بحريته لم يلتزموا التزاما كافيا مع هذا الطلب ، ولهذا فقد وصل المجلس الى نتيجة جاءت على لسان قيزو GUIZOT قائلا * كل تعهدات الامير سوف لن تؤخذ بعين الاعتبا ر ، فلا احد يمكنه ان يحد من نشاطه في مصر و اذا اوقف القتال في تلك الظروف كان هذا استثنائيا، لكن في حال ما اذا حصل على حريته في المشرق فسيمكنه ذلك من العودة الى وهران و ليس هناك أي ضمان لكلمته و هكذا فعدم وجوده باراضينا و امام مراقبتنا ، او عند جيراننا و حلفائنا سيسهل عليه العودة الى الساحة من جديد في الجزائر لاستنفاد قواتنا و سكب دماء جنودنا * [68]

و هكذا فان تعاطف الأقلية من الشخصيات في البرلمان لم تؤثر في قرار الأغلبية المطلقة و التي قررت إبقاء الأمير عبد القادر مسجونا باسم الشعب الفرنسي ، و الذي دائما اعتبروه :
عدو فرنسا في الجزائر و مجرم حرب .

---

(68)– Op.Cit, pp607, 608

II-2- موقف الملك لويس فليب

لم يكن للملك موقفا شخصيا ، و انما كان مترددا بين الآراء المضادة خاصة اختلاف الآراء بين أبنائه الثلاث الذين اقترحوا على والدهم لرفض اقتراح و كلمة اخيهم ، و كذلك فلم يستطع الوقوف ضد رغبة البرلمان الذي يمثل الشعب نظرا لحدود النظام الدستوري[69]، فقرر ان يرسل الرسام أوراس فارني Horace VARNIER الى طولون في مهمة سرية الى الامير عبد القادر، يخبره فيها بان وزراءه جبناء لاتخاذ قرار لذلك سيعمل شخصيا على تطبيق الوعد ، اما المهمة العلنية و هو رسم صورة للامير عبد القادر ، لكن هذه المهمة لم تتم نظرا لزوال الملكية و ظهور النظام الجهوري ،و هذا ما اجل كل قرار لإطلاق سراحه ، فمجيء الجمهورية قضى على أمل الأمير عبد القادر و عرف بان أمره سيتعقد أكثر بسبب المخاض السياسي في فرنسا .

II-3- موقف الصحافة الوطنية الفرنسية

اثناء وقف الامير عبد القادر للقتال لم يحدث أي رد فعل في الجزائر ، و لكن بالمقابل اثار هذا الحدث ردود فعل قوية لا سيما على مستوى الصحافة الفرنسية الداخلية ، الذين فتحوا صفحاتهم للحدث ، و كانت هذه الصحف تتابع مجريات الاحداث و تصف تشدد النواب امام الرفض لاطلاق سراح الامير عبد القادر بالنفاق ، و طالبت للالتزام بالوعود و تحقيق التزاماتها القانونية و الاخلاقية اتجاهه لا سيما الاطفال .

من بين هذه الصحف نجد صحيفة **Les DEBATS** التي تابعت الحدث منذ وقف الامير عبد القادر للقتال فكتبت في صفحاتها الاولى : * اين مجد فرنسا التي لم تستطع التغلب على شاب عمره 24 سنة ، رجل ليس له جيش ن و بدا تنظيمه من الصفر ونحن لا نحتاج لاي خبرة او مال او سلاح*[70]

---

(69)- ZOUMOROFF, Op.Cit, pp409-411

(70)- Emile GIRARDIN, Op.Cit, p451

كما واصلت نفس الجريدة هجومها على موقف الجنرالات و الحكومة بقولها * اين هو مجد فرنسا التي خسرت اموالا كثيرة دون جدوى ، خصوصا و ان الامير عبد القادر اوقف القتال طوعيا ، واوروبا اليوم تقول اين هو فكر الجنرالات الفرنسيين و جيوشهم ..*[71]

و تواصل الصحيفة * اذا كان الامير عبد القادر قد استسلم بدون شروط كما يزعم في البرلمان ، فكيف نفسر تصريحات لاموريسيير حول تبريره لقبول الشروط في غرفة الشيوخ يوم 05 فيفري ن اذن فاليوم فرنسا ليست حرة الا اذا قامت بنفس ما قامت به بريطانيا عندما خدعت نابليون ، وبذلك على فرنسا ان تلتزم بوعدها و تتخذ التزاماتها كاملة اتجاه عبد القادر و التي صادق عليها الدوق دومال ..و هكذا ليس على فرنسا ان تضع في كفة شرفها و في كفة حرية عبد القادر وليس امامها سوى حل واحد و هو ارساله الى عكا او الاسكندرية * [72]

كما تعرضت الصحيفة للحديث عن موقف رئيس المجلس قائلة : في 05 جانفي 1848 سئل رئيس المجلس من طرف مراسل الصحيفة عن التعهد المعطى من لاموريسيير و المصادق عليه من الدوق دومال اجاب : ان الموافقة على شروط الدوق دومال على التفاوض لا يلزم الملك ، و لهذا لا ابدي راي ، والحكومة لم تأخذ موقف في هذا الأمر [73]

نحن تقول الصحيفة : مصممين على القول ان الحكومة ليس لها الحرية للاختيار بين موقفين
و انما هو موقف واحد و هو ما تمليه عليها الوضعية الحالية :
1- ان تصادق على تعهد لاموريسيير و الدوق دومال
2-وتقبل باستقالة الدوق دومال من منصبه كحاكم عام للجزائر .

---

(71)- Emile GIRARDIN, Op.Cit, p451

(72)- Ibid, pp454, 455

(73)- Le journal des débats, 08 Janvier 1848

اذا الحكومة وافقت على التعهد فيمكنها ان تضع الامير عبد القادر تحت حماية انجلترا في عكا او الاسكندرية و في هذه الحالة ستبقى مسالة هروبه .
نحن نقول انه اذا كان بإمكانه الهروب ، ما كان ليتفاوض مع لاموريسيير على تلك الشروط و بالتالي ففرنسا متعهدة على جهتين :

1- الكلمة .
2- المصادقة عليها .

و تواصل الجريدة وجهة نظرها في الموضوع بحيث تربط أسباب رفض الحكومة الموافقة على الوعد المقدم هو رغبتها في استقالة الدوق دومال ، وعملت فعلا على ذلك بحيث لم تحترم كلمته ، ولم يكن لهم إخلاص اتجاهه لا قبلا و لا الآن، و لا حتى اتخاذ مسؤولية حول كلمته و بالتالي فقد خرج دومال من هذه الوضعية بموقف غير مشرف [74]

كما تعرضت الحكومة الى هجوم جديد في 07 جانفي 1848 ، من طرف جريدتي
Le NATIONAL و الذي كان رئيس تحريرها هو ارموند ماراست Armand MARRAST
و جريدة LE MONITEUR DE L'ARMEE.
فقد تحمست الجريدة الأولى حول قضية عدم إطلاق سراح الامير عبد القادر و خصوصا مسالة الشرف الفرنسي و الخلفيات السياسية من وراء هذا الاجراء .

كما عبرت الجريدة الثانية عن موقفها * كنا نعتبر ان استسلام عبد القادر هو مخرج سلمي ، و الذي سنفرح به ، لكنه في الحقيقة غير ذلك نظرا لانه لم يستسلم بارادتنا ، و انما هو استسلام طوعي [75] ... ان ابن الملك الدوق دومال قام بغلطة و يجب على فرنسا ان تتحملها لانه خان واجبه ، والسؤال المطروح هو هل ستستفيد فرنسا امام هزيمة عبد القادر .

(74)- Emile GIRARDIN, Op.Cit, p p458,459

(75)- Ibid, p460

ان ربح فرنسا الحقيقي يكمن في احترامها لكلمتها ، خاصة أمام الامبراطوية في اوروبا لان عدم احترامها لكلمتها هو نقص في الإيمان... و أمام هذه الاضطرابات قررت الحكومة إجبار الأمير عبد القادر للبقاء في فرنسا ، وفكروا بان هذا لن يكون مستحيلا ، خصوصا بعد رسالته الى الملك لويس فليب .. [76]

كما سلطت الضوء على رسالتي احتجاج على وضعية الأمير عبد القادر القاسية في المعتقل بطولون .

الاولى : كانت بتارخ 19 جانفي 1848 [77]جاء فيها : لا أريد ان اترك المدينة التي قضيت فيها 05 ايام ، وانا اعبر عن كل إحساس في داخلي عن الحزن و الفضيحة التي أظهرتها المعاملة البربرية للحكومة الفرنسية و التي تجسدت في عملاء البحرية بطولون .

الثانية : 30 جانفي جاء فيها : حضرنا هذا المنظر الرهيب للحكم المتقدم، و الذي اظهر وجهين للتراجيدية الكلاسيكية : الإرهاب و الشفقة خلفهم سوء تقدير الفعل و الخوف في الدراما الفرنسية و التي كانت تدعي بالنظام السياسي العادل و بثقافة الكرم .

وبعد نقل المساجين من فور مالبوسكي في 17 جانفي نحو فور لامالق لاحظنا فعليا عدم مراعاة صحة الاطفال و الناس [78]

و تقريبا نفس الموقف اظهرته كل من جريدتي LES DEUX MONDES و LA SENTINELLE و قد اكدتا انه من الحكمة توجيه الامير عبد القادر الى المكان المتفق عليه الى الاسكندرية او عكا .

كما نجد كل من LE TOULONNAIS و LE SEMAPHORE DE MARSEILLE و LE CONSTITUTIONNEL كذلك فتحت صفحاتها للحدث و ركزت على الشرف الفرنسي و الحنث باليمين المطبق ضد الامير عبد القادر .

---

(76)– Emile GIRARDIN, Op.Cit, p 466

(77)–على حسب راي فان هذه الرسالة هي من المترجم روسو لان السلطات امرته بان يترك الامير و يعود الى باريس لكنه رفض و قرر البقاء الى جانبه في لازارات و رافقه الى فور لامالق .

(78)– Emile GIRARDIN, Op.Cit, même page

الى جانب الموقف الحازم لجريدة LE PYRENEE و التي عبر رئيس تحريرها باتريك اوكين Patrick O'QUIN ، عن رفض الجريدة القاطع للخديعة المطبقة ضد عبد القادر، لا سيما أطفاله و شبه ذلك بخديعة انجلترا لنابليون فقال * التاريخ يفضح انجلترا على سلوكها المخادع نحو نابليون ، هل يا ترى انجلترا ستجد ألفاظ مناسبة لتعبر عن نسيان المواثيق ، وقد كتب نابليون في ذلك رسالة للحكومة الانجليزية قال : نستدعي التاريخ الذي يقول من قام بحرب لمدة 20 سنة لانجلترا بكل حرية ، بعد نكبته يبحث عن ملجأ تحت قوانينها مد يده للضيافة فأهلكوه و ضيعوه و ضحوا به [79]

و قد وضع الرئيس هذه الافتتاحية للمقارنة بين ما حدث لنابليون و الأمير عبد القادر فلم يجد اختلافا بينهما سوى فرقين :

1- هو أن الأمير عبد القادر كان له وعد مكتوب أما نابليون فوعده شفوي.

2- نابليون أراد الاستقرار في انجلترا بعد استسلامه ، أما الأمير عبد القادر فرفض كل الإغراءات لبقائه في فرنسا ، و لم يتخلى على شروطه و هي مكة ، كما انه لم يستسلم و إنما أوقف القتال طوعيا و بإرادته بعدما فقد كل أدوات المواجهة .

II-4- موقف بعض رجال الفكر و الثقافة

II-4-1- موقف الفونس دو لامارتين

لقد رفض لامارتين [80]ظروف الاعتقال القاسية التي يمر بها الامير و الاطفال و النساء بطولون ، و لكن التزاماته و طلباته للافراج عن الامير عبد القادر لم تكن كافية ، و لم تعط أي نتيجة اتجاه الموقف الحازم للدولة ، و قد ترك الامر لها حول هذا الموضوع و اكتفى فقط بطلب تغيير مكان الاقامة ، و ايجاد مكان لائق للاسرى ، و كأن هذه هي الحرية .

[79]- BESSAIH, Op.Cit, p129

[80]- هو الفونس دولامارتين : ولد سنة 1790، في مدينة ماكون و هو كبير اسرته و الابن الوحيد وسط 06 اخوات ن وقد ورث كل املاك اسرته من قصور و اراضي، عندما كان عمره 20سنة درس الدين في الكنائس و كان حلمه ان يصبح دبلوماسيا و هو من مناصري الاسرة المالكة تزوج بانجليزية مسيحية هي ماري ان بيرش ، و له ابنان ماتا الف عدة كتب حول العبادة 1823 كما الف لموت سقراط و انتخب في الاكاديمية 1829 ، و في ثورة جويلية تقدم لانتحاب النواب و خسر فيها 1831 و ذهب بعدها الى الشرق الاوسط 1832 ، و لما رجع الى فرنسا وجد نفسه عضو افي البرلمان 1833 بعدما انتخب غيابيا الى غاية 1852 ، كان كوزير للخارجية سنة 1848، و انسحب من الحكم 24 جوان 1848و توفي في 1869 انظر : Encyclopédie Universels , Op.Cit, pp230-290

فقال :* زرت مرة قصر بو و تعجبت من جمال السماء و المنظر الطبيعي و قد تمكنت من ان اكون الحاكم على مصير الامير عبد القادر الذي سجنه كان يمثل لي مساس بحقوق المهزوم اقترح على الحكومة ان لا تصادق على اعتقاله القاتل و الغير شرعي ، و كي تنقل المعتقلين في انتظار قراراتها الى مسكن لائق تتوفر فيه شروط الحياة و هكذا يكون في سجن احتياطي .* [81]

II-4-1- موقف فيكتور هيغو [82]

رغم كونه مثقفا و كاتبا معروفا ، و مناصرا من خلال كتاباته للضعفاء ،الا ان موقفه اتجاه هذه الوضعية المزرية و المأساة التي أصابت الأمير عبد القادر و عائلته ، لم يكن واضحا و مؤثرا في الآراء ، لانه كان هو الأخر عضو في مجلس النواب ، و ظل مترددا اتجاه هذه القضية و لم يعط أي موقف محدد خصوصا حول وضع الامير عبد القادر كسجين و حول الشرف الفرنسي ، باستثناء انه قام ببادرتين فقط :

أولهما: إرسال ابنه الصحفي لزيارة الأمير عبد القادر ، و ليس في المرحلة الأولى من الاعتقال و إنما بعدما نقل الأمير عبد القادر الى قصر امبواز ، و مع ذلك لم يحصل ابنه على التصريح للدخول .

ثانيهما: انه كتب قصيدة مطولة ، ينعت فيها الأمير عبد القادر بقاطع الطريق و ان يديه ملطختين بدماء الأبرياء الفرنسيين و يقصد هنا مذبحة الأسرى في الدائرة . و من خلال هذه القصيدة المطولة نستنتج بان فيكتور هيغو كان ضد إطلاق سراحه و مناهضا لبقائه في السجن مثل رأي أغلبية النواب .

---

(81)- ZOUMOROFF, Op.Cit, p405

(82)- هو فيكتور ماري هيغو ولد في 26 فيفري 1802، وهو شاعر و كاتب و سياسي فرنسي ، و هو ابن الجنرال جوزيف ليونارد سيجيساد هيغو المولود 1773-1828 ، كانت أول منشوراته في عام 1827، تزوج في 12 أكتوبر 1822 ، باديلا فوشي ، و له 05 اطفال ، و في سن 25 سنة نفي الى بروكسل بعد الانقلاب في 02ديسمبر 1851. ، و من أهم منشوراته Les MESIRABLES و التي نشرها 1845 ، و les CHATIMENTS و توفي في 1862 .

و هكذا فان أغلبية طبقات المجتمع سواء منها المثقفة او السياسية ، لم يكن موقفها مساندا لحصول الأمير على حريته ، أما الرافضين لبقائه محجوزا لدى الحكومة و هم الأقلية فقد اكتفوا بطلبات حول تغيير مكان الاعتقال، و تحسين ظروف عيشه دون مراعاة تجاوزات الدولة القانونية و انتهاكها لحقوقه الإنسانية ، بالرغم من المبادئ و القواعد التي جاءت بها الثورة الفرنسية و التي تزعمها مثقفين من طراز رفيع .

و هذا السكوت ايضا حول هذه الخديعة القانونية و الأخلاقية اتجاه الأمير عبد القادر كانت من أعلى قمة في هرم الدولة ، و هي وزارة العدل التي ظلت راضخة لما يحدث و لم تعط اي موقف او القيام بأي بادرة لتغيير هذه الانتهاكات ، خصوصا و أن وزير العدل آنذاك و هو ميشيل ايبار Michel HEBERT: و حتى وزراء العدل الذين تلوه طيلة فترة سجن الامير عبد القادر و هم : ادولف كريميو Adolphe CREMIEUX [83] و اوجين باتمون Eugène BETHMONT [84] و اليكسندر ماري Alexandre MARIE [85] و اوجين روهر Eugène ROUHER [86] جوزيف كوربان Joseph CORBIN [87] و الفرد دافييل Alfred DAVIEL [88] و اوجين روهر [89] و اخيرا جين بيار شارل اباتوتشي Jean Pierre ABATUCCI [90]

كل هؤلاء بخبراتهم القانونية و ثقافتهم العالية لم يغيروا من وضعية الامير عبد القادر شيئا، و انما كان رضوخا تاما لسياسة الدولة سواء في الفترة الملكية او الجمهورية . و ان دل ذلك على شيء فانما يدل على الوضعية الغير قانونية التي اتبعتها الدولة اتجاه الامير عبد القادر و عائلته ، و لم يتمكن هؤلاء من الوقوف ضد رغبة نواب البرلمان الممثلين عن الشعب لا باطلاق سراح الامير عبد القادر و لا حتى طالبوا بالمحاكمة العادلة التي دائما نادى بها الامير عبد القادر و الذي لم يعرف تهمته حتى اعتقل ،
و كان دائما يقول * ما قمت به كان واجبي كجزائري..*

---

(83)- 1848/06/07-1848/02/24

(84)- 1848/07/17-1848/06/07

(85)-1848/12/20-1848/07/17

(86)-1851/10/26-1848/12/20

(87)-1851/11/01-1851/10/26

(88)-1851/12/03-1851/11/01

(89)-1852/01/22-1851/12/03

(90)-1857/12/11-1852/01/22

و لم نلمس أي رد فعل من نقابة المحامين الفرنسيين ايضا والتي تاسست ضمن جدول المحامين وفق قرار صادر و مؤرخ في 16 افريل 1848 ، و ذلك راجع لخضوعهم لنص المادة 06 من هذا القرار و التي تنص في فحواها *انه يخضع هذا القرار الى موافقة وزير الحربية * ،بمعنى ان تنصيب هؤلاء المحامين يرجع الى وزير الحربية و لذلك و خوفا على مناصبهم لم يبدوا أي موقف رغم ان هذه الوضعية كانت منافية تماما للوعد المقدم ،اذن فقد عرفوا و بدقة ان هذه الوضعية هي غير عادلة بتاتا ، خصوصا بوجود حنث بيمين ووعد مفقود ، و لكن نظرا للظروف السياسية السيئة التي كانت تعاني منها الدولة و تغيير في الحكومات، ألغى كل محاولة لتغيير هذه الوضعية القاسية ،لا سيما اذا كانت مرتقبة من إطارات دولة أمثال القضاة ووزراء العدل.

و نفس الموقف اظهرته **الكنيسة** التي لم يكن لها أي رد فعل اتجاه هذه الخديعة ،خصوصا واننا نعلم انها باركت الحملة الفرنسية على الجزائر وكانت تحركها المصالح السياسية ،و اصبحت تلعب الدور السياسي بدل الديني ، كما ان هؤلاء القسيسيين الذين زاروا الامير عبد القادر لم يغيروا من وضعيته ما عدى الكتاب الذي الفه دوبوش حول قضية عبد القادر ، و ما عدى ذلك جمعهم فقط معه حوارات دينية ليس الا .

III – المرحلة الثانية : استمرار المعاناة في ظل الحكم الجمهوري

ظل الامير عبد القادر يعاني من التضييق و الانتهاك لاكثر حقوقه قداسة ،و ذلك لاعتقاله بالقوة و حجر حريته ، و بعذ سقوط الملكية و ظهور النظام الجمهوري الجديد قضي على كل امل له لاطلاق سراحه، لا سيما و ان الحكومة الجديدة ليست ملزمة بتحقيق ما خلفه النظام القديم .

و هكذا فزوال النظام الملكي و ظهور الحكومة المؤقتة الممهدة للنظام الجمهوري قضى على كل امل له في الحرية ، خصوصا و ان الامير عبد القادر قدم لدوماس رايه عن هذا النظام ، و الذي عبر
عنه * **بجسد بدون رأس** *و كأول خطوة لها في مباشرة مهامها تم إرسال النائب العام ايميل اوليفييه Emile OLIVIER لزيارة الامير عبد القادر ، و قد تم اختياره من قبل الحكومة المؤقتة لتقييم الحالة الذهنية للامير عبد القادر ، قد عبر ايميل اوليفييه عن الحالة التي وجد عليها الامير عبد القادر منذ الوهلة الاولى لرؤيته فيقول *كان يرتدي برنوسه الأبيض و هو جالس على السرير بالقرب من شبابيك النافذة مع تعبير حزن هادئ في وجهه *[91] كما استفسر ايميل اوليفييه عن احتياجات الأمير عبد القادرو عائلته فكان جواب دوماس * قلبه فارغ ، فهو لا ينبغي أن يكون هنا، فأنت تعرف انه لم يستسلم بقوة السلاح وإنما طوعيا * [92].

(91)– ZOUMOROFF, Op.Cit, p409

(92)– François Charles DU BARAIL, Op.Cit, pp205-210

و في 15 مارس التقى الأمير عبد القادر بايميل اوليفييه في لقائهما الثاني ،و اشتكى خلالهما الأمير عبد القادر بوجعه ، و عن الظلم الذي وقع عليهم ،و ذكره بظروف وقفه للقتال،و طالب باحترام العهد المقدم له [93].
وككل الشخصيات تقريبا التي زارته ، تعاطف معه ايميل اوليفييه و رأى فيه نظرة المخدوع الذي استمر في مستوى المصيبة ، حينها كتب رسالة الى رئيس الحكومة المؤقتة مؤرخة ب 19 مارس 1848، ليلح فيها على قضية الشرف الفرنسي الخطير الذي ورث من النظام المخلوع، كما تكلم فيها عن وقف عبد القادر للقتال،و عن فشل المحاولات لإقناعه ليعيش طوعيا في فرنسا [94].

و في نفس اليوم كتب الامير عبد القادر رسالتين مدعمتين من ايميل اوليفييه مؤرختين 19مارس1848، و موجهة الى وزارة الحربية، التي كان يترأسها فرو نسوا اراقو [95] François ARAGO .

تتضمن **الرسالة الاولى:** مطالب حول ضرورة احترام العهد، و تخليص الشرف الفرنسي من عدم التزام النظام السابق بما عاهده عليه ، فهذه الرسالة في مجملها هي خير نداء للعدالة مصممة بشكل رائع لمشاعر الرئيس الجديد ، بحيث طالب بازالة الحجاب عن المعاناة التي القيت عليه و على رفاقه و اطفالهم و نسائهم ، يقول : اطلب بالعدالة و حدها من بين ايديكم و ركز فيها على الثقة التي اولاها لكلمة الفرنسيين ، و ختم قائلا : تنظر الي اليوم تراني ميت ، رغبتي الوحيدة هي الذهاب الى مكة المكرمة للصلاة و العبادة [96] .

---

(93)– في نفس هذه الفترة وصلت أخبار إلى الأمير عبد القادر عن نقله إلى بو و بأنه سينفصل عن مجموعة من رفاقه ، فكان مسموحا له بأخذ 40 شخصا فقط لان قصر بو لا يمكن أن يتحمل أكثر من ذلك . انظر : Patrick O'QUIN, Mémorial des PYRENEE, 1Avril 1848

(94)– Département des BOUCHES –DU-RHONE ET DU VAR, Lettre du 19 MARS, 1848, Le Commissaire du gouvernement provisoire dans les départements des bouches –du – rhone et du var Au président du gouvernement provisoire, Liasse 220-8

(95)– ولد سنة 1786 و توفي 1853 ، و هو فيزيائي و رجل سياسي فرنسي ، عندما بلغ من العمر 23 أصبح وزير للحربية و البحرية.

(96)– Département des BOUCHES –DU-RHONE ET DU VAR, Lettre du 19 MARS, 1848 de L'émir Abdelkader Au gouvernement provisoire, Liasse 220-9

و اتبع هذه الرسالة الأولى **بالرسالة الثانية** : و التي تعهد فيها بان لا يلعب دور سياسي في الجزائر ، سواء هو او رفاقه ، اما برسائل او شخصه او بأي وسيلة أخرى فيقول :* أعطيكم كلمتي الشريفة ان لا أكون اضطرابات ضد الفرنسيين لا بشخصي ، و لا بأتباعي ، وألزم بالله و الرسول و القرآن على هذا الأمر* ، كما اخبرهم بأنه لا يملك أي وسيلة أخرى ليثبت فيها حسن نيته [97]

عندها عاد ايميل اوليفي إلى باريس نصيرا لإطلاق سراح الأمير عبد القادر لدى فرونسوا اراقو ، فطالب بإطلاق سراح الأمير عبد القادر الفوري فقال : *إن استمرار سجن الأمير معناه قتله ، فهو لا يخرج أبدا من خلوته ، و ستقدم الحكومة المؤقتة مشهدا رائعا إذا وفت بالعهد و التزمت برغبات الأمير، و هي إرساله إلى مكة، هذا النموذج سيمثل مفخرة و مجد لتنفيذ وعد مقدم من ابن ملك و غدر الدولة * [98] .

و لكن رغم كل هذه الطلبات إلا أن الحكومة المؤقتة ظلت رافضة لإطلاق سراحه، و لم تجد رسائله و لا تدخل ايميل اوليفييه أي صدى ، و لم يصدر أي قرار سوى ما أجاب عليه فرونسوا اراغو بقوله*إن الجمهورية لا ترى نفسها مقيدة مع عبد القادر بأي تعهد ، ومن هنا ستتعامل معه بحسب وضعيته السابقة أي كسجين *[99] و يواصل قائلا * ليس لي أدنى التزام وواجب اتجاه أسير حرب*[100] ، و هكذا فقد صدرت أوامر بتشديد الحراسة على عبد القادر أكثر و لم تكن بذلك أكثر قدرة من سابقتها، فقد كانت الحكومة الجديدة ضعيفة و هشة كما كان النظام السابق.

و قد تم تجاهل قضية عبد القادر في البرلمان ، و انما كان النقاش الدائم حول مسألة التوفيق بين مصالح فرنسا في الجزائر ، اما قضية الامير عبد القادر فقد كان الفصل فيها هو بقائه معتقلا خصوصا بعدما وجدت الحكومة نفسها مقيدة بامرين :

---

(97)– Département des BOUCHES –DU-RHONE ET DU VAR, Lettre du 19 MARS, 1848, de L'émir Abdelkader Au gouvernement provisoire .

(98)– REVUE DES DEUX MONDE, E.B.D.M, PARIS, 1 Octobre, 1852, pp601-605

(99)– Daviel STERN, Marie CATHERINE, Histoire de la révolution de 1848, PARIS, 1851, pp267-270

(100)– Ibid, même page

1- إما إطلاق سراح الأمير و رفقائه رغم معارضة أغلبية النواب في البرلمان
2- إما المصادقة الشرعية على بقائه معتقلا رغم مجازفة الحكومة لامتصاص غضب الشعب
فقبلوا بالوجهة الثانية ، نظرا لاستمرار الحرب في الجزائر ، و للتوتر السياسي المستمرفي الداخل [101]

و استمرت حياة السجناء بين الزيارات ،و الصلاة، و تعليم الأطفال القران ، و الاعتناء بالمرضى لا سيما منها والدة الأمير عبد القادر لالا الزهرة ،و الحوار مع دوماس عن الخيل و الدين و الجزائر ،ولباس المرأة المسلمة ، و كذلك التحدث عن الرياضيات مع سجانيه [102]

اما عن مسالة استمرار الاحتلال في الجزائر فقد ظلت المناقشات مستمرة في البرلمان و مجلس النواب الذي حضرة بيجو و طالب بالخروج من الجزائر ،و إنهاء الاحتلال مع الاحتفاظ بالموانيء لأغراض تجارية [103] في نفس المضمار كان فيكتور هيغو يرى الوضع بشكل مختلف ، و اعتبر ان وجودهم بالجزائر يحمل في طياته مهمة نبيلة يقول * يجب ان نبقى في الجزائر لأنه لدينا الحضارة *[104] اذا كانت الحضارة التي زعم بها فيكتور هيغو معناها

الإبادة الهوياتية للجزائريين ، وعدم وجود و لا مهندس للبناء ، مصنع للطائرات ، اين تظهر القيم و المبادئ الثورة الفرنسة ، اين هي حقوق الإنسان ، اين هي أفكار مونتيسكيو و وروسو و ديدرو ، كم يساوي ترك الجزائر على هامش الحضارة و الإنسانية ، هل تستطيع ان تدفع للجزائريين قيمة الملايين التي صرفت من خيرات و اموال الجزائر على المعمرين ، كم يساوي تحطيم الخلية الاجتماعية الجزائرية كالزواف ، كم يساوي وضع الجزائريين في الجهل و الظلام و الأمراض النفسية، كم يساوي عدد الضحايا الجزائريين منذ وجودها بالجزائر و لغاية 1962 .

---

(101)- Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, p09

(102)- Bruno ETIENNE, Op.Cit, p250

(103)- BLANCH Leslie, The wilder shores of love, L.G, NEW YORK, 1993, p148-150

للمزيد من التفاصيل انظر : BUGEUD Thomas , Par l'epee et par la charrue : ècrits et discours de Bugeaud sur colonies et empires , collection internationale De documentation colonial, P.U.F, PARIS, 1948, p5-7

(104)- DEVEREUX Roy, Aspects of Algeria, I.M, LONDON, 1912, pp213-230

كم تساوي معاناة كل الشعب الجزائري بانتهاك حقوقه واخذ ممتلكاته و قمعه ، كم تساوي قيمة المنتج الفلاحي المسروق من الجزائر، كم تساوي قيمة الغابات المحروقة، كم تساوي أرواح من ماتوا خنقا في مجزرة أولاد رياح، وكل الإبادات و المحارق في الجزائر1962.

اذا كانت كل هذه الانتهاكات هي الحضارة الفرنسية و ليست قمة البربرية فان هذه هي الحضارة التي يجهلها الجزائريون فعلا .، و بالتالي فنقول ان فيكتور هيغو صائب في تعليقه ، اما اذا كانت هذه المجازر و الانتهاكات هي قمة البربرية و الوحشية ضد الشعب الجزائري الأعزل، فنقول انه على فرنسا دفع ثمن هذه الأرواح و الاعتذار عن مجازرها في الجزائر و الاعتراف بها ، لان التاريخ سيلاحقها و يعاقبها من طرف الأجيال اللاحقة .

أما عن اليكسيس دي توكفيل [105] ، فقد أعرب عن قلقه من أن يحدث ما حدث سابقا في أمريكا فقال * عاجلا أو آجلا سوف تصبح الجزائر مسلحة أكثر ، و سيظل الشعبين متحاربين دون رحمة حتى تبيد الواحدة الأخرى*[106]

في 29 مارس انذر العقيد لورو L'HEUREU وزير الحربية الجديد كافينياك و الذي عين خلفا لفرونسوا اراغو، بالظروف الصحية السيئة التي يعيشها الأمير عبد القادر و رفقائه ،كما اعلمه باحتجاجات الأمير عبد القادر المتواصلة ضد الحكومة السابقة ، فقال * هو ليس بساكت ، إنما دائما يتحدث بألفاظ حادة قوية ، و بأنه ضحية خيانة عظمى ، يأسه قوي ، ويعلم برغبة أتباعه في الانتحار..*[107] و قد تواصلت مراسلات الأمير عبد القادر مع ايميل اوليفي مطالبا دائما بحقه القانوني ، وبضرورة الالتزام حوله، و قمة الغدر ،و الخيانة التي تعرض لها و استمرت هذه المراسلات حتى بعد اطلاق سراحه و نفيه في بروسة و دمشق [108] .

---

[105]– ولد سنة 1805و توفي في 1859، و هو كاتب و سياسي فرنسي.

[106]– DEVEREUX Roy, Op.Cit.p231-239

[107]– ZOUMOROFF, Op.Cit, p401, 402

[108]– من خلال الملحق رقم 16 المرفق في هذه الدراسة ، فهناك إدراج لملف خاص برسائل الامير عبد القادر لايميل اوليفييه . Archives Nationales- Dépôts des archives d'outre mer - CHAN, 542AP10, PIECE 1-69, Abdelkader

كما طالب دائما بمحاكمة عادلة ، ويظهر ذلك من خلال قوله لدوماس * ألا يوجد عندكم محكمة متكلفة بالنظر في شكايات المضطهدين ، إذا وجدت عندكم خذوني أمامها ، واستدعوا كل علمائكم و أنا أتكلف بالانتصار عليهم بقوة البرهان و الدليل على حقوقنا ، لكم انتم بعيدين عن هذا الملك المسلم الذي فقد السمع فبكى بشدة ، فسئل عن سبب بكائه فقال: ابكي لأنني لم اعد اسمع شكاوي المضطهدين ..* (109)

و قد وصلت أخبار إلى فور لامالق ، حول الوصول القريب لإخوته و عائلاتهم الى جانبه و قد تحير لورو لهذا الخبر نظرا لضيق المكان ، و لكن الحكومة المؤقتة لم تكن مستعدة لاتخاذ أي قرار ، وانما فقط كانت تبحث عن أي مكان لاعتقالهم بشرط ان يكون بعيد عن البحر و تجنبا لأي محاولة فرار[110] كما تدخل دوماس برسالة في 30 مارس الى كافينياك يطالب فيها بنفس المطالب ، وهي أخذه الى مكان آخر بدل فور لامالق لتحسين ظروف عيشه و لو قليلا . و عند مروره بطولون زار شانغارنييه الأمير عبد القادر و جمع بينهما حوار طويل ، و رغم ذلك فهذا اللقاء لم يسفر عن أي جديد ،بل زاد من تعميق حزن و حيرة الامير عبد القادر خصوصا عند تاكيد شانغارنييه على مسالة استمرار اعتقاله ، و انه لا يجب ان ينتظر حصوله على حريته خصوصا مع تلك الاضطرابات السياسية [111].

و قد كان رد الأمير عبد القادر على ذلك بقوله* لقد غدروني من وضعت فيهم الأمان ، هذا أمر غريب ، اذا وضعتم تحت تصرفي كل ثروة فرنسا ، أعطيها لشراء الموت ، وإذا انتم استمريتم في سجننا أكثر فان الكثيرين منا سينتحرون * (112)

(109)– BESSAIH, Op.Cit, p204

(110)– ZOUMOROFF, Op.Cit, p403

(111)– Ibid, p404

(112)– Achille FILLIAS, Op.Cit, pp445-450

في 05 ابريل 1848 ، أرسل شارل بونسي رسالة الى الأمير عبد القادر عن طريق دوماس يعلمه فيها انه سيضع قلمه تحت تصرفه ، وسيكتب نيابة عنه مقالات و رسائل في مختلف الصحف، ووعده بانه سيتوسط مع ثلاثة اعضاء من الحكومة المؤقتة منهم ايميل اوليفييه ليتحدثون عن قضيته ، على الرغم من الظروف السياسية السيئة التي تعاني منها الدولة ، و لان معظم الشعب الفرنسي رافض لاطلاق سراحه ، وهذا ما صعب اتخاذ اجراءات حول وضعه [113] و هكذا كان على الامير عبد القادر ان يشرح لعائلته و رفقائه حجم المشاكل التي تعاني منها الدولة الجيدة و عليهم انتظار بعض الوقت .

و رغم كل هذا الألم الذي كان يشعر به ، ظلت الأخبار السيئة تلاحقه ، و هذه المرة هو وصول إخوته الثلاث الى فور لامالق في منتصف ابريل و بالضبط في 15 منه ، و هم محمد السعيد ، مصطفى، الحسين و عائلاتهم ، وكانت هذه الحاشية تتكون تقريبا من 35 شخص منهم ابنته الزهرة [114] المريضة .

و قد التحقت به العائلة في جو من المرارة و الحزن و الألم ، و كان لهذا الحدث أثره العميق و البارز في نفسية الأمير ،و عبر عن ذلك لدوماس فقال* لم أتخيل أبدا أن فرنسا ستنزل الى مستوى ان تضع الرجال في فخ ، و أمام الله سنحاسب جميعا ، فبدل ان استقبل إخوتي في الإسكندرية و منها مكة التحقوا بي هنا ، و ذلك ظنا منهم أنكم ستحترمون عهدكم لي ، هذه ثاني خيانة ضدي .. لماذا تلزموهم اقتسام المصير معي ، فهم أولياء و رجال سلم ، و لم يشاركوا في أي معركة ضدكم ، و سلاحهم الوحيد هو الذكر *[115] ، خصوصا وان هؤلاء عانوا كثيرا قبل وصولهم عند الامير عبد القادر ، فقد قطعوا المسافة من ميناء طولون الى فور لامالق على القدمين ، و قطعوا جسر كيفيس وسط حزن كبير و أمام سخرية العديد من الفرنسيين ،و تعرضوا للشتائم و شتى أنواع الاهانات [116]

---

(113)– Charles PONCY, Op.Cit, pp15-19

(114)– Elig RENAULT, Histoire du gouvernement provisoire, PARIS, 1856, pp128-130

(115)– BESSAIH, Op.Cit, pp211, 212

(116)– Charles FOURIER, La phalange : journal des sciences sociales, découverte et constitué, 3eme série, T1, B.PH.T, PARIS, p81

و قبل وصول اخوته بيوم واحد أي في 14 افريل ، اعلم الامير عبد القادر من كاتب الدولة شاراس CHARASS دوماس بقرار الحكومة النهائي، و هو نقلهم الى قصر بو(PAU)ليكون المحطة الثانية لاعتقالهم ، لكن شريطة ان يرافقه فقط عائلته و اقرب المقربين ، و الباقي يوجه الى جزيرة سانت مرغريت ، ويتعامل معهم كسجناء سياسيين من الدرجة الأولى [117] و خوفا من أي محاولة احتجاج طلب من دوماس لاستعمال شتى الوسائل لتهدئته و يفهمه بوجود ضرورة سياسية تستوجب هذا القرار [118]

و في هذه الأثناء وصلت معلومات الى قائد الهندسة لمدينة بو و هو قريفي GRIVIE لتجهيز القصر القديم ، و هو قصر هنري الرابع سابقا ليكون المعتقل الجديد للامير عبد القادر و اتباعه ، وذلك للتحقق من وجود كل الظروف الأمنية المناسبة لمنع كل عملية هروب [119] .

و في 18 مارس توجه كاتب الدولة شاراس لزيارة الامير عبد القادر ليبلغه رسميا بقرار النقل فقال له* ليس لي الحق للتكلم معك في العهد المقدم لك ، وجدتك سجين على ارض فرنسية ، ولي الحق لإبقائك هكذا ، والى ان تختفي كل أسباب الحرب ، سوف ترسلك الحكومة الى مسكن كبير و جميل ، حلو الجو و الأرض يذكروك بالجزائر و تكون ضيف و ليس سجين الجمهورية * [120]

هذا الإجراء يعتبر من الحكومة كمماطلة و تشويش لأفكار الأمير عبد القادر، مع انه كان يعلم جيدا ان حجر الحرية و انتهاك الحقوق في العيش الحر و الهنيء ، و الاعتقال بالقوة ، و الحراسة المشددة ، ليست سوى اعتقالا و ليس ضيافة ، كما كان يعرف جيدا ان هذه الادعاءات ليست سوى اخفاءا لخيبتها و شرفها المهان أمام سخرية أوروبا .

---

(117)- Horace de viel CASTEL, Op.Cit, p103

(118)- Ibid, même page

(119)- MEMORIAL DES PYRENEES, Op.Cit, La lettre de Grivey au Patrick O'QUIN, 01/04/1848

(120)- ZOUMOROFF, Op.Cit, p405

و إزاء هذا القرار يقول بونس تال بيلات Ponce Tal PILAT* ان الحكومة قد غسلت أيديها من مصير عبد القادر ، فلم تكن قادرة و لا سيما حاليا لتنفيذ وعد سلفها، وزيادة على ذلك أضافوا عنصر التفرقة عندما اشترطوا ان بعضا منهم سيؤخذون الى سانت مرغريت ..* [121] .

هذا الإجراء شكل للأمير ضغطا بسيكولوجيا خطيرا ، فكيف يمكنه الاختيار من بين مجموعته الوفية من ينفصل عنهم ، و خصوصا قد قد جرب هذا الفصل عند وصوله للأراضي الفرنسية عندما اخذ جماعة منهم إلى فور مالبوسكي ، و الأجواء الحزينة التي حدث فيها الفصل .

يومان بعد هذا القرار و الأمير متحاور مع دوماس و لورو حتى وصلوا إلى تهدئته ، وقبل الافتراق مع بعض مرافقيه ، بعدما حاولوا إقناعه بان هذا مجرد إجراء مؤقت ، وان مساحة قصر بو لا تكفي لاستيعاب 137 شخصا ، و رغم عدم اقتناعه بهذا الادعاء الا انه اجبر على اختيار 49 شخصا [122] ، من بينهم إخوته ، لتكون وجهتهم نحو جزيرة سانت مرغريت ، و من بين ابرز الشخصيات التي اختيرت للتوجه نحو سانت مرغريت كانت زوجته مباركة و طفليه ، و هذا دليل على كونه رجلا عادلا .

و تزامنا مع يوم انتخاب المجلس التأسيسي المقرر يوم 23 ابريل 1848 ، وجد الناس فور لامالق فارغا من السجناء الذين تفرقوا على قافلتين :

الأولى : تتجه نحو كاستينو ، و هي تتوزع على ثلاث سفن مستعدة للإقلاع نحو جزيرة سانت مرغريت [123] .

---

(121)– ZOUMOROFF, Op.Cit, p405

(122)– Archives Nationales –Dépôts des archives d'outre –mer, cart. E229/5, Contrôle nominatif des arabes de la suite de l'ex-émir hadj Abdelkader qui n'ayant pas été Désignés pour l'accompagner à PAU et devront être dirigés sur l'île SAINT MARGUERITE

(123)– Bruno ETIENNE, Op.Cit, p253

الثانية : تضم الامير عبد القادر و 88 شخص من عائلته ،و رفقائه ، مرافق بدوماس و لورو ركبوا على متن باخرة المينوس بقيادة القائد دورونتي فينسو DORONTY Vinso و هي باخرة خاصة بالبريد وصلت الى جزيرة ست SETE على الساعة السابعة مساءا ، وعن طريق قناة الجنوب وصلوا الى تولوز يوم 26 افريل على الساعة التاسعة ليلا و نزلوا بفندق بيبنت BIBENT [124] تحت مراقبة العديد من الناس [125] و في اليوم التالي واصلت القافلة المسير نحو بو ، و وصلوا في ليل 28 افريل أي على الساعة 12 ليلا أي في 29 افريل 1848 ، الى قصر هنري الرابع ، و من هنا تبدأ المرحلة الثانية من المعاناة ، و الألم و الحزن خصوصا بفراق الأبناء و الأحباب .

VI - الاعتقال بقصر بو (PAU)و تواصل المعاناة

بموجب قرار الحكومة، و بموجب محضر الاجتماع 34 المؤرخ في 26 مارس 1848 على الساعة 08 ليلا [126] تقرر إرسال الأمير عبد القادر إلى قصر بو مع عائلته و مقربيه ، يقدرون ب 88 شخص لتكون المحطة الثانية لاعتقالهم و معاناتهم و ألمهم .

و تحضيرا لاستقباله في بو زار قائد الهندسة المكلف بالقصر و هو قريفي و الكاتب بيري PYREE القصر و من خلال مشاهداتهم كتبوا تقريرا بامكانية استقباله فيه نظرا لتوفره على الظروف الأمنية اللازمة [127] .

أما عن الرد الفعل الشعبي ، فقد رفضوا هذا الإجراء خوفا على القصر من سوء النظافة ، و أيضا نظرا للذكريات الهامة عنه [128] لم يرضوا عن اعتبار الدولة له كسجن ، فطالبوا بان تكون فترة وجود السجناء فيه مؤقتة و ضرورة إرسالهم إلى قصر آخر و اقترح قصر لورد [129]

---

(124)– هذا الفندق يقع في شارع بالانس

(125)– MEMORIAL DES PYRENEES, Op.Cit, 28/04/1848

(126)– Revue des sciences politiques, Abdelkader en exil d'après des documents inédits, 28 eme année, JANVIER – JUIN, 1913, p236

(127)– Le PYRENE, Op.Cit, 03/04/1848

(128)– في هذا القصر ولد ملك فرنسا هنري الرابع ، و قد كان الملك المحبوب لدى الشعب لانه تكفل بمستقبل الفقراء و كان يطلق عليه اسم ابو الشعب، و بسبب ذكريات هذا الملك لم تهدم الثورة الفرنسية هذا القصر انظر: الملحق المرفق بالدراسة، Archives départementales de la ville de PAU, A32.173, A32.181

(129)– Le PYRENE, Op.Cit, même date

وصل الأمير عبد القادر و حاشيته الى قصر بو PAU على الساعة 12 ليلا في 28 ابريل 1848 بيوم الجمعة ، واثر نزولهم من العربات سارع الامير عبد القادر الى والدته المسنة 75 سنة ،فقادها الى السكنات المجهزة لهم ، وتطلب يومان لاستقرارهم في أماكنهم المخصصة لهم ، و قد منحوا الطابق الثاني و الثالث في الجهة اليسرى من القصر .
و على اثر هذا الحدث تحركت فرق عسكرية نحو بو كالتالي :
1- فرقة تتكون من 50 عسكري ، انطلقت من بيدوس في 29 افريل قضت ليلتها في لورون ووصلت الى بو في 30 افريل .
2- فرقة تضم 24 عسكري خرجت من لورد في 29 افريل ووصلت الى بو الى بو في نفس اليوم
3- فرقة تتكون من 185 عسكري ، خرجت من نافارو في 28 افريل قضت ليلتها في موناين و توجهت نحو بو في 29 افريل .
كما صدر عن المجلس البلدي قرار بنقل المكتبة الى قاعة الاكل للقصر و حددت لجنة لدراسة الموضوع [130]

و قد كان الامير عبد القادر يقضي النهار مع عائلته ، اما في الليل و لظروف امنية كان ينقل الى برج غاستون ، مرورا بنفق داخلي في الجناح الايسر و تحت حراسة مشددة بحوالي 29 حارس[131] ، و قد طبق اتجاهه نظام عسكري صارم بامر من الحكومة حتى يمنع من أي محاولة هروب .

و رغم هذه التدابير القاسية الا ان الامير عبد القادر ظل متماسكا من اجل عائلته ، فقد كانوا يجهلون مضمون رسالة فرونسوا اراغو السابقة ، و حتى ما اسفرت عنه محادثاته مع شانغارنييه و الذي ابلغه بانه سبقى معتقلا لفترة مجهولة ، و ذلك ليبقى الأمل حيا في نفوس رفقاء دربه ، والذين كانوا يفكرون بالانتحار الجماعي ، ليس قتل النفس و انما إثارة المشاكل مع الحراس ليقتلوا ، و لولا صبر الأمير عبد القادر ، الذي منحهم بصيص الأمل و التفاؤل، أعلمهم بضرورة التحمل لبعض الوقت و ان هذه ليست سوى نكسة مؤقتة ناجمة عن الفوضى السياسية التي تعاني منها البلاد .

---

(130)- MEMORIAL DE PYRENEES, Op.Cit, 27-28/04/1848

(131)- Alphonse Michel LE BLANC, Récits d'un officier d'Afrique 1812…, F.F, PARIS, pp320-328

رغم ذلك كان يعلم انه لم يكن هناك ما هو مؤقت ، و انه لم تعد هناك ترتيبات امنية جديدة ، و لكن فعل ذلك من اجل دفع رفاقه الى النضال من اجل العدالة و الحرية ،و قرر ان يواصل توجيه نداءاته الى الجانب الفرنسي النبيل.

و لقد عبر اوجين دوماس عن الحالة الصعبة التي كان يعيشها كل من الامير و رفقائه ، في هذا القصر ، فقد كان النفق الطويل الذي يمر منه الامير شديد البرودة ، و انعدام الخشب للتدفئة ، و تاثير ذلك على الظروف الصحية للأطفال خاصة ، فلم يتأقلموا مع المناخ البارد ، الى جانب قلة المواد الغذائية و انعدام شروط النظافة ، كل هذا كون تقلبات خطيرة في الجهاز الهضمي خصوصا لكبار السن و الاطفال ، كما انتشرت معلومات عن مرض الامير عبد القادر ، لقلة نومه– سبب اعلان وزارة الحربية لمادتين قاسيتين للحفاظ على النظام في القصر : **الاولى** منها اتمام اعمال الترميم و الصيانة متمثلة في غلق النوافذ بالاعمدة الحديدة خوفا من فرارهم – الى جانب حزنه و قلقه على والدته ، و اوجاع في راسه و التي سببها القلق النفسي الخطير الذي كان يعاني منه .

و في هذا يقول الامير عبد القادر لدوماس * كلما نقلت عائلتي من مكان الى اخر شعرت بقوة الاهانة * [132]

و قد نصت المادة **الثانية** من هذا النظام القاسي بمنع الامير عبد القادر من التجوال في السطح خوفا من انتحاره او هروبه و انما اقتصرت حدود خروجه عبر الطوابق فقط .

و لكن الامير عبد القادر قرر الانعزال ، يخرج فقط للصلاة و قراءة القران و الحوارات ، كما كان عليه الحال في فور لامالق و قد كان يقول * العربي الحزين لا يخرج من خيمته ، و انا في اكبر حزن حياتي ، و هو فقدان حريتي * [133]

و قد كان دوماس رفيقه الدائم ، و يواصل حواراته معه حول النساء في الإسلام و الخيول ، و التي اكتشف فيها حنكة الامير عبد القادر و دقته المتناهية ، وهذا ما شجع دوماس لكتابة رسالة الى دوبوش يدعوه فيها لزيارة الأمير عبد القادر جاء فيها * انك ستشاهد سجين بو الشهر ، وبالتاكيد لن تندم على زيارتك له ، انك عرفت عبد القادر في أيام عزه ، انه ما يزال كما عرف عنه يسمو إلى أعلى الدرجات * [134]

---

(132)– POURJOLAT, Op.Cit, p230

(133)–واسيني لعرج ، المرجع السابق، ص 409

(134)– CHURCHUILL, Op.Cit, p328

و قد تناسبت هذه الفترة مع نهاية مهمة دوماس و لورو في 02 ماي 1848 ، وعين بدله ملازم المدفعية بواسوني [135] BOISONNET لينوب عنه في الترجمة ، و يتكلف بالحكم العسكري بالقصر

VI –1– تنظيم الحياة اليومية و إشكالية الوفيات

مما زاد من صعوبة تحمل المعتقل، هو نسبة الوفيات التي بدأت ترتفع بين الأطفال، فقد عرفت هذه الفترة الموت المتتالي للأطفال و ارتفاع نسبة الأمراض خصوصا بين النساء.

فمنذ وصولهم الى قصر بو و بالذات في 30 ابريل على الساعة 10 صباحا ،توفيت تشنكب زينب البالغة من العمر الشهرين و المولودة بطولون و المسجلة برقم 183، وهي ابنة احد أتباع الأمير عبد القادر و قد حضر وفاتها بيار فليكس بيقي [136] PIGUEE و بحضور الشاهدان ماتيو ديهورتيك Mathieu DEHORTIC المسن –50سنة– و بارتيرام لاتور 59 سنة Bertiram LATOUR [137] و يرجع الفرنسيون اسباب وفاتها الى صعوبة تحمل الرحلة من طولون الى بو .

و بعدها مباشرة تعصف بالأمير فاجعة موت ابنه عبد الله المتوفى في 01 ماي 1848، على 10 صباحا تحت رقم 185، و بحضور الشهود السابقين ، و المولود بالجزائر و عمره 18 شهرا ، وقد حزن الامير عبد القادر لوفاته حزنا كبيرا و قد تقدم الجنرال دوشوصوي بالتعازي له و لعائلته لهذه الفاجعة .

شهرين من بعد نبا وفاة بن عبو محمد بن محمد المتوفى في 22 جويلية ، وبحضور جاك فيارو Jacques VIARO [138] و دومينيك باسكال Dominique PASCAL و فرو نسوا جونتون François JONTON [139] ، و كان عمره 08 أشهر و هو مولود بالجزائر ابن محمد بن عبو و خديجة .

[135] –كان مدير الشؤون العربية 1844، و قائد اعمال الدوق دومال ، وقد كان معرب فألف عدة كتب بالعربية و كان يلقب بصالح العنتري ، فكتب في قانون الشريعة للجنرال بيدو كما وضع تجربة تاريخية اسمها تحفة العروس ،كما كان يحسن القبائلية، و يعرف العادات و التقاليد العربية انظر :
ZOUMOROFF, Op.Cit, p408

[136] – كان رئيس بلدية بو و ضابط الحالة المدنية

[137] –حراس و مقيمين ببو

[138] –رئيس بلدية بو ومعين بعد بيقي

[139] – كانوا عمال وسكان ببو

شهر بعده وفاة الطفلة رياحنة الحجاجرية في 11 اوت 1848، على الساعة الرابعة صباحا بحضور جاك انطوان فيارو ، و دومينيك باسكال و ما تيو ديهورتيك و عمرها 06 سنوات، و هي ابنة اخ الامير عبد القادر محمد السعيد ، و قد حزنت العائلة كثيرا لفراقها ، كما كان لموتها شكلا مختلفا لانها تشنجت قبل لفظها لانفاسها الاخيرة .

شهر بعدها فاجعة وفاة خديجة ابنة الامير عبد القادر ، وكان ذلك في 08 اكتوبر على الساعة 10 صباحا امام نائب رئيس بلدية بو ،و هو لويس اوغست سيغابيغ Louis Auguste SIGABIG ، وجون فوقاس 60سنة و هنري فريشو 30 سنة [140] ،كان عمرها 18 شهر و مولودة بالجزائر [141]

ان هذا الشكل الغريب للوفيات و المتتالي قد اثار دهشة كبيرة لبعض المؤرخين ، ما جعل هذه القضية تطرح تساؤلات و اشكاليات كبيرة تحتاج للكثير من البحث للوصول الى نتيجة او حتى حقيقة تقريبية تفسر اسباب هذه الوفيات المتالية بين الاطفال .

انطلاقا مما جاء به دوماس حول ثقة العرب في الطب الفرنسي الذي لم يكن متطورا و سمحوا بتطعيم أطفالهم * تقودنا هذه الفكرة الى طرح تساؤل كبير **: و هو هل فعلا ان الاطباء الفرنسيين كانوا في مستوى الثقة التي منحها لهم العرب ؟ و هل هذا التطعيم كان سبب الوفيات بين الاطفال** اي **انهم كانوا كحقل تجارب للادوية الفرنسية ؟**

نقول ان الفرنسيين لطالما اعتبروا الامير عبد القادر مجرم حرب ، و نقمة عليهم و في هذا نستند على ما جاء به توكفيل 1841 عندما قال * بانه يجب التخلص من عبد القادر بأي صفة من الصفات، لأنه يشكل خطرا كبيرا ، و لن يتحقق ذلك إلا في حالته هذه طالما انه في أيدينا * [142]
و من هنا بدأت الأمراض تعصف بوالدته و زوجاته و أطفاله.

---

[140]–هم موظفين بالبلدية .

[141]– للتعرف لى الصور الأصلية لهذه الوفيات العودة إلى : الملحق المرفق بهذه الدراسة ،مقدم من :
Archives communales de PAU, Les extraits de décès des Arabes a décédés à PAU

[142]– Alexis de TOCQUEVILLE, De la colonie en Algérie, E.C, PARIS, 1988,

ان تشخيص المرض من طرف الراهبات يعتبرن ان سبب الوفاة هو طول فترة الاعتقال ، وانتشار الهواء الفاسد و المعفن ، طالما يوجد حمام واحد للرجال و

النساء و غيرها من الظروف الصحية المنعدمة ، لكن على حسب البعض و ما هو معروف إن الإصابة بالالتهابات
Les infections عوارضها واضحة كالحمى و التقيؤ [143] .. لكن ما يثير الجدل في موت هؤلاء الأطفال انه كان موتا مفاجأ و دون أي سابق انذار ، ما عدى تلك التشنجات التي أصيبت بها رياحنة الحجاجرية ، و هذا ما يجعلها شبيهة الى حد كبير بالتسمم و ما يؤكد ضرورة طرح هذه الاشكاليات هو عدم وجود أي تقرير طبي بحالة الوفاة المذكورة .
و انتشرت هذه الإشكاليات خصوصا بعدما قام خبير التسمم السويدي فوف ستان شف فود في سنة 1961 ، بدراسات طبية افتراضية،و بفضل الوسائل التحليلية و الصيدلانية لمادة الزرنيخ و التي سمم بها نابليون اثناء سجنه بسانت هيلين، فان نتائجه مشابهة تماما لما ذكر عن وفيات اطفال الامير عبد القادر و رفاقه .

ان مثل هذه الإشكاليات مثير للجدل ، لا سيما و ان لفرنسا تاريخ اسود عن القتل و المذابح ، و حتى جنرالاتها انفسهم قد اعترفو افي مذكراتهم عن الجرائم التي ارتكبت ضد الشعب الجزائري الاعزل ، وغرضها هو تطويق المقاومة ، و احتلال الجزائر ارضا و شعبا و كرامة .
كما لا يفوتنا الاشارة عن ما نشر في المجلة التاريخية لسنة 1885، حول احتفاظ فرنسا برؤوس بعض زعماء المقاومة امثال القائد بوزيان – قائد ثورة الزعاطشة– و راس الشريف بوبغلة و غيرهم و هذا ما صرح به الدكتور ريبو RIBOU و هو احد المتعاونين مع المجلة ن بعدما قدم رسالة التي تحتوي على تصريحات الفرنسيين باحتفاظهم بمجموعات من الرؤوس لمقاومين جزائريين كاجزاء انثروبولوجية بالمتاحف الفرنسية بباريس .
و من هنا نقول ان هذه الاشكالية ستبقى مطروحة لان فيها الكثير من الشك ، وللوصل الى الحقيقة التقريبية يجب اللجوء الى الأرشيف إذا ما تركت فرنسا مخلفات؟ و يبقى الإشكال مطروح ما مدى مصداقية هذه الطروحات و ما هي حقيقة وفاة هؤلاء الأطفال ؟

---

(143)– Galtier BOISSIERE, Larousse médicale illustré, E.L.M., PARIS, 1952, p575

و خلال هذه الوفيات المتكررة طلب الامير عبد القادر من المجلس البلدي لبو PAU لمنحهم القطعة من الارض التي دفن فيها الاطفال الموتى لتكون مقبرة عربية فقط ن و حصل عليها بعد مداولة المجلس البلدي 11 نوفمبر 1848[144]

و هكذا فقد استمرت المعاناة و الياس و الالم من الخديعة ، ، و رغم ذلك لم تفكر الحكومة ابدا رغم الجهود المبذولة في حريته ، و في ظل هذه الظروف كان لوالدته لالا الزهرة الدور الكبير في مؤازرته ، و ظلت تطالبه بالصبر و تدعمه بكل قواها المتبقية لها و حافظت على ارادته في مواصلة الكفاح من اجل الحرية و العدالة .

و بدأت الزيارات الواحدة تلو الأخرى نحو قصر بو لرؤية الأمير عبد القادر ، و التعرف على هذا العدو ، و بداية كانت أول زيارة له هي بيوم السبت 01 ماي من طرف مفوض الحكومة و ماراست النائب العام [145] ، كما زاره الجنرال دوشوصوي ، مرافق بضباط و الطبيب لاسار LASAR ، و قد عبر الأمير عبد القادر لهذا الجنرال عن حزنه من جراء الخديعة التي تعرض لها ، كما تلقت والدة الأمير عبد القادر العلاج من طرف الطبيب لاسار بأمر من هذا الجنرال .

و في 03 ماي زاره كازناف بيري Caznaf PERY نائب رئيس البلدية و الذي كتب رسالة الى رئيس البلدية و أعضاء المجلس جاء فيها : * في الوقت الذي تقرر فيه أن يصبح قصر بو سجنا للدولة ، من الواجب لكل مواطن ان يعلن للسلطات الأضرار الناجمة عن هذا القرار ، إقامة عبد القادر في قصر بو ليست ايجابية ، وإنما سوف تكون ضررا ، وهكذا يجب فورا على السلطة المحلية ان تاخذ قرار لاخذ الامير عبد القادر لموضع اخر ليصلح كسجن دولة ، ولكن وجوده في بو معناه السماح له بالهروب * [146]

---

(144)– Archives communales de PAU : Délibération du conseil municipal, AM PAU.1D1/21, N101N

(145)– كان ضابط بجيش نابليون ، وبعدها اصبح قاضيا.

(146)– REVUE DES DEUX MONDES, Op.Cit, p430

و في 04 ماي زار رئيس بلدية بو بيقي و نوابه للامير عبد القادر ، كما استقبل عدة نساء و ظل دائما خلال هذه اللقاءات يطالب بالحرية ، و من بين النساء اللواتي زرنه السيدة لاستابي و التي كان زوجها ممثلا للشعب [147]

و بالرغم من كثرة الزيارات ، إلا ان حالة الأمير عبد القادر كانت تزداد سوءا يوما بعد يوم ، خصوصا امام شكاوي مصطفى بن تهامي ، و التي رفضت زوجته البقاء معه و العودة الى معسكر ، الى جانب ابنته الزهرة التي اصيبت بالمرض نتيجة الخوف و الرعب الذي تعرضت له في معتقل سانت مرغريت ، و امام صرخات النساء في الخارج اللواتي كن يقاومن الموت و الاغتصاب من الجنود الفرنسيين .
كما كان يفكر في المجموعة من عائلته التي كانت تفكر في الانتحار الجماعي بسبب الظلم و الحيف و الياس الذي تحول الى مرض نفسي و لم يستطيعوا تحمله [148]

كل هذه الظروف الصعبة ، الى جانب المجهودات الدائمة لغلق النوافذ و الابواب ،كل ذلك يعتبر اهانة كبيرة للامير عبد القادر و عائلته. وقد كان موقفه دائما يظهر في حواره مع دوماس ، فقال * حتى اللحظة كنت أظن ان الحكومة المؤقتة ستحل المشكل نهائيا ، ولكن الظاهر اخطات فيما يتعلق بوضعي يتساوى الجمهوريون و الملكيون ، وربما كنت أنت الوحيد الذي يلتقيان فيه بدون خلافات تذكر *[149]

ورغم هته النفسية القاسية التي كان يعاني منها ، الا ان الزيارات تواصلت ففي 05 ماي حظي الامير عبد القادر بزيارة السيدة الماريشال قروشي و التي خلفت رسالة ارشيفية مطولة حول وضعية الامير عبد القادر و عائلته ، و الظروف الصحية و المعيشية السيئة التي كانوا يعيشونها ، وانعكاس ذلك على مظهرهم الخارجي ، كما تحدثت عن زيارته لوالدة الامير و التي تقول* انها لم تنظر الينا ابدا رغم الهدية التي اخذتها لها * [150] .

---

(147)– MEMORIAL DES PYRENEES, Op.Cit, 06/05/1848

(148)– Edward FERDINAND, Op.Cit, pp370-374

(149)– ZOUMOROFF, Op.Cit, p410

(150)– Archives communales de PAU, La lettre de madame Maréchal GROUCHI : Abdelkader au château de PAU

انظر الملحق المرفق بهذه الدراسة

ايضا زيارة شارل اينار [151] EYNARD ، اسقف سابق للجزائر مرافق بصديقه البر ريسيقييه RESSIGUIER و اكتشف مدى قوة صبر الأمير عبد القادر على المحن [152]

في 13 ماي منحت الحكومة تصريح ليهودي و ثلاث راقصات لزيارة الأمير عبد القادر ، لكنه رفض استقبالهم .

في 12 ماي انتشرت أخبار عن مرضه، هذا المرض اعتبره البعض خطيرا ،لكنه في واقع الأمر كان بسبب القلق على والدته ، التي اشتد عليها المرض و الألم في مفاصلها ، وعندها رفض استقبال أيا كان الى ان تشفى والدته ، وفي فترات نومها كان يقرا المخطوطات ويعلق عليها ويكتب الشعر[153] كما حصل على ترجمة للإنجيل بالعربية مقدم من الكونت ألبرت كهدية .

وقد استمر اعتقال الأمير عبد القادر في بو دون أي محاولة تذكر، او حتى نقاشات تتضمن إطلاق سراحه ، ما عدى نزول الحكومة عند رغبته ، اتجاه طلباته المتكررة بإرجاع خمسة عشر رفيقا من سانت مارغريت للالتحاق به يوم 23 ماي ، و رغم اليأس و الحسن الشديد إلا أن هذا الخبر جاء في أوانه ليدخل نوعا من الفرح و السعادة في قلب الأمير عبد القادر و رفاقه .

كما حظي في نفس هذه الفترة بزيارة بونيار BOUNIAR [154] ، و الذي أعطاه خاتم فيه جزء من قبر نابليون ، وتقرر خلال هذه الزيارة اخذ الأطفال إلى النزهة و السيرك[155] .

وفي 27 ماي قبل الأمير عبد القادر وبعد إلحاح القائد سراغوزا SARAGOZA) و بواسوني و فورنييه FOURNIER للخروج إلى الفناء لرؤية فرقة الخيالة ، التي جاءت للاستعراض في المدينة و كانت هذه الجولة هي الوحيدة و الأخيرة التي قام بها طيلة فترة وجوده ببو، و في نفس اليوم خرج محمد قارة إلى غابات بو و الأطفال للسيرك ، كما تقدم العسكري ايسكوفييه Trompette ESCOFFIER بطلب من الحكومة ان يكون حارسا على الامير عبد القادر و ذلك نتيجة معاملة الامير عبد القادر الطيبة معه بعدما كاناسيرا عنده .

---

[152]–ولد 1808-1876 ، هو من طبقة برجوازية و ينحدر من أسرة مثقفة و هو رجل كتب تراجم لعدة شخصيات سويسرية منها كتاب حول السيدة كرودني .

[153]– و قد أصبح شعره مديحا عند القبائل الصحراوية.

[154]–كان كأستاذ في مؤسسة ببو ، و هو الأب المخضرم للحروب النابليونية.

[155]–MEMORIAL DES PYRENEES, Op.Cit, 23/27/05/1848

و في ظل هذه الظروف الصعبة عاد بصيص الامل من جديد لدى المعتقلين ، لا سيما في إعقاب تلك الاضطرابات السياسية الجديدة في باريس ، هذه المرة تعرضت الحكومة المؤقتة للهجوم ، خصوصا بعد نتائج الانتخابات الجمعية التاسيسية في 04 افريل ، و كانت مهمتها وضع دستور جديد في غضون 09 اشهر ، و بفارق ضئيل فاز المندوبين الجمهوريين المعتدلين و المحافظين يليها الملكية التي طالبت بإلغاء النظام الجمهوري ، وتزامنت هذه الاضطرابات باشتعال الثورات الديمقراطية في جميع انحاء العالم ، و قد ظهرت تجربة الجدل حول توفير فرص العمل للمزارعين، الى جانب استبدال لجنة تنفيذية للجمعية التأسيسية بدستور جديد يجري وضعه في هذه الأثناء ، وبدلا من السعي الى الوحدة ، قرر الجمهوريين المعتدلين القضاء على المتطرفين ، فتم قتل حوالي 03 آلاف متمرد ، و ظهرت مظاهرات عارمة اجتاحت باريس بأكملها ، و اتهم كافينياك خلالها بالتواطؤ مع المتطرفين ، وقد كانت هذه الثلاث أيام الأكثر دموية في تاريخ فرنسا [156]

و من نتائجها تعيين لاموريسيير بدل كافينياك كوزير للحربية ،في فترة ما يزال الرأي العام محتجزا الأمير عبد القادر، باعتباره مسؤولا عن مذبحة سيدي إبراهيم ، وتواصل رفض المعمرين الفرنسيين في الجزائر لإطلاق سراحه ، و خلال تعيين لاموريسيير في 04 جويلية عاد الامل الى الامير عبد القادر بإطلاق سراحه لا سيما ، و انه احد الأطراف الموقعة على التعهد .

و في 09 جويلية 1848 ، كتب الامير عبد القادر رسالة الى لاموريسيير جاء فيها * شكرت الله انك نجحت في إخفاق المظاهرات في فرنسا ،و المسؤولية أعطيت لك ، وفرحت بتنصيبك ، وانأ متأكد بان نتيجة تسميتك هي حريتي *[157] .

---

(156)– LESURE, Op.Cit, pp20-25

(157)– Stéphane D'ESTRY, Histoire d'Alger, de son territoire et de ses habitants, de ses pirateries, de son commerce, de ses guerres, de ses mœurs et usages, depuis Les temps les plus reculés jusqu'à nos jours , dédié à DUPUSH , l'Evêque d'Alger , 4eme édition ,A.M.IL, TOURS , pp336,337

انظر ايضا : ZOUMOROFF,Op.Cit,PP409,410

و ذكره خلالها بالكلمة التي أعطيت له و بشروط وقفه للقتال ، و قال مضيفا * كتابك الذي فيه التأكيد و المصادقة على شروطي لوقف القتال هو معي ، وانك رهنت كلمة فرنسا ، و صادق عليها ابن ملك ، أعطيتكم كلمتي ، واذا لم تنفذ الوعد اعلم إذن بان الخجل و العار سيلحقان بك ، ولن يثق فيك ايا كان كبير او صغير و لن يبقى لك أي احترام *[158]

و لكن بعد عدة أسابيع من الانتظار ،لم يحصل الامير على أي رد ، وفهم خلالها ان مجلس الدولة يتفوق على كل الاعتبارات الأخرى ، فقد كان يأمل بان يوفي لاموريسيير بالعهد، و لكن هذا لم يكن حقيقيا ،وابلغ بواسوني عن اكتئابه لعدم الاستجابة لرغبته ، ومع ذلك احتفظ بشجاعته من اجل عائلته و رفاقه .

في هذه الفترة العصيبة ، و الألم النفسي الشديد ،و خيبة الأمل ، تم تدبير مؤامرة من طرف السجناء ضد الحراس الفرنسيين ، و كانوا عزلا و لكن ليس للهرب ،و إنما ليقتلوا حتى يصبح دمهم عارا على فرنسا ،و قد لقي الأمير عبد القادر صعوبة كبيرة لصدهم عن هذا الفعل [159]

إن سكوت لاموريسيير على طلبات الأمير عبد القادر ، وعدم تطبيقه للوعد المقدم سابقا أدى إلى ظهور حساسية كبيرة في نفسية الأمير عبد القادر ، و قضى على آماله في الحصول على الحرية و العدالة ، و قد كان لاموريسيير يرى بان قضية عبد القادر هو موضوع حساس ،و لكنه ليس أساسي اذا ما قورن مع صورة الجمهورية الثانية ،بين ظهور القوميات و الملكيات الأوروبية بايطاليا ،و اسبانيا و انجلترا ، و قد كانت له هموم أخرى يدرسها بالمجلس هي قضايا ملحة و تقتضي اخذ القرار فيها ،وأعرب عن اعتقاده بأنه يمكن تأجيل قضية عبد القادر الى وقت لاحق .

---

(158)– ZOUMOROFF, Op.Cit, P410

(159)– BOUYERDENE Ahmed, La captivité de l'Emir Abdelkader à PAU: une étape morale et spirituelle : mémoire et image d'Abdelkader, S.A.CH, PAU, 2007, pp8, 9

و بعدما سمع بأمر محاولة الانتحار فرض إجراءات صارمة ضد السجناء بحيث :
– منع التجوال و الخروج لغسل الثياب
– منع الاستحمام
– منع كل الزيارات بدون تصريح من وزارة الحربية .
– منع تبادل الرسائل مع الامير عبد القادر بحيث لا يرسل رسائل و لا تصله اخرى.
و حضيت هذه الاجراءات بتوقيع لامورىسيير ، و قد عبر ايميل جيراردان Emile GIRARDIN عن هذا الإجراء بقوله: Traitements vraiment sauvages du gouvernement *Français* (160)

و هكذا فان مجيء لامورىسيير إلى وزارة الحربية لم يغير من وضعية عبد القادر شيئا ، وخصوصا من الدناءة ان يتنصل من وعده لعبد القادر، الذي سبق و ان التزم به ،و قدم كلمة الشرف ، و لم يستطع حتى اتخاذ قرار لتحرير كلمته من العار و الخزي ، و الذي فعلا ما زال التاريخ يتحدث عليها .

و استمرت الحياة الروتينية للسجناء ، دون أي تغيير ، و يذكر احد اعضاء الحزب الملكي فالو FALLOUX (161) بعد لقائه بالامير عبد القادر انه قال * الإنسان كالمرآة ، والمرآة لا تعكس صورة السماء الا عندما تكون نقية ، كذلك النفس لا تتغذى بالأفكار الكبيرة إلا عندما تكون حرة ، فانا لا استطيع في حالة اسري التي احتجز فيها ،أن أغذي إلا الأفكار المتعلقة بألمي * (162)

و قد ندم كثيرا على الثقة التي وضعها في الفرنسيين ، و في جميع هذه المحن التي لحقته و اين كان مسجونا ماديا ، ظل الامير عبد القادر كلاجئ معنوي و إرادي في القران الكريم ،و الصلاة و التأمل، و تعزيته تكمن في بقائه قويا ، و ظل متمسكا بان الله يختبر عباده المسلمين ، و التماسك بينه و بين زملائه و رفاقه لم يضعف أبدا ، و أصبح في معتقله معلما و إماما :

---

(160)– Op.Cit, pp466, 467

(161)– الفرد فالو ولد في اونجغ 1811-1886، و هو الوزير المستقبلي للجمهورية الثانية ، ينتمي الى الجزب الملكي الكاثوليكي، و كان عضو في مجلس النواب 1846، كتب عدة كتب منها مذكرات ملكي سنة 1888.

(162)– A.FALLOUX, Une entrevue avec Abdelkader : journal ecclésiastique, politique et Littéraire, l'ami de la religion et du roi, E.C, PARIS, 1830, pp61, 62

معلما : كان يدرس الأطفال القران الكريم في الألواح و يدرسهم الأحاديث النبوية و يعلمهم احترام الكلمة ،و العدالة ،و التسامح بين الناس ،و في

هذا الصدد يقول * لقد حاربت طويلا و بإصرار ، واكتشفت بان المجد الحقيقي الوحيد هو التعامل بشرف * [163] و لأنه عرف بان السلاح الحقيقي للجيل الصاعد هو العلم و النهضة الصناعية ، و التجهيزات ، و هكذا فقد كان يحضرهم لحمل السلاح ضد أي غازي مهما كان فرنسي او غيره ، كما انه كان يدرك فعلا ان فرنسا كانت ترى في الثقافة العربية الإسلامية العدو الحقيقي لها لذلك حاربوا القران بتحويل المساجد الى كنائس ، و اللغة عن طريق الإبادة الهوياتية لأنهما روح المقاومة المستقبلية و تصنع للشعب الجزائري شخصية البقاء واقفا و صامدا .و هكذا فان الأمير عبد القادر عمل على غرس فكرة المقاومة و الصمود و الاستمرارية .

إماما: فقد كان يؤم رفاقه وأتباعه في صلاة الجماعة التي ظل متمسكا بها دائما ، كما كان النداء للصلاة دائم طيلة الخمس صلوات في اليوم من طرف قارة محمد .
و قد واصل الأمير عبد القادر نضاله و كفاحه من اجل كسب العدالة ، و ظل يناشد بها كل من وجد فيهم نبلا و تعاطفا مع قضيته ، و من بينهم دوبوش .

و نظرا للاضطرابات المستمرة في الداخل و قوة المدن الايطالية ،و الانجليزية ، و الاسبانية ، و نظرا للقرب الجغرافي بين مدينة بو ، و اسبانيا، تخوفت الحكومة من هروب الأمير عبد القادر
و بمساعدة اسبانية ، او انجليزية ، لذلك قرر لاموريسيير في 10 أوت نقل الأمير عبد القادر إلى منطقة أخرى، تكون أكثر أمنا و بعدا عن هذه الدول المنافسة لها ، و لم يجد إلا امبواز لأنه يقع على قمة جبل صخري و يحقق كل الضمانات الأمنية اللازمة ، و لكن بسبب الوفيات المستمر في صفوف الأطفال ، و كذا لحلول شهر رمضان المبارك قررت الحكومة تأجيل النقل الى غاية 03 نوفمبر من نفس السنة ،و هذا التاجيل منح فرصة لزيارة دوبوش الاسقف السابق للجزائر الى قصر بو و منها زيارة الامير عبد القادر في 07 سبتمبر1848 ، بعدما حصل على تصريح بذلك .

(163)– A.FALLOUX, Op.Cit, p63

ان الدراسات تظهر ان الصراع بين الجزائر و فرنسا كانه صراع بين الإسلام و المسيحية ، لهذا كان من الضروري تبيان الاختلاف في هذه الفكرة من خلال إبراز العلاقة التي جمعت بين الشخصيتين ،و التي بدأت كتبديل للأسرى، ثم تحولت في المعتقل إلى علاقة أخرى ليست صداقة بالمفهوم المعروف و إنما احترام متبادل لرأي الآخر ، و الشعور بالمسؤولية أيضا اتجاه قضايا الآخر ، و هذا ما كون ارتباطا ان صح القول وثيقا بين بعضهما .

VI-2- علاقات الأمير عبد القادر مع دوبوش في بوPAU

VI-2- 1- العلاقة الأولى

تجسدت العلاقة الاولى 1838-1846 ، و تمحورت حول مفاوضات من اجل تبادل الأسرى ، ففترة أسقفية دوبوش أنطوان [164] تميزت باشتداد القتال بين الاستعمار الفرنسي و جيش المقاومة الشعبية ، و في هذا السياق ، أي في ليلة04 اكتوبر 1840، حرس الدويرا في الجزائر اختطفوا بالقرب من قرية دالي ابراهيم و التي تبعدبحوالي 11 او 12 كم من الجزائر العاصمة ، و من بين المختطفين العسكري ماسو ، فبداية التعارف تبدأ منذ لجوء زوجة ماسو الى دوبوش لاتخاذ إجراءات مع الأمير من اجل إطلاق سراح زوجها ، و هكذا فان بداية العلاقة ستضع طريقا بين الطرفين و تبدأ المراسلات و المبادلات في الرسائل [165] بتدخل الكاهن سوشي [166] الذي كان كوكيل لدوبوش .

هذه العلاقة الأولى بين الأمير عبد القادر، و دوبوش ينبغي ان تكون في ظل التطورات الرائعة التي يجب التطرق اليها ، ولكن لا يسعنا هنا تفصيلها نظرا لبعدها الزمني عن الفترة المدروسة ، و ما يهمنا منها هي العلاقة الثانية التي كانت في معتقل بو .

---

(164)-ولد 1800 -1856 ، أصله من بوردو ، كان كاهنا في 1852 ، و في أوت 1838، أصبح تحت وصاية القس دوبونلوب، و بعدها حوارات بين فرنسا و الفاتيكان و كان أول قس للجزائر ، وبعد صعوبات مالية اجبر على التقاعد في ديسمبر 1845 ، و هو أيضا قرر الفرار خفية من الجزائر من اجل تفادي توقيفه كتب عدة كتب دينية ، و كتاب أهداه إلى نابليون الثالث كان كمدافع عن قضية عبد القادر

(165)- Henri TESSIER, L'Emir Abdelkader et les chrétiens à l'époque de son combat en Algérie et de son exil en France, colloque international sur l'émir Abdelkader : L'état de l'émir Abdelkader et ses relations avec l'extérieur, 24-26 Novembre 1997, ALGER, p04

(166)- L'abbé SUCHET, Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie, TOUR, 1840, pp405, 406

VI-2- 2- العلاقة الثانية

وصل دوبوش الى قصر بو لزيارة الأمير عبد القادر على الساعة التاسعة صباحا في 07 سبتمبر 1848 [167] ، و قد استقبله الأمير عبد القادر و أخذه إلى غرفة الاستقبال و جلسا للتحاور ، و علم خلالها الأمير عبد القادر بان دوبوش يكتب رسالة مطولة يدافع فيها عن قضيته ، و اخبره ان هذه الرسالة ستكون كمرافعة عنه ، ووعده بان يقدمها له قبل إرسالها ليقراها ، و يمكنه أن يضيف فيها ما يريد [168]

ان زيارة دوبوش للامير عبد القادر لم تكن بمحض الصدفة ، و انما كانت لمهمة سرية ، تكمن في محاولته تمسيح الامير عبد القادر ، بل وصل تفكيره الى حد انه رغب في أخذه معه الى روما و تقديمه الى البابا و تعميده [169] هذه هي المهمة الحقيقية لدوبوش ، لكن مع مرور الوقت و محادثاته مع الامير عبد القادر، احترمه كثرا و ازداد يقينا انه لا يمنكه ابدا ان يتحول عن دينه ، و هو جيد في مكانه ، و ان كليهما يخدم الناس بطريقته الخاصة و ربما بنفس الحماس و العزيمة .

تجسدت هذه الزيارة بعدة حوارات و مناقشات ،لا سيما منها عن الكتاب المقدس و الاسلام والمسيحية ، ويذكر للاسقف ان القرآن يوحي للمسلمين بان يضطلعوا بامور تراثهم ،و قد شرع في شرح دروس عن التسامح و العدالة و غيرها ، كما كانت المناقشات عن الخيانة و الغدر التي تعرض لها و عائلته و عن التصرف اللانساني من الحكومة الفرنسية اتجاه الاطفال و النساء ، و قد قال الكلمة الشهيرة * ان غايتي القصوى هي اتحاد الملة المحمدية .. لو كان الامر بيدي لجعلت من المسلمين و المسيحيين اخوة * [170]

---

(167)– Antoine Adolphe DUPUSH, Abdelkader : sa vie intime, sa lutte contre la France, son avenir, E.L, PARIS, 1860, pp40-45

(168)– واسيني لعرج ، المرجع السابق ، ص442

(169)–المرجع نفسه ، الصفحة نفسها. وللمزيد من التفصيل انظر : Henri TESSIER, à PAU l'amitié de l'émir Abdelkader et de l'évêque d'Alger 1848 , Colloque au Musée du château de PAU, 6-7 Juin 1998, Alger

(170)– Antoine Adolphe DUPUSH, Op.Cit, même page

و قد دهش دوبوش من هذه المعلومات الدقيقة التي كان يملكها الامير فيما يتعلق بحالته
لا سيما عندما قارن بين ما حدث له و لنابليون الذي تفتخر به فرنسا ، و رفضت ما حدث له من انجلترا ، و أصبحت تعمل على شاكلتها في عدم احترامها للالتزامات القانونية مع الأمير :

* نابليون بعث برسالة احتجاج الى اللورد كيث جاء فيها : إنني احتج بشكل صارخ في وجه السماء و الرجال ، ضد العنف الذي مورس ضدي و ضد انتهاك أكثر الحقوق قداسة ، باعتقالي بالقوة وحجر حريتي ، جئت مخيرا نحو سفينة بليروفون ، لست سجينا ، فانا ضيف انجلترا ، لقد جئت بنية طيبة لأضع نفسي تحت القوانين الانجليزية ، و ما كدت اجلس على متن البليروفون حتى أصبحت ببيت الشعب البريطاني ، اذا كانت الحكومة هي التي أعطت الأمر لقائد البليروفون بان يستقبلني بهذه الطريقة أنا و حاشيتي،فقد وضعت نفسها في مأزق ، ولقد داس على الشرف و بهدل سفينته *[171]
و عرف دوبوش أن فترة اعتقاله قد سمحت له بالتعرف على أمور كثيرة ، على الرغم من آلامه و حزنه و حبسه التعسفي .

دامت هذه الزيارة 03 أيام ، و عند مغادرته أعلن دوبوش للامير باقتناعه الكامل بقضيته ، و سيسانده ليطلق سراحه ، و اخبره بأنه سينهي مرافعته بسرعة ، و قد اخبره الأمير بقرار الحكومة لنقله إلى امبواز في نوفمبر لخوفهم من هروبه عبر الحدود الاسبانية و العودة إلى الجزائر ، و قد حدد هذا الشهر بسبب عدم إتمام أشغال الترميم في القصر و الذي بموجب ثورة 1848 ، حجز من طرف الإدارة الوطنية للملك الخاص ، بقي هذا المبنى بدون تعيين خاص ، و قد دخلت وزارة الحربية في مناقشات حول تنازل الإدارة الوطنية عنه ، مقابل مصاريف الترميم و التنظيم و الصيانة [172] ولم تأخذ هذه الأخيرة قرارها بعد ، لذلك اجل النقل و قد وعده دوبوش بأنه سيرافقه إلى غاية بوردو و من هناك سيعين من يرافقه إلى غاية امبواز [173] .

---

[171]–واسيني لعرج ، المرجع السابق ، ص 445

[172]– Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, p10

[173]–Bruno ETIENNE, Op.Cit, p255

تميزت حياة الامير عبد القادر في هذه المراحل الاخيرة ، بالخلوة للصلاة و التأمل، أين وصل إلى مفهوم عالم الخير و النور ، ونظم حياته حول الصلوات الشعائرية و الدروس لأولاده ،و خلالها لم ييأس أو يقنط ، بل حاول دائما إيجاد متنفسا للتعليم و التثقيف و المناقشات الدينية [174]
كما تميزت هذه الفترة باستخلاف سراغوزا لظروف صحية بكاروندولي [175] carondelete و ذلك في 14 سبتمبر 1848 .

و في 10 أكتوبر قبل الوزير شروط الإيجار التي سبق أن اتفق حولها مع الإدارة المحلية ، و بدأت الترميمات في قصر امبواز لتلبية شروط و ضمانات الأمان ، و في 26 أكتوبر 1848، تم نشر رسالة صداقة و ترحيب من أعضاء المجلس البلدي لبلدية امبواز من اجل استقبال الأمير عبد القادر [176]

و في 30 أكتوبر وصل الأمر إلى قصر بو للاستعداد من اجل الانتقال الى امبواز ، و منذ بداية نوفمبر و بالضبط في الأول منه ، تقرر رسميا النقل النهائي للأمير عبد القادر ،و بدا فورنييه للاستعداد الفوري نحو بوردو .
و اخيرا في 02 نوفمبر 1848 ، و في المساء 03 عربات كانت مستعدة لنقل الامير و عائلته الى امبواز ، و بقي البعض الآخر نقل في 03 نوفمبر على الساعة 12 ليلا .

وفعلا فقد ترك المعتقلين بو في جو من الياس و الحزن مرافقين ببواسوني ، و قبل رحيله قدم الامير عبد القادر بعض الهبات للكاهن من اجل الفقراء و المساكين ، وغادر نحو مدينة بوردو BORDEAU و منها الى امبواز AMBOISE.
و هكذا فقد عانى الامير عبد القادر و مرافقيه في معتقل بو بعدما ضيق عليه الخناق خوفا من فراره ، و بعدما تقرر نقل المعتقلين الى امبواز ، ازداد خوفهم من المجهول و مما ينتظرهم في المحطة الثالثة من اعتقالهم و التي ستدوم 04 سنوات .

---

[174]– و بدا مصطفى بن هامي بكتابة تاريخ العرب الذي يقص أحداث المقاومة الجزائرية ، كما كانت ماري دبير زوجة بواسوني تجمع النصوص . Bruno ETIENNE, Op.Cit, pp256, 257

[175]– هو رئيس كتيبة الصف الرابع .

[176]–MEMORIAL DES PYRENEES, Op.Cit, 26/10/1848

I– التنظيم الإداري و العسكري المزامن لنقل المعتقلين إلى قصر امبواز (AMBOISE)

يقع قصر امبواز جنوب غرب باريس ، و يحيط بالضفة اليمنى لنهر اللوار ، بني في القرن 15 من طرف الملك شارل الثامن ، و في عهد نابليون هدم جزء منه و بني في مكانه مقر إقامة فرونسوا الأول .و في 1550 ، اشتهر هذا القصر بعد الحادث الدموي المتمثل في قتل البروتيستانت و تعليقهم على هذا الحائط . بعد هذا الحادث ، أصبح القصر مهجورا ، وخلال الثورة الفرنسية استرجع و في 1806 ، هدم كل ما ينم على انه قصر و أصبح سجنا ، أين سجن فيه ابن الملك هنري الرابع ، و سيزار دوفوندوم و الكسندر ، ونيكولا فوكي .في القرن الاخير وقعت فيه ترميمات و لم تبق فيه أي آثار سجن ، و خلال بنائه لجئوا الى الأرشيف المبعثر عبر كامل التراب الفرنسي [1]

و بعدما تقرر نقل الأمير عبد القادر الى هذا القصر ، تم عقد بين وزارة الحربية برئاسة لاموريسيير و مؤسسة منزل اورليان الوصية على هذا القصر ، كما سبق الإشارة إلى ذلك و قد تضمن هذا العقد مادتين :

الأولى : تنص على طبيعة الإقامة للأمير عبد القادر و رفاقه ، و كان الكاتب فورنييه من جملة الضباط المعنيين بحراسته و المكلف بتنفيذ شروط العقد ، كما تنص على النظر في أثاث القصر ، و كانت هذه المادة مؤرخة ب 18 نوفمبر 1848.

المادة **الثانية:** تنص على تكاليف الصيانة و الترميمات، و التي يجب على الدولة أن تتكلف بها [2]

و بموجب قرار المجلس التنفيذي لرئيس المجلس القاضي بنقل المعتقلين ركب الأمير عبد القادر و ابنيه و قائد الحرس ليستابي LESTAPIS ، و عدة شخصيات رافقوهم حتى مضمار الخيل ، و كان ذلك في 03 نوفمبر ،و في الغد وصل كل الفوج إلى بوردو على الساعة الحادية عشر ة و النصف صباحا ، و كان في استقباله الأسقف دوبوش ، وكذا أسقف المدينة دوني DONNET ، و لقد غطت صحيفة LES DEBATS هذا الحدث ، بحيث جاء في صفحاتها * من ساحة دوفين DOPHIN حتى شارع شابو روج CHAPEAU ROUGE حشد كبير من الناس كانوا ينتظرون السجين المشهور * [3]

---

(1)– Jules LOISELEUR, Les résidences royales de la Loire, P.E.D, PARIS, 1863, p 270-280

(2)– Ibid, même page

(3)– ZOUMOROFF, Op.Cit, p413

نزل عبد القادر بفندق الملوك Hôtel de prince ، و سكنوا في الطابقين الأولين ، أما الأعضاء الآخرين من رفاقه سكنوا في صنسوط SANSOT ، و قد قضوا في بوردو ، 4 أيام ، تعرف فيها الأمير عبد القادر على عدة شخصيات مدنية ، و عسكرية و دينية ، منهم رئيس البلدية ، وأعضاء المجلس ، ووالي المدينة، و الجنرال دوبوانسونيو DE POINCEGNON [4] كما استقبل الأمير عبد القادر ابن الجنرال بيجو و هو شارل بيجو و الذي تحدث معه مطولا عن والده ، و دون أن ننسى مرافقة دوبوش و دوني له [5] .

و بعد انقضاء أربعة أيام ، تم الإقلاع من بوردو على متن السفينة الكايمان CAIMAN ، قبل منتصف النهار ، و انطلقت عبر نهر الجيروندGIRANDE لتدخل نهر اللوارLOIRE لترسو في بيمبوف PAIM BŒUF و من هناك استقلوا بهم مركبا حتى نانت NANTE أين استقبل من طرف والي ناحية لاند ولوار L'INDE ET LOIRE ، و منها إلى امبوازAMBOISE أين وصلوا يوم الخميس 08 نوفمبر ليلا ، أي على الساعة 23:30[6] .

لقد غطت الصحافة المكتوبة الفرنسية مسيرة المعتقلين من بو إلى غاية امبواز ، و من بين هذه الصحف نجد صحيفة **Le progrès** التابعة لL'INDE ET LOIRE و الصادرة يوم 10 نوفمبر 1848 ، قالت * وصل عبد القادر إلى امبواز على الساعة 23:30 بحيث انزل العرب على رصيف الميناء قرب جسر ، وجلسوا على شكل دائرة ، على طبيعة الجلوس عند العرب ، و قد حملتهم العربات المنتظرة على الرصيف و فورا إلى القصر رغم الوقت المتأخر من الليل أين حضر العديد من السكان * [7]

---

(4)- هو قائد فيلق رقم 11

(5)- S .BELLEZE, Voyage de Paris aux Pyrénées : simples causeries, E.V, PAU, 1854, pp44-51

(6)- M. Abbe DOPIGEZ, Souvenir de l'Algérie et de la France méridionale 1830-1871, E.A.D, PARIS, pp233-245

انظر أيضا : Amira .K.BENNISON, Jihad and its interpretation in pre-colonial Morocco, F.C.A, PARIS, 2002, p205-220

(7)- Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, p15

و فور وصولهم إلى القصر تم تقسيمهم على ثلاث طوابق [8] :

الطابق الأرضي : فيه قارة محمد و الأمير عبد القادر ، ووالدته لالا الزهرة ، و زوجاته ، محي الدين بن مصطفى خاله ، وزوجته ، مصطفى بن تهامي و نساؤه اثنان ، محمد السعيد و زوجته و انسبائه، سي مرتضى بن محمد السعيد و ابنتها و طفليها و امرأة تدعى الحاجة .

الطابق الأول : عبد القادر بن ناصر ، سيدي خوجة و زوجته و بناته ، بن علال أخ خليفة الأمير ، سي قدور خليفة الأمير و زوجته ، مبروكة ، بلقاسم، بن علي بن سالم ، عبد القادر بن مصطفى ، زوجته ، و امرأة أخرى هم من عائلة الأمير عبد القادر ، احمد بن محي الدين : اخ الأمير عبد القادر ، احمد بن مختار ، محمد البشير أغا المحلة ، و زوجته و ابنته .

الطابق الثاني : بن عامر ، محمد ولد محمد و زوجته ، سي المختار كان مدرس للأطفال ، بن دحو و زوجته ، فراجي و زوجته، الحبيب و زوجته ، و بعدها يأتي سكن كل من فورنييه و بواسوني .

إن دراسة المصادر التي تتحدث عن هذه الفترة و التي اطلعنا عليها تظهر ان السنتين الأوليتين من الاعتقال في قصر امبواز 1849-1850 ، كانت قاسية جدا و شاقة على الامير عبد القادر و رفاقه لا سيما مقاييس الحراسة المفرطة ، فقد كان الحراس ينتشرون في كل مكان ، الى حد أن نصب حراس على باب كل جدار محيط بمكان إقامته ، و كذا الدوريات في الطرقات و ذلك لضمان الأمن ، إلى جانب البرودة القاسية و الرطوبة الكثيرة ، وانعدام التدفئة . و تحت أوامر لاموريسيير فقد منعت كل الزيارات و المراسلات بدون تصريح من وزارة الحربية شخصيا ، كما منع المعتقلين من الخروج ، و هي نفس الظروف المشددة التي عانوا منها في المعتقلين الأولين طولون-بو .

و لكن بعد ذلك أي من 1851-1852 ، بدا الخناق يخف شيئا فشيئا نظرا لشدة الحراسة ،و لقطع الأمل في أي مجال لفرارهم ، و زيادة على هذا، سلوك المعتقلين المثقلين بالمعاناة و العزلة و الالم و قطع الأمل و هذا ما ساعد الحراس على فك الخناق عليهم [9] .

---

[8] - RABAN, Op.Cit, p324-330

[9] - Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, p16

و رغم هذه الظروف القاسية و المعاناة إلا أن العائلة استطاعت المحافظة على تقاليدها الإسلامية، بحيث فرقوا بين الرجال و النساء، و عندما يخرج الرجال يلتقون عند الأمير أو خارج البيوت.

و في إطار الدين كانت لهم الحرية التامة لأداء نداء الصلاة ، فقد كان قارة محمد يؤذن للصلاة و ذلك فوق البرج العالي يسمى قارسوني GARCONNET كذلك الأعياد الدينية محترمة .
أما النساء فقد كانوا يطبخون الغداء و أكثرية الأكل المطلوب من العائلة هو الكسكسي فقد كان يمثل التغذية القاعدية . و نظرا لان السجناء لم يكونوا يثقون في اللحم المذبوح و خوفا من ان يكون لحم خنزير فلم يكونوا يأكلونه ، لذلك في امبواز كان لحم الخروف يذبح في القصر كذلك لحم الحمام ، الدجاج و الديك الرومي ، إلى جانب القهوة الخفيفة و الشاي الثقيل .

و قد كان لبواسوني الفضل في توفير هذا التنظيم الغذائي ، خصوصا بعدما رتب مع أصحاب المحلات في امبواز لإيجاد الدقيق ،و الخروف لصنع الكسكسي ، و كذلك الفاكهة المجففة و غيرها من المكونات المعروفة عند الجزائريين [10] .و هذا ما توفر بصعوبة كبيرة .
و رغم قلة الميزانية المخصصة لهم، و التي قدرت ب 1.30 فرنك للشخص الواحد ، زيادة على اللباس و الأثاث، إلا أن الأمير عبد القادر و رفاقه و عائلاتهم ، لم يحسوا كثيرا بهذا النقص لأنهم كانوا دائمي الصوم و قنوعين ، كما أنهم لم يكونوا يطلبون شيئا ، و هذا ما انعكس على صحتهم فيما بعد [11]

لقد استلزم نقل الأمير عبد القادر و رفاقه إلى امبواز ليكون المعتقل الثالث تنظيما إداريا و عسكريا ضخما ، لا سيما خوف الدولة الدائم من فرار الأمير عبد القادر و العودة إلى الجزائر.
تزامنا مع هذا الحدث تم خلق هيئة للحراسة ، فقد جند وزير الحربية 200 رجلا و دعمهم بأفواج منفصلة من تور TOUR ، و بلوا BLOIS و سومور SAUMUR ، هذا العدد الكبير من الحراس سمح بتناوب لكل ستة أشهر .

---

(10) – Félix MORNAND, La vie Arabe, L.F, PARIS, 1856, pp3103-313

(11) – ZOUMOROFF, Op.Cit, p415

فيما يخص تموين الثكنة في القصر كلف بها رئيس بلدية امبواز هو شارل قوشي بيقو Charles Gauche BIGOT ، فبعدما وصله الأمر عن الاستعداد لاستقبال الأمير عبد القادر في امبواز بلغ والي ولاية L'INDRE ET LOIRE في رسالة مؤرخة في 1848/09/15، بالإمكانيات التالية [12] :

1- إن المبنى المخصص في المدينة للثكنة لم يستوعب إلا 150رجل ، يلزمنا أن نقدم محلا آخر لأخذ الأفواج الأخرى التي قرر وزير الحربية إرسالها .
2- هذا العدد الكبير يستلزم شراء الأثاث أكثر مما يستوجب مصاريف أكثر، و لذا يجب أن نكون على علم بما تخطط له الحكومة في هذا المجال.

و استطيع أن اقترح خارج محيط القصر منزلا كبيرا تابع للملك الخاص لاستيعاب 200 شخص القادمين .

و قد كان جواب الوالي كما يلي * اعتقد انه ليس الوقت المناسب بعد لنتكلف بوسائل السكن لزيادة العساكر و التي تستلزم إقامة عبد القادر في قصر امبواز ، يلزمنا أن نسكن خارج الثكنة 50 رجل فقط ، و من المحتمل أن نكسب التغيرات و الترميمات الضرورية داخل القصر و تخصيص جزء منها للثكنة .

و في ظل هذه الصعوبات التي عانت منها الدولة لتوفير السكن للحراس ،فان سكان امبواز قد قاموا باستضافة الحراس و لعدة ليالي [13] .

أما استلزامات النوم الخاصة بفرق الحراسة ، فكان جزء منها موجود بالقصر ، أما الجزء الأخر فقد استعير من الإدارة الوطنية للملك الخاص ، و التي طالبت فيما بعد من الحكومة شراءه .

هذا القرار أثار ضجة لدى المنتخبين المحليين ، وأجبرهم بشراكة مع وزارة الحربية لشراء أثاث النوم ، و هذه التكلفة كانت باهظة ، و تفوق الميزانية المخصصة لهذا الجانب مما أدى إلى فتح حملة تبرعات من سكان المدينة [14] .

---

(12) - Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, p12

(13) - Ibid, p13

(14) - Ibid, même page

لقد كانت وزارة الحرب هي السلطة العليا ، كما تبين هذه الرسالة المؤرخة في 1850/12/26 ، و التي صدرت من وزير الداخلية إلى والي L'INDE ET LOIRE جاء فيها : *وزير الحرب أجابني بان الأمير الأسبق سجين حرب تحت حراسة وزارته، التي تتحمل وحدها مصاريف العمال و الأدوات فيما يخص هذا السجن ، أما عن الأسئلة التي تهم الشرطة الداخلية للقصر فوزارة الحربية هي المختصة بهذا ، وترفض أي تدخل من سلطة خارجة عن السلم العسكري *(15) و بهذا التنظيم الاستعراضي أصبح قصر امبواز يبشر بسجن حقيقي تحت قواعد جبرية و قسرية محروسة من رجال وزير الحرب .

لقد واصل الأمير عبد القادر حياته في الصلاة والتأمل ، في انتظار الفرج و الحرية ، يقول شارل قابو Charles GABEAU (16) في مذكراته * أن عبد القادر كان يمضي وقته بالنظر خارج القصر عبر النافذة و في التأمل، و كان دوبوش أول من استطاع الحصول على تسريح من الوزارة للتكاتب مع السجين ، فبينهما رسائل طويلة في الدين ، و هذه الحالة خاصة لان وزارة الحربية كانت تمنعه من استقبال الناس * (17)

II- تنصيب لويس نابليون بونابارت رئيسا للجمهورية الثانية و استمرار الاعتقال

بعد مضي شهر من وصوله الى امبواز تجددت الآمال لدى المعتقلين و ذلك بعد التغيير الجديد في السياسة ، ففي 1848/12/10 ،تم الإعلان عن ميلاد الدستور الجديد ، وتشكيل الجمعية التشريعية الجديدة المكونة من هيئة تشريعية واحدة ، و رئيس واحد للجمهورية الثانية و هو لويس نابليون بونابارت (18) .

(15)- Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, p14

(16)- هو ترجمان عسكري ن و كان مقرب من الأمير عبد القادر في هذه الفترة

(17)- .PLESSIS, Les arabes à Amboise, Mémoire de la société botanique de France : société archéologique du Midi de la France, par A.DROUET, de Novembre 1847-Novembre 1854, pp217-220

(18)- هو شارل لويس نابليون بونابارت سلطان فرنسا ولد في باريس في قصر تويلغي في 20 افريل 1808 ، و هو الابن الثالث للويس بونابارت ملك هولندا تعمد في فونتانبلو 1811، من طرف عمه الكاردينال فاش ن مولده كان رائعا كما لو انه وريث عرش ، بحيث اقيم احتفال رائع بطلقات البندقية و الاحتفالات عمت أنحاء الإمبراطورية من هابسبورغ الى روما و من البرينيه إلى نهر الدانوب ، و منذ موت اخيه الأمير شارل لويس نابليون بونابارت أصبح يسمى نابليون لويس بونابارت لهذا قررت المملكة تسمية العائلة بنابليون ، و أصبح في 1852 ، إمبراطورا و من خلاله تم إعلان الإمبراطورية . انظر :
Amédée BOUDIN, Histoire de Napoléon III empereur des Français continuée jusqu'à Sa mort, L.V.C, PARIS, 1858, pp7-9

ان فوز نابليون قد فاجأ الجميع بانتصاره الساحق على كافينياك : بموجب 5.50 مليون صوت له مقابل 1.50الكافينياك ، و 17000 صوت للامارتين[19] .و هكذا فقد عين نابليون رئيسا للجمهورية الثانية .و كنتيجة حتمية لهذا التعيين تكونت الحكومة الجديدة و على رأسها اوديلون بارو Odilon BARROT و الجنرال روليار RULLIERE خلفا للجنرال لاموريسيير على وزارة الحربية [20].

لقد كان الأمير عبد القادر على اطلاع بهذه التغييرات مما أدى إلى عودة الأمل من جديد في هذه الجمهورية الجديدة و هذا الرئيس الجديد لإطلاق سراحهم .و قد مكن هذا التعيين الجديد من إعادة النظر في قضية الأمير عبد القادر ، و تقرر ذلك بعد شهر من هذا التنصيب ، أي في 14 جانفي 1849 ، اين تم الاجتماع في ايليزي Elysée موضع إقامته ، و قد لعب ايميل اوليفييه الذي سبق الحديث عنه دورا كبيرا في الحصول على التأييد نحو إطلاق سراح الأمير عبد القادر ، الى جانب ان لويس نابليون نفسه كان متعاطفا مع قضية عبد القادر لانه عانى في منفاه ، كما عانى الأمير عبد القادر في المعتقلات الفرنسية [21] .

و قد دعي إلى هذه الجلسة بعض الجنرالات السابقين أمثال الماريشال بيجو ، و شانغارنييه ،و الذين أعربوا عن تأييدهم لإطلاق سراح الأمير عبد القادر ، و لكن المعارضة الشديدة التي أبداها وزير الحربية الجديد روليار ، و الذي ألقى خطابا يتحدث فيه عن صعوبة إطلاق سراح الأمير عبد القادر ، خصوصا إذا ما عاد إلى الجزائر و التي انخفض عدد الجيش الفرنسي فيها إلى 30000 جندي فقط ، و هذا الخطاب قد أيدته اللجنة التشريعية الجديدة ، و التي ظلت تطالب ببقاء مجرم الحرب المسؤول عن مذبحة الأسرى في المعتقل[22] .و أمام هذه المعارضة الشديدة ، لم يكن لنابليون القوة الكافية ، و الشخصية القوية للتأكيد على رأية ،لذلك و قال في هذا الصدد للورد لندنبري * إذا لم أقم بالعمل الخير الذي ارغب به فذلك لأنني لم استطعه ...* [23] .

---

(19)- Victor PIERRE, Histoire de la République de 1848, VOL1, E.P, PARIS, 1873-1878, pp320-453

(20)- B.RENAULT, L'histoire du gouvernement de Louis Napoléon et rétablissement de l'empire Français, E.R.R, PARIS, 1852, p44-51

(21)- Adrien Jean Quetin PEUCHOT, Bibliographie de la France, E.C.L, PARIS, 1855, pp13-45

(22)- Ibid, même page

(23)- Gerald ARBOIT, Aux sources de la politique Arabe et de la France : Le second empire au Machrek, E.H, Alger, 2000, pp230-232

و يواصل قائلا * لم تتبدل نواياي بالنسبة للأمير ، فانا أريد عاجلا أو آجلا منحه حريته ، لأنني اعتقد إن شرف فرنسا يتطلب هذا الإجراء لكنني في الوقت الحاضر ألقى صعوبات جمة ..* [24]
فقرر الانتظار لوقت أكثر ملائم.

و بعدما وصلت هذه الأخبار إلى الأمير عبد القادر عن طريق بواسوني جاء رده كالآتي * الطموح غالبا ما يعمي قلوب الرجال * و يواصل قائلا * إن هذا الطموح يحول بينهم و بين الإيمان بصدق الآخرين ، مما يتسبب أحيانا في حدوث الظلم *[25]

إن خيبة الأمل الجديدة دفعت بالأمير للتعمق أكثر داخل نفسه، و التأمل و التفكير مليا في الخديعة التي تعرض لها ، ورغم ذلك فقد تقبله برباطة جاش ، مستمدا ذلك من قوته الفكرية و يقينه الديني العميق .

و أرسل خلال ذلك رسالتين إلى دوبوش و طلب منه زيارته الأولى في 09 جانفي و الثانية في 19 جانفي 1849 .
يقول في الرسالة الأولى : * في بداية السنة الجديدة ، نرجو من الله أن ينشر رحمته على كل من يحبوننا و يفكرون فينا ، نتمنى أن تعود إلينا قريبا ، ونرجوك أن لا تتأخر ، و إذا لم تستطع المجيء سنرد ذلك الى مشيئة الله و سنحمده على نعمه ، و لكننا لا نتوقف عن التمني بان تكون زيارتك قريبة ...* [26]

---

(24)- Bruno ETIENNE, Op.Cit, p262

انظر أيضا : F.LAURENT, Voyage de Louis Napoléon dans les départements du centre et du midi emperor of the French Napoléon, S.A, PARIS, 1852, pp488, 490

(25)- Alfred GABEAU , L'émir Abdelkader à Amboise : bulletin de la société archéologique de TOURAINE , 1898, pp355-357

(26)- واسيني لعرج ، المرجع السابق، ص401

و جاء في الرسالة الثانية ما يلي * الحمد لله وحده، من الذين يعانون آلام الهجر و الوحدة، .. إلى صديقنا دوبوش قس الجزائر السابق ، وحده يعرف الحزن العميق الذي في القلوب و الحرمان الكبير و الحاجة ، .. السلام عليك.. كان من المفترض أن نجد في كل ما قيل لنا منذ حبسنا ، العدل و الصراحة و لكن هيهات .. سعدت كثيرا ان رسالتك للرئيس قد وصلت الى نهايتها ،.. لقد سلمت أمري لله و لم يعد شيء يعنيني من الحياة سوى تلك الرغبة التي تنتاب المنفي المنكسر ، الخلاص أخيرا من عزلته و السماح له باختيار موته على الأرض التي يشتهي أن ينطفئ على تربتها * [27]

ان الأمير عبد القادر كان مخول له أن يراسل دوبوش فقط، لذلك كان دائم الصراخ عن العدالة و الرغبة في حريته و من معه ، و لقد كان يدفع بالقس دوبوش الذي بدوره كان متعاطفا مع قضية الأمير أن يثير قضيته الى أعلى مستوى ، و ضرورة ان يعرف الجميع ان فرنسا الدولة العظمى قد تخلت عن عهودها، و عليها ان تتدارك هذه الممارسة التي لا تنم أبدا عن الحضارة او التمدن ولا حتى القيم التي جاء بها المفكرون الذين قادوا الثورة الفرنسية .

و قد منح دوبوش الإذن بالزيارة رغم الصعوبات الكثيرة التي اعترضته ، وبفضل جهود كل من بواسوني و دوماس ، كانت الزيارة الأولى في أوائل فصل الربيع ، و قد عبر دوبوش خلالها عن قلقه إزاء الحالة النفسية التي آل إليها الأمير عبد القادر ، و كذا الأمراض المتلاحقة التي بدأت تعصف بالعائلة ، و قد اخبره دوبوش باقتراب نهاية الكتاب الذي كان يكتبه عن قضيته ، و الذي أراد أن يهديه الى لويس نابليون .و غادر بعد هذه الزيارة بوعود العودة للزيارة من جديد و التصميم على مواصلة الكفاح من اجل حريته ، و لم يكن دوبوش لوحده يحمل هذه المبادرة بل لازمه في تحقيقها كل من دوماس و بواسوني و ايميل اوليفييه ، و كذا بعض الحلفاء من انجلترا أمثال ويليام تهاكوراي Wiliam THACKERAY الى جانب حماس اللورد لندنبري LONDREBERY اتجاه إطلاق سراح الأمير عبد القادر و استمرار مراسلاته بالمجلس لصالح الرئيس الجديد [28] .

رغم هذه المحاولات المتكررة ، فلا يمكننا الجزم بأنه كان للقسيسين الدور في تحريره ، فرغم محاولاتهم لم يستطيعوا الوقوف ضد الحكومة ، و لكنهم استطاعوا فقط إبراز قضيته مع الصحافة.

---

[27]–واسيني لعرج ، المرجع السابق، ص 402،403

[28]–Le BLANC Alphonse Michel, Récits d'un officier d'Afrique, P.N, PARIS, 1862, pp 420-425

استمرت معاناة المعتقلين في قصر امبوار ، خصوصا أمام تغييرات في المترجمين ، فان الحكومة لم تكن تثق كفاية في المترجمين و تخوفت من تعاطفهم مع الأمير و عائلته لذلك كانت تغير من هؤلاء الأشخاص ، مما أدى إلى صعوبة التكيف معهم ، و هذا ما اقلق كثيرا بواسوني [29] .

إلى جانب هذه الإجراءات المقيدة للحرية ، بدا عدد الموتى في التزايد المستمر فقد مات منهم 25 شخص ، خصوصا في سنة 1852، و قد أثار موت هؤلاء ضجة كبيرة لا سيما طبيعة الموت المفاجئة و غير الطبيعية ، و التي كانت تؤدي الى شكل من أشكال الاختناق البطيء scrofulux و مختلطة بالتهابات رئوية متكررة و الكوليرا و السل و الروماتيزم ، و مرض الكساح عند الأطفال [30].

و هكذا فان دولة فرنسا بكبريائها و قانونها و روادها ومفكريها قد أنكرت و تجاوزت التزاماتها القانونية و الإنسانية من اجل امتصاص الحياة من هؤلاء من اضعف نسمة .

و ما زاد من حزن الأمير عبد القادر هو تلك الكلمات الحزينة التي ظلت راسخة في ذهنه و التي قالها ابن شقيقه و هو يلفظ أنفاسه الأخيرة * الحرية .. الحرية وحدها العلاج لي * [31]

و يرجع أطباء القصر سبب هذه الوفيات إلى انعدام شروط النظافة ووجود حمام واحد لم يكف لتطلبات الشروط الصحية ، إلى جانب نقصان المناعة الطبيعية [32]

و هذه المبررات هي دائما ما كان يقدم إلى الصحافة و الرأي العام عند موت احد المعتقلين . **و ما زالت هذه الإشكالية قائمة حول الأسباب الحقيقية لهذه الوفيات ؟** و من بين هؤلاء الشهداء نجد زوجة الأمير عبد القادر الصغرى مباركة ، و شقيقته خديجة ، و طفليه و كذا أبناء و زوجة شقيقه محمد السعيد [33] و غيرهم من الشهداء .

---

(29) – Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, p19

(30) – Prosper de pietra SANTA, Du climat d'Alger dans les affections chroniques de la poitrine, M.I.L, PARIS, 1856, p109, 110

(31) – Johanne Franz MQUEL et Jean Félix MIQUEL, Op.Cit, pp379, 380

(32) – Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, même page

(33) – Zénaïde FLEURIOT et autres, La semaine des familles:revue universelle 1859-1860, J.L, PARIS, 1860, p174-176

انظر أيضا : Maamar BOUKERROU , Le captif d'Amboise : Le cimetière des arabes, La revue de la semaine ,N-4,p12

في ظل هذه الظروف الصعبة ألغى الجنرال بيجو زيارته المنتظرة إلى الأمير عبد القادر و التي كانت مقررة يوم 29 جانفي ، و التي سبق أن وعد الأمير عبد القادر ليزوره و يدرس وضعيته معه ، و لكن ألغيت هذه الزيارة بحجة دعوة بيجو لمهمة عسكرية ،ولكن السبب الحقيقي هو وجود الرفض التام حول إطلاق سراحه مما أدى ببيجو إلى إلغاء المهمة ، وبعد وصوله إلى ليون اكتفى بإرسال رسالة الى الأمير عبد القادر يجمل فيها ما كان يود قوله ، و حاول من خلالها ان يجرب حظه مع الأمير ليحظى بوعد معلن منه للتخلي عن رغبته في الذهاب الى المشرق ، و القبول بالإقامة في فرنسا

و بإجمال يقول بيجو * لقد قلب الملك الذي سبق و أن أكد لي على تسريحك و تسهيل ذهابك إلى مكة ، الحكومات التي أعقبت وجدت نفسها تحت ضغط الرأي العام فتخلت عن هذا الوعد ، ارى من واجبي ان احدثك بصراحة الصديق الحقيقي .سيمر وقت طويل قبل ان يسمح لك بالذهاب الى مدينة النبي ، الصراحة أحسن من الأماني الكاذبة ، و إن الأمل الذي تحمله سيذهب سدى و سيجعلك فقط أكثر بؤسا ، لذا الأحسن أن تتخذ قرارا يتماشى و الوضعية التي اختارها الله لك .

أتمنى أن تصل إلى قرار تبني فرنسا كوطن لك و تطلب من الحكومة أن تمنحك أنت و عائلتك قطعة ارض غنية ، تكون ملكك قانونا و يتوارثها أبناؤك من بعدك ، كما يمكنك ممارسة دينك بكل حرية و تصبح لك حياة مساوية لحياة أي مواطن فرنسي محترم ، اعرف أن مقترحا كهذا قد لا يغريك كثيرا ، ولكن فكر في مصلحة أطفالك الذين يموتون من الخمول ، فقبولك لهذا العرض سيمنحهم الصحة الجيدة باستنشاق الهواء الطلق ، و ممارسة الزراعة ، و ستنشط الطـــبيعـــة معنوياتهم.*[34]

إن هذه الأفكار لا تخفى عن شخصية بيجو و الذي طالما حلم باستخدام الجزائريين في الزراعة في فرنسا ، و مما لا شك فيه أن بيجو أرسل هذه الرسالة بطلب من لويس نابليون لأنها أرسلت بعد اجتماع 14 جانفي ، و الذي ناقش قضية عبد القادر دون نتيجة جازمة ، و لقد كان ذكي فقد مزج بين التعاطف مع قضية عبد القادر و التلاعب لأنه حاول حل المشكل بالتصدي لمشكل شرف فرنسا و السياسة الداخلية على الرغم من فوزه في الانتخابات .

---

(34) – F.LAURENT, Op.Cit, PP490, 491

يمكن العودة إليها في : Daniel STERN et Marie CATHERINE , Op.Cit, pp267-270

أصيب الأمير عبد القادر جراء هذه الرسالة بخيبة أمل كبيرة لم يكن قادرا على مقاومتها ، و لم يجد الكلمات التي تعبر عن حزنه و مرارته ، إلا انه ظل جزائريا و صامدا أمام كل هذه الاقتراحات التحريضية ، فقد رفض هذه الإغراءات و قد جاء جوابه كالتالي : * و الله لو جمعت كل كنوز الدنيا في برنسي هذا ، وطلب مني أن أضعها مقابل حريتي ، لاخترت حريتي ، لا اطلب لا شفقة و لا منة ، اطلب فقط تطبيق الالتزامات التي اتخذت تجاهي ، طلبت أمانا من فرنسا فأعطي لي من طرف جنرال فرنسي بدون قيد و لا شرط ، وزكاه جنرال آخر هو ابن ملك ، و لذلك أريد فقط أن تنفذ فرنسا التزاماتها * [35]

الى جانب هذه الإغراءات التي قدمها بيجو له ظلت الحكومة تواصل كذلك إغراءاتها لجعله يتخلى عن العهد فقد وضعوا في غرفته كل الأثاث الفاخر ، فجهزت غرفته كالتالي[36] :

1- أريكة من لوح ACAJOU
2- سرير بمصطبة
3- 02 من الأسرة الجديدة
4- وسادة فاخرة
5- بطانية قطنية و أخرى صوفية
6- 07 أرائك و 06 كراسي

و رغم ذلك إلا أن الأمير عبد القادر لم يعيرها أي اهتمام و ظل يناشد بحريته ، و أمام هذه الإجراءات كان يقول * و الله لو جمعت فرنسا سائر أموالها، ثم خيرتني بين أخذها و أكون عبدا و بين أن أكون حرا فقيرا و معدوما ، لاخترت أن أكون حرا فقيرا * [37]

اذن فهذه الوضعية و الرفض التام لتحقيق الالتزام الإنساني و القانوني و احترام حقوق المعتقلين لم يبق أمام الأمير عبد القادر و رفاقه سوى الانتظار و بكل بساطة إلى تغير الظروف ، و إلى الثقة مجددا فيما يعتقده نابليون حول حسن النية ، كما عرف بأنه أصبح ضحية التحولات السياسية في فرنسا .و بعد شهر أي في 06 جوان من نفس السنة توفي الجنرال بيجو بداء الكوليرا و خلالها أرسل الأمير عبد القادر رسالة تعزية إلى أسرته[38] .

---

(35)- Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, p09

(36)- Zénaïde FLEURIOT et autres , Op.Cit, pp178, 179

(37)- Les annales d'hygiène publique et de médecine légale, E.P.B, PARIS, p52, 53

(38)- Louis BLANC, Op.Cit, p 230

رغم هذه الإجراءات السوداء المتخذة ضد المعتقلين إلا انه بحلول سنة 1850 بدأت إجراءات التخفيف تظهر ، و هذا ما يرجعه لويس سورو Louis jean SUREAU إلى الدور الذي قام به بواسوني ، إلا انه في الحقيقة راجع إلى فقدان الأمل من هروب الأمير عبد القادر او حاشيته لا سيما الأمراض المتلاحقة بالعائلة و كذا الوفيات المتكررة ، الى جانب الوهن و اليأس الذي كانوا يعانون منه ، فهذه الظروف المخففة سمحت للأمير للتراسل مع من يريد ،و استقبال من يريد و هذا ما أدى الى وجود مراسلات قيمة و ضخمة مع بعض رجال الدين كالأب ربيون RABION ، و الذي ربطته معه مراسلات كثيرة [39] .

كما كانت له مراسلات مع قس مدينة تور مورلوا MORLOT ، و قد نظم فيه الأمير عبد القادر قصيدة شعرية و كان ذلك في 29 جانفي 1852، إلى جانب مراسلاته مع الراهبة سان بيير و كذا الراهبة سان موريس ، و رغم هذه الظروف المخففة ، إلا أن الأمير عبد القادر كان لا يخرج إلا نادرا و إذا خرج فانه في كثير من الأحيان يزور قبور الموتى الذين توفيوا للظروف السابق الإشارة إليها ، و الذين دفنوا في حديقة القصرو كان دائما يجيب الطبيب الكيه ALQUIE الذي كان ينصحه باستنشاق الهواء الطلق * ما احتاج إليه هو هواء الحرية فهو وحده القادر على إحيائي من جديد * [40] .

و في هذه الأثناء عين اوتبول houtpoul كوزير الحربية ، و أصبح دوماس احد مساعدي هذا الوزير و قد ساهم هذا الأخير في إقناعه لإرسال 2000 فرنك للحاجات الشخصية للأمير عبد القادر و عائلته [41] ،و قد شكر الأمير وزير المال على هذه المبادرة التي لم تسعده كثيرا ،و إنما استغل هذه الفرصة و أرسل رسالة إلى وزير الحربية الجديد الذي طالب من خلالها المساعدة في الحصول على معلومات من مبعوثيهم في طنجة عن ابن شقيقه محمد صادق[42]

(39)– لا يسعنا هنا ذكر جميع هذه المراسلات لذلك راينا من الأجدر إلحاقها بملف تابع لهذه الدراسة :

مأخوذة من : Département des Archives de la ville d'Amboise , H140-ANII-1892 : La visite de l'émir Abdelkader à la ville d'Amboise , 1852-1870

(40)– Bruno ETIENNE, Op.Cit, p265

انظر أيضا : Alfred GABEAU, Op.Cit, p355, 356

(41)– Eugène COLLIN et comte de CIVERY, Napoléon III et Abdelkader: charlemagne et witikind , étude historique et politique , biographie de l'émir contenant un Grand nombre de lettres et de documents inédits, E.P.M, PARIS, 1853, p434-437

(42)– هو ابن شقيق الامير عبد القادر محمد السعيد ، اسر عند المغاربة في الأيام الأخيرة من وقف القتال و فر بعدها إلى مراكش ، و قد سبق أن راسل محمد السعيد و بالضبط في 04 ديسمبر 1848 ، ليون روش و الذي كان قنصل فرنسا في طنجة و طلب منه المساعدة لكن دون جدوى. انظر ،

Léon ROCHE, dix ans à travers l'islam 1834-1844, préface de E.CARRABY, E.L.A.D, PARIS , 1884-1885 , pp498,499

و بعد مضي شهر من إرساله لهذه الرسالة وصل ابن شقيق الأمير عبد القادر محمد الصادق الى امبواز ،و قد احتفل بهذا الرجوع في القصر من طرف المعتقلين ، و قد تم خلالها عقد خطوبة هذا الشاب بابنة الأمير عبد القادر خديجة [43] و ردا على هذا أرسل الأمير عبد القادر رسالة شكر إلى لويس نابليون و أشاد خلالها بالدور الذي قام به كل من اوتبول و دوماس لإنجاح هذه الخطوة عن طريق الرصيد الضخم من المراسلات بين هذا الوزير الجديد و الرئيس [44] .

و في 13 مارس 1850 ، قرر لويس نابليون و تزامنا مع نهاية كتابة القس دوبوش للكتاب الخاص بالامير عبد القادر ، اختبار رد فعل الرأي العام ، فأعلن عن إطلاق سراح 19 من المعتقلين و السماح بعودتهم إلى الجزائر [45] و بطبيعة الحال يستثنى الأمير عبد القادر من هذا القرار ، و تنفيذا له عاد معظم هؤلاء إلى الجزائر و لم يظهر الشعب أي احتجاج أو رد فعل سيء اتجاه هذا الإجراء حسب ما جاء به التقرير المفصل المرسل من وزير الداخلية ، و انما اكتفوا بالمشاهدة أثناء مغادرتهم .

و قد تعين هؤلاء الأشخاص المغادرين إلى الجزائر على حسب ظروفهم الصحية، من بين هؤلاء زوجة الأمير عبد القادر عائشة ، و التي كانت صحتها جد متدهورة على حسب التقارير الفرنسية ، بسبب المناخ القاسي و البرودة الشديدة و التي غادرت المعتقل مع احد إخوتها ، مرافقين بالمترجمان شارل قابو Charles GABEAU و دي بورنيار De BOURNIER [46] .

و تزامنا مع استمرار اعتقاله و عائلته و رفقائه استمرت المناقشات في الجمعية العامة و التي كانت بتاريخ 25 نوفمبر بحيث قدم الحاكم العام فابفييه fabvier اقتراحا لتحرير الأمير عبد القادر ،و لكنه قوبل باتفاقية تناقض هذا الاقتراح و مناهضة لاستمرار تعذيب الأمير عبد القادر و اعتقاله

---

(43) – John KISER, Commander of the faithful,P.C, U.S.A , 2008, p56

(44) – Ibid, p57

(45) – Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, p21

(46) – Alfred GABEAU, Op.Cit, p356

كما قدمت هذه الاتفاقية بعض الحجج المضادة له بعدما ألصقت مذبحة الأسرى الفرنسيين به ، و هذا وحده حسب زعمهم كافي لاستمرار تعذيبه و كان وراء هذا الاقتراح بعض النواب [47] ، فيقولون* إن هؤلاء القراصنة لا يحق لهم تقديم شكوى من كرم الضيافة التي تلقوها في فرنسا * [48]
و قد برر شارام SHRAMM انتهاكات الدولة الفرنسية الغير أخلاقية و الغير قانونية بقوله* من الضروري تدمير العدو من جانب واحد بكل وسائل القوة * [49]

و هكذا نتيجة لوجود عقبات كثيرة أمام إطلاق سراحه تواصلت حياة المعتقلين في الانتظار حتى ماي 1851 ، اين تمكن راندون RANDON من الحصول على موافقة من الحكومة للسماح للأمير عبد القادر بالخروج من معتقل امبواز الى المدينة ، وبقي أمامه إقناع الأمير عبد القادر بهذه النزهة فأرسل كافيري CAVAIRY الى قصر امبواز و بمساعدة بواسوني تم إقناع الأمير عبد القادر بهذه النزهة بحجة انها مفيدة ليس لصحته فقط و إنما أيضا ليظهر حسن نيته اتجاه سكان امبواز الحريصين على إطلاق سراحه ، و لهذا خرج الأمير عبد القادر الذي لم يكن يخرج قبل هذا الا في بعض الاحيان –كحداد على حالته – مع بعض الشخصيات التي كان يجبر للخروج معها لبضع خطوات [50] فزار الأمير بعض القصور مثل قصر شونونسو CHENONCUAE [51] مرفقا ببواسوني و الطبيب ألكيه و بعض المساعدين ، كما زار محطة القطارات LIMERAY [52].

---

(47)–هؤلاء كانوا يرون ان شمال افريقيا لا يمثل الا الساحل البربري ، بمعنى ان سكانه هم شعب بربري غير متحضر ون و ان فرنسا جلبت اليهم الحضارة و هذه هي الفكرة الرائجة ، و التي سبق ان ناقشناها في الفصول السابقة .

(48)– John KISER, Op.Cit, p57

(49)– Ibid, même page

(50)– Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, p22

(51)–كان هذا القصر سابقا محل اقامة الكونتيسة فيلنوف ، و هو يتميز بالهدوء و السكينة و الوقار و الرهبانية انظر : LOISLEUR Jules ,Op.Cit, P290

(52)– Louis jean SUREAU, Alexis FEULVARC'H, Op.Cit, pp22, 23

و كنتيجة لهذه الزيارة كتب الأمير عبد القادر رسالة شكر إلى الجنرال رندون الذي ساهم في التخفيف النسبي من القيود التي تفرضها عليه الحكومة ، وبعد أشهر قليلة من ذلك زاره الجنرال رندون سرا[53] أي بدون علم الحكومة ، و علم خلال هذه الزيارة برغبة هذا الوزير في حريته ، كما اعلمه بترقية بواسوني كقائد ، فكتب الأمير عبد القادر الى دوماس رسالة شكر بعد انتهاء الزيارة لعلمه بأنه كان شريكا في هذه المبادرة ، كما اعلمه بسعادته لترقية بواسوني [54].

آخر الزوار الغير متوقعين للأمير عبد القادر هو اللورد لندنبري LONDENBERY، و الذي سبق و أن تراسل مع لويس نابليون لتهنئته بفوزه الانتخابي و كان مساندا لتسريح الامير عبد القادر و في زيارة له للرئيس نابليون ، حضر مجلس النواب و ألقى فيه خطابا يساند فيه إطلاق سراح الأمير عبد القادر و لكن تدخله هذا لم يكن محل ترحيب من وزراء الحربية الاقوياء ،و مع ذلك استطاع انتزاع الإذن من الرئيس لويس نابليون و لزوجته ، و ابنته للذهاب الى قصر امبواز .

ردا على ذلك اتخذت التدابير اللازمة لجعل زيارته للأمير عبد القادر غير ممكنة ، فقد كان يعامل الثلاثي بخشونة واضحة ، فقد كانوا ينتظرون طويلا في البرد القارس خارج بوابات القصر قبل الدخول إلى النفق ، و بعد ذلك وضعوا في غرف تخزين قذرة و التي كانت تستعمل سابقا كأقفاص للطيور[55] و مع ذلك تم التقاء اللورد مع الأمير عبد القادر ، و قد جمع بينهما حوار طويل انتهى بطلب الأمير عبد القادر من اللورد للعمل من اجل ترتيب مقابلة له مع الرئيس لويس نابليون ، و قد شكك اللورد في ان يكون ذلك ممكنا ،و لكنه وعد ان يفعل ما هو أفضل ،و أعرب عن ثقته في الرئيس الذي يقول انه على يقين بأنه سوف يفعل ما هو صحيح حول وضعيته [56].

انقطعت عن الأمير عبد القادر الزيارات و ظل مهجورا بسبب الانقلاب السياسي في فرنسا و حل المجلس الانتخابي ، و الذي أصبح الأمير عبد القادر مدركا ان بعد أي حدث سياسي خطير فان قضيته تنسى أكثر في زحمة هذه الأحداث و تفقد بذلك درجة الاهتمام الذي يليق بها .

---

(53)- John KISER, Op.Cit, p58

(54)- Ibid, même page

(55)- Du BARAIL, Op.Cit, pp280-284

(56)- John KISER, Op.Cit, p59

و في 02 ديسمبر 1851 ، أي بعد الانقلاب بزمن قليل أين كللت هذه الفترة بالزيارة الثانية للقس دوبوش الى قصر امبواز ، رغم المشاكل الكبيرة التي كان يعاني منها فيصف دوبوش الحالة الصعبة التي وجد عليها الامير عبد القادر فيقول * وجدته يحمل كتابا بين يديه حساسيته زادت مع الوقت ، و لم يعد يتحمل البرد ، و لا ثقل الجو ..* (57).

و قد اخبره دوبوش خلال هذه الزيارة بان نابليون أصبح سيد نفسه ،و يستطيع ان يعمل على تسريحه دون أي معارضة ، و قد اقترح عليه دوبوش للخروج الى حدائق القصر للتنزه و لكنه رفض قائلا* أنت تعرف يا مونسينيور أن الذي ينام بين أسوار الحجر ، محروما من حريته لا تزيده مثل هذه الفجوات إلا قلقا و حزنا ، اكبر عدو للصحة هو فقدان الحرية ، و أنا في هذا المكان افتقدها ،و لهذا عودت نفسي على الصبر و لا أريد ان أعودها على كذبة أخرى ثم أعود من جديد إلى السجن ، أنا احتاج إلى الحرية فقط * (58).

كما اعلمه دوبوش بإتمامه للكتاب حول قضيته و سبق ان أرسله إلى نابليون بونابارت ، كما اخبره بان الرئيس في انتظاره يوم 02 فبراير 1852 (59)، و فيما اذا تمكن من رؤيته سيعمل على التذكير بقضيته أمامه .

و بعدها غادر دوبوش من جديد مخلفا وراءه بصيص من الأمل لدى الامير عبد القادر ،الذي ظل ينتظر ما سيسفر عنه هذا الانقلاب ، و فعلا فقد قرر نابليون إعادة فتح ملف الأمير عبد القادر رغم تحذيرات بعض الجنرالات أمثال سانت أرنو ، و لكن نابليون كان قد اتخذ قراره النهائي لإعادة النظر في قضية الشرف الفرنسي و حرية الأمير عبد القادر ، و من هنا بدا لويس نابليون يفكر باطلاق سراحه و هذا ما سناتي على تحليله في الفصل اللاحق .

(57)– John KISER, Op.Cit, pp59, 60

(58)–واسيني لعرج، المرجع السابق، ص 493

(59)– John KISER, Op.Cit, p 60

III-الدراسات والأعمال الأدبية للأمير عبد القادر في امبواز1848-1852

III-1- الإنتاج الفكري للأمير عبد القادر

III-1- 1- التراث النثري

III-1- 1-1- المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل و الإلحاد.

رغم أن حياة الأمير عبد القادر و رفقائه في معتقل امبواز كانت السنين الأصعب و الأطول، إلا أن هذه الفترة هي الأكثر غنى من ناحية الإنتاج الأدبي، و نظرا لطول فترة الاعتقال فان الأمير عبد القادر كان ملجأه الوحيد الكتابة، و التأمل، و الصلاة، و التدريس، ففي بدايات اعتقاله في قصر امبواز ألف الأمير عبد القادر كتيب ، الذي حاول من خلاله أن يرد على بعض القسيسين أمثال القس بورغاد BORADE و الذي ألف كتابا في الحوار بين العلماء و اللاهوتيين في موضوع القران و الإنجيل بعنوان **أمسيات قرطاجة** [60] الذين تحدثوا فيه عن الغدر و عدم الوفاء الذي يبيحه الإسلام ، عندها أصبح له ميل كبير لإظهار الحق ، و الرد على هذه الشبهات الضالة ضد الإسلام .

ان ***المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل و الإلحاد*** [61]:

يقول الأمير عبد القادر في شرحه لمحتويات هذا الكتيب * عندما طلب مني شرح معتقداتي الإسلامية أجبتهم بأنني لا أصلح تلميذا لعلماء المسلمين ، فضلا أن أكون من جملتهم ، ولكنني سأبذل الجهد و اذكر كلام الله ، وأحاديث رسوله ،و كلام التابعين، و الخلفاء الراشدين ، لأنها أمور مرتب بعضها على بعض ، وسأجعل لها مقدمة و ثلاث أبواب ، تشتمل المقدمة للكلام عن العقل و ما يتعلق به ، و الباب الأول في إثبات الإلوهية ، و فيه ثلاث فصول ، الفصل الأول: النظر في خلق السموات ،و الثاني في خلق الأرض ، و الفصل الثالث في خلق الإنسان، أما الباب الثاني فيشتمل على إثبات النبوة و فيه فصلان : الأول حاجة الإنسان إلى الرسل ، و الثاني تاريخ الرسل عليهم السلام ، والباب الثالث : خصصه للحديث عن الأخلاق الإسلامية منذ عهد ادم عليه السلام من رحمة و عدل و حياء و عفة و تجنب إثارة الفتن ووجوب الشكر لله على نعمه التي لا تعد و لا تحصى ،و التقيد بمكارم الأخلاق، التي تمت بنزول القران على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم * [62]

---

[60] - Bruno ETIENNE, Op.Cit, p264

[61] - رسالة المقراض الحاد هي مخطوطة ألفها الأمير عبد القادر بامبواز بتاريخ 1852، ترجم إلى الفرنسية في مدينة باريس من نفس العام ، تذكر دار الحياة للطباعة و النشر في بيروت بانها عثرت على المخطوطة الأصلية و قامت بطباعتها سنة 1966، تحت رقم 9914، عدد صفحاته 240، من الحجم الصغير. انظر: بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري: حقائق ووثائق، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق، 2000، ص78

[62] - المرجع نفسه، ص 77

إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاث أبواب و كل باب يتفرع إلى فصـــول ، مقدمة و خاتمة ، و أهم فصول الكتيب هو الباب الثالث و الذي حاول من خلاله بطريقة راقية أن يرد على ادعاءات الفرنســـيين بالبيـــان و الـــدلائل القرآنيـــة و الأحاديث النبوية بان الإسلام يوجب الوفاء بالعهد ، و ترك الغدر و النهي عنه.

فكمدخل لهذا الباب تحدث عن ***الوفاء عند المسلمين***، ووضح خلاله لما يوصي به الإسلام من مكارم الأخلاق كالسماحة، و العفو، تجنب مواضع التهم، ، و ترك الأذى، و حفظ الأمانة و العهد و العـــرض، و حســـن الظـــن، و طيـــب المعاشرة، و تجنب الغل و الغدر و الغش و الإيـــــذاء
– كان هذا كرد لما عانى منه في المعتقلات الفرنسية– و ترك ســـوء الظـــن، و غيرها من المكارم التي نصها و حبذها القران الكريم و استدل في كل ذلك بآيات قرآنية و أحاديث نبوية شريفة.
كما تطرق للحديث عن العدل، فيقول: أما العدل فليس له طرفان بزيادة أو نقصان، بل له ضد واحد و هو الجور، و أما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال فـــي الأغراض الفاسدة خبا و خديعة...و أمهات الأخلاق و أصولها أربعة : الحكمـــة ، الشجاعة ، العفة ، العدل ..* [63]
و يواصل قائلا * فكل من جمع هذه الأخلاق استحق أن يكون قدوة حسنة و يرجع إليه الخلق كلهم ، أما من انفك عنها و اتصف بأضدادها استحق غضب الله عليـــه لأنه قرب من الشيطان اللعين ، و لم يبلغ هذه الدرجة من الكمـــال إلا الأنبيـــاء و الرسل عليهم السلام و آخرهم خاتم الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد عليه أفضـــل الصلوات و التسليم لهذا يقول عليه الصلاة والسلام إنما بعثـــت لأتمـــم محاســـن الأخلاق * [64]
و في المطلب الثاني لهذا الباب فعنون ب ***الجهاد في الإسلام ليس هدفه السيطرة و القتل:***
قبل أن نتطرق لما جاء به الأمير عبد القادر في هذا العنوان ارتأينـــا أن نـــدرج عنصر الأمير عبد القادر والقاعدة الفقهية للجهاد .
ان معنى الجهاد لا يتوقف عند الدفاع المسلح عن قضية عادلة ، بل له فلسفته و إبعاده و معانيه مثله مثل باقي العبادات في الإسلام ، و هو يحتل مكانة هامة في النظام الكلي للإسلام ، فإذا نزع الجهاد منه احتل هذا النظام و ضعف و أصبح معرضا للانهيار [65] .

---

[63]– بديعة الحسني ، المرجع السابق، ص ص 129–134

[64]– المرجع نفسه، ص 135

[65]–حامد الجار ، الجهاد: إبعاده الروحية و السياسية و الاجتماعية في حياة الفرد و المجتمع ، الملتقى العاشر للفكر الإسلامي، العدد 28، 1976، ص 02

لقد حددت أهداف الجهاد في القران الكريم و السنة النبوية المطهرة ، و من بين هذه الأهداف : استرداد الأراضي المسلبة و إرجاعها للذين طردوا منها ، و مساعدتهم على إقامة شعائرهم الدينية بحرية تامة كما بين ذلك سبحانه و تعالى في قوله بسم الله الرحمن الرحيم " **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، و لولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع و بيع و صلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا و لينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز** " [66] .
و كذلك مساعدة المضطهدين ووضع حد للاضطهاد حيث قال سبحانه و تعالى " **و ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله و المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، و اجعل لنا من لدنك وليا ، و اجعل لنا من لدنك نصيرا** " [67]

و لقد ورد الجهاد مقرونا بعبارة في سبيل الله و قد فسرت هذه العبارة ب في طاعته او لإعلاء دينه ، و الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم وصف المجاهد بقوله هو : الذي يجاهد لإعلاء كلمة الله و المفهوم من دين الله هو الإسلام و كلمته هي القران .و باختصار ان يجاهد المسلمون لإقامة نظام إسلامي متكامل على هذه الأرض [68] .

و للجهاد مكانة رفيعة و لهدفه السامي ، فان الله سبحانه و تعالى قد ادخر من الأجر و الثواب للمجاهد خاصة ، حيث لا يستطيع أي إنسان أن ينال ذلك الثواب عن طريق آخر غير الجهاد .
و الجهاد مرتبط ارتباطا وثيقا بالعبادات الأخرى فمن غير المعقول أن يهجر المسلم العبادات الأخرى كالصلاة مثلا و أن يكون مجاهدا حقا ، لان الجهاد يتطلب إخلاصا عميقا و متواصلا لله سبحانه و تعالى [69] .

---

[66]–سورة الحج ، الآية 39-40.

[67]–سورة النساء ، الآية 75-76.

[68]–حامد الجار ، المرجع السابق ، ص 03

[69]– الربيع بن حبيب ، الجامع الصحيح ، بيروت ، دار الفتح للطباعة و النشر ، ص 121

بناءا على هذا فان نظرة الأمير عبد القادر للجهاد هي هذه الأفكار فعلا ، فهو يعتبر أن الإسلام كما استوعبه ليس مجرد إيمان، تنتج عنه حياة روحية

مجردة لا تتجاوز ضمير الفرد و ذاته ، بل على العكس من ذلك فالحالة الروحية الناتجة عن الإيمان، هي قوة روحية اجتماعية و حضارية في نفس الوقت ، و هذا يتجلى بوضوح في حياة الأمير عبد القادر كنموذج لعلاقة الروحي بالسياسي ، فالروحانية قامت في وجه الغزو .

على هذا الأساس تكون الروحانية هنا روحانية نوعية لها خصوصياتها إذا ما تمت مقارنتها بأنواع الروحانيات الأخرى التي تتيه في العالم المجرد على حساب الواقع ، فليس هناك استقطاب للروحانية في علاقة الإنسان بالله ، و في هذا السياق تبرز شخصية الأمير عبد القادر العلمية و الجهادية معا .

إذن إن العبادة تشمل كل عمل بوجه الله ، و هو ذلك العمل الذي يصبح نتيجة لارتباطه بالله ، يصبح عملا في سبيل الإنسان ، و هذا هو الجهاد كما استوعبه و مارسه الأمير عبد القادر [70]بحيث يقول :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت انكآ في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب

من هذا المنطلق عبر الأمير عبد القادر عن هذه الأفكار في هذا الكتاب فيقول * انه لا يجوز القتال لأجل اخذ أموال العدو ،و لا يجب القتال غضبا و غيضا على العدو لان هذه نقائص و خسائس يتنزه عنها الدين الإسلامي ، و إنما المقصود بالجهاد هو دفع الضرر عن الأمم و رفع كلمة الإسلام .
كما يواصل الحديث عن النصوص القانية التي تطالب بالوفاء بالعهود بالاستناد إلى قوله تعالى* **يا أيها الذين امنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد و انتم حرم إن الله يحكم ما يريد** *[71] .

و خلال عرضه و تحليله لهذه المفاهيم استعان بقصة من كتاب لمحمد ابـــن عبد الجليل التينسي [72]، و هو در العقيان في بيان شرف بنو زيان ، هذه القصة كانت مرفقة بقائمة من الحكم التي تنص على الوفاء بالعهود و الغدر .

---

[70]–محمد عبد اللاوي ، الروحانية والسياسة عند الأمير عبد القادر ، ملتقى 26-27، الجزائر ، ص 05

[71]– سورة المائدة ، الآية 01

[72]– Henri PERES, La vie d'étude et de méditation d'Abdelkader au château d'Amboise 1848-1852, La littérature arabe et l'islam par les textes du XIX siècle, C.R, PARIS, 1955, p341

إن كتابة الأمير عبد القادر للمقراض الحاد يولي اهتماما لقضية السببية ، و يورد في الحديث موردا من أقوال السلف المثبتة ، أمثال رأي الشيخ أبي حمزة في شرح البخاري ، و رأي الغزالي[73]

و بالتالي فان موضوعات هذا الكتاب تصب في فصليها الأولين حـــول الكلام عن العقل و ما يتعلق به ، إثبات الألوهية ، و النظر في خلـــق الإنســـان و الوصول إلى إثبات رسالة دين الإسلام ، على الخصوص[74]. و ختم في آخر هذا الكتيب بقصائد شعرية لامرئ ألقيس التي تصب في نفس الموضوع .

إن النظرة السريعة إلى هذا الكتاب تعطي فكرة عن المجهود الذي بذلـــه الأمير عبد القادر كمؤلف له، فقد اعتمد على أسلوب راقي وعلمي مبسط ، فهـــو يكتب و يخطب بسرعة مذهلة و بقدرة نادرة مســـتندا علـــى الأدلـــة الصـــادقة المستوحاة من القران الكريم .

كما لا يفوتنا هنا بان ننوه إلى أن هذا الكتاب يمثـــل عصـــارة فكـــره و حصيلة تجاربه خصوصا منها تجربة الغدر و الخيانة التـــي تعـــرض لهـــا بعـــد الشروط التي تمت الموافقة عليها لوقف القتال ، و معاناته من عدم الوفاء بالعهـــد مدة 05 سنوات من اعتقاله في الأراضي الفرنسية .

فهذه الرسالة التي وجهها الأمير عبد القادر من ســـجنه عـــام 1852 ، للقساوسة الفرنسيين خصوصا و المسيحيين عموما ، اعتمد فيها الأمير عبد القادر كل أسس و مبادئ القران الكريم و حسب اعتقادي فانه نجح إلى حد كبير لأنـــه استطاع أن يجعل الفرنسيون يهتمون به و يقرؤونه و حتى يترجمونه ، و لا عجب من ذلك لأنه في واقع الأمر يناقض تماما أفكارهم و اعتقاداتهم عن الإســـلام ، و عن كيفية الوفاء بالعهد الذي لم يطبقوه أثناء خديعة الأمير عبد القادر .

---

(73)– عشراتي سليمان ، الأمير عبد القادر المفكر ،ط2، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2004، ص ص 37،38

(74)– للتعرف على كل هذه الفصول و ما جاء فيها العودة الى : الأمير عبد القادر الجزائري، المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل و الإلحاد، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1966.

و هكذا فان هذا الكتاب يحمل في صفحاته أسس لحضارة إسلامية راقيـــة تختلف عن حضارتهم كثيرا، و لولا ان فرنسا كانت تعلم فعلا بقوة الثقافة العربية

و الإسلامية ، وتخوفت منها لما هاجمت منذ الوهلة الأولى منذ الاحتلال بالقضاء على المساجد من اجل القضاء على الهوية العربية و الإسلامية ، و لمـــا منعـــت التعليم عن الجزائريين من اجل القضاء على الثقافة العربية لأنها كانت ترى فيهـــا عدو حقيقي لها ، كما أنها منعت عن الأمير عبد القادر ان يـــتعلم الفرنســـية ، و حرمته من الكتب و قد كانت دائما ترى في أطفال الأمير الذين يدرســـهم كعـــدو حقيقي لها في المستقبل .

و لا بد من معرفة أن غرض الأمير عبد القادر من كتابة هذه الرسالة هو شعوره العميق بضرورة الدفاع عن تشويه الفرنسيين للإسلام ، و لتعـــريفهم بمـــا ينص عليه الدين الإسلامي من وفاء للعهود و العدل، و المساواة ، و هذا ما يفتقد له المجتمع الفرنسي على الخصوص رغم مبادئ الثورة الفرنسية .

III-1-1- 2-رسالة ذكرى العاقل و تنبيه الغافل

إن هذا العمل تختلف حوله الآراء، فهناك من يقول بتأليف الأمير عبد القادر له في امبواز [75] وهناك من يرجع فترة تأليف الكتاب إلى بروسة 1853- 1855 [76] و لكن الرأي المرجح هو أن هذا الكتاب بدأت كتابته في امبواز و انتهى تأليفه في بروسة .

و هنا عمل الأمير عبد القادر على منهجية البحث عن الحقيقة ، بالحديث عن مبدأ معرفة الرجال بالحق لا معرفة الحق بالرجال، و هي نموذج للمستوى العلمي أواخر القرن 19م.

إن هذه الرسالة قد كتبها الأمير عبد القادر في امبواز ، و بحضور بواسوني ، و هي تحمل مواضيع متنوعة في الاقتصاد ، السياسة ، الدين، التاريخ و الانثروبولوجيا .

[75]- من بين من اعتمدنا عليهم في نسب هذا الكتاب الى امبواز نجد : جون كيزر ، وواسيني لعرج

[76]-،أما الذين يرجعون تأليفه إلى بروسة نجد فتحي دردار في كتابه : الأمير عبد القادر الجزائري: بطل المقاومة الجزائرية 1832-1847، الجزائر، 2001، ص113

يتحدث في الباب الأول منه في العلم و الجهل و عرفنا بان على العاقل أن ينظر في القول و لا ينظر إلى قائله ، فان كان القول حقا قبله سواء كان قائله معروفا

بالحق أو بالباطل ، فالعاقل يعرف الرجال بالحق و لا يعرف الحق بالرجال ، فهذا المبدأ استعمله الغزالي في حديثه عن نظرية المنهجية العلمية الموصلة إلى الحق بكتاب * المنقذ في الضلال *و في كثير من كتبه مثل * ميزان العمل * و * معيار العلم* و قد اخذ الغزالي هذا المبدأ عن سيدنا علي كرم الله وجهه بقوله* لا تعرف الحق بالرجال و إنما اعرف الحق تعرف أهله*[77]

كما عرف في هذا الباب العقل، و اعتبره منبع العلم و أساسه و مطلعه، فقوة العقل هي القوى الأربع التي إذا اعتدلت في الإنسان يكون إنسانا كاملا و هي قوة العقل، و قوة الشجاعة، و قوة العفة و قوة العدل[78].

كما يتحدث في هذه الرسالة عن ألد أمراض الأديان الثلاثة: و هي عدم معرفة الله، و يعتبر أن المسلم الحقيقي من قدم إلى الله و تيقن بالقضاء و القـــدر [79]، و قد أشاد بأهمية العلم و اكتساب المعرفة.

و تحدث عن السياسة ، و الدين و العلم ، فيقول أن هذه النقاط الـــثلاث ينبغي أن تعمل معا ، لتحقيق الغاية نفسها و هي تمجيد الله ، فالسياسة هـــي فـــن قيادة الناس إلى العيش معا في وئام ، أما الدين فيوفر الأســـاس الأخلاقـــي للقـــيم المشتركة و يساعد في العيش المشترك ، و هو يقود النـــاس إلـــى فهـــم الوحـــدة الأساسية للبشرية [80]بمعنى المعرفة و العلم .

فضلا عن ذلك فقد أشاد بفضل الكتابة و التي اعتبرها عنصر مهم فـــي حياة الأمم فهي اشرف و انفع من الإشارة و اللفظ، و لولا الكتابة لما استقام للناس دين ولا دنيا [81].

---

[77]- واسيني لعرج ، المرجع السابق، ص ص 474 ،475

[78]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[79]- John KISER, Op.Cit, p49

[80]- Ibid, même page

[81]- واسيني لعرج ، المرجع السابق، ص475

إن هذه الرسالة تعبر عن سعة ثقافة الأمير عبد القادر و موقفه مـــن الحضـــارة الغربية ، و تعبر عن حركة فكرية واسعة قام بها رغم اعتقاله في قصر امبواز . كما تظهر هذه الحركة الفكرية أيضا **في مراسلاته** مع الأسقف دوبوش ، و التي سبق و أن تحدثنا عنها في الفصول السابق.

و كذلك **الأجوبة التي كان يقدمها عن الأسئلة المطروحـــة عليـــه مـــن دوماس** و الذي طرح مجموعة من الأسئلة على الأمير عبد القادر ، نتيجـــة لمـــا شاهده في المجتمع الجزائري من عادات لا تشبه عـــادات الفرنســـيين، و كانـــت الإجابات التي قدمها له الأمير عبد القادر واضحة عبر خلالهـــا عـــن المفـــاهيم الخاطئة التي كان يتصورها الفرنسيون و الأوروبيون عامة عن عادات العرب و المسلمين و تقاليدهم في الزواج و الطلاق ، و الميراث ، و مقارنة حال المـــرأة العربية بالأوروبية ، إلى جانب أجوبته عن أسئلة دومـــاس بخصـــوص الخيـــول العربية ، بحيث أن هذا الكتاب لمؤلفه دوماس عن الخيول العربية يتألف ثلثه مـــن ملاحظات و مذكرات الأمير عبد القادر [82].

III-1-1-3- مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري

إن هذا الكتاب هو عبارة عن سيرة ذاتية كتبها الأمير عبد القـــادر فـــي امبواز 1849 ، و قد اختلفت الآراء حوله أيضا فهناك من يقول بان هذه الســـيرة هي من إملاء الأمير عبد القادر و دونها مصطفى بن تهامي ، و علـــى العكـــس البعض الآخر يرجع هذه السيرة إلى أنها كتبت بالاشتراك مع مصطفى بن تهامي أي أن الأمير عبد القادر كتب جزءا منها ، و مصطفى بن تهامي كتـــب الجـــزء الآخر

و حسب رأي المتواضع إن المهم هنا ليس من كتب هذه السيرة و إنما المهم هو **ما أهميتها، و ما مدى استفادة الباحث منها ؟**

ان هذا الكتاب على ما هو عليه يمثل عملين منفصلين ، الأول منهـــا يمثل السيرة الذاتية و العائلية و التاريخية لحياة الأمير عبد القادر ، و العمل الثاني يمثل معلومات عامة عن تاريخ الأنبياء و الرســـل و العـــرب و البيـــزنطيين و أخلاق هؤلاء و أولئك [83].

---

[82] – Bruno ETIENNE, Op.Cit, p495

[83] – عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 02

و فعلا فكما أكد الدكتور أبو القاسم سعد الله بان مخطوط الأمير عبد القادر حول هذه السيرة لا يحتوي على عنوانا و اسم المؤلف، كذلك فقد اطلعت شخصيا على هذا المخطوط [84]. و لا يحوي أي عنوان أو اسم للكاتب ،و لكن النتيجـــة التي يصل إليها أن الكتاب اشتراك بين الشخصيتين ، أي مصطفى بن تهامي ، و الأمير عبد القادر .

و تعد هذه السيرة بحق و التي جمعت معلومات هامة عـــن حياتـــه ، و تعليمه، أسرته، و بيئته، عقائده، حروبه و خصومه و أصدقائه، و آراء النـــاس و الحياة ، و كذا معاناته في السجون الفرنسية، و كذا غدره و خيانته، وغيرهـــا ، و لذلك تعتبر هذه السيرة من أهم التحف لأنه نسخة فريدة و لها صـــفات خاصـــة و تاريخ خاص .لان كل جملة تاريخية في هذه السيرة لها قيمتها الخاصة خصوصـــا أنها مكتوبة بأيدي شهود عيان .

و إن الحكمة من كتابة هذه السيرة يمكن إجمالها و إرجاعها إلـــى ثـــلاث قضـــايا جوهرية:[85].

1- إثبات الرسالة المحمدية و بيان احتوائها لجميع الرسائل السماوية بما في ذلك المسيحية ،و
بذلك رسم آفاق جديـــدة لإمكانيـــة التفـــاهم بـــين المســـلمين و المسيحيين .

2- الدفاع عن الحضارة العربية الإسلامية ،و إبراز أصالتها التاريخيـــة و اجتماعها في حضارة الروم مع سيدنا إبراهيم .

3- عدالة قضيته المتمثلة في المطالبة بتنفيذ الاتفاقية التي ابرمها مع ابـــن ملك فرنسا لنقله إلى
المشرق .

و يجدر الإشارة إلى أن أسلوب الكتابة يمتاز بالبساطة ، و الصدق و الأمانة . كما أن هذا المصدر يشتمل على عبارات محلية ، إضافة إلى بعض الكلمات التي قد لا تفهم من طرف القارئ المتوسط الثقافة إلا باطلاع سابق. و قد برز فيها مظاهر التقارب و المودة بين الإسلام و المسيحية ما يدل على تفتحه الثقافي المبكر.

---

[84]-إن هذا المخطوط اهدي إلي من طرف احد الأساتذة الأعزاء و هو متوفر عندي.

[85]-عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق، ص 13

III-1- 2- التراث الشعري

لقد تعامل الأمير عبد القادر بالشعر مع غيره مثلما تعامل به مع نفســـه، حيث ربط قصائده بعروبته وأجداده الأوائل، ولذلك فكثيرا ما كان يردد في غيـــر موقف:

إذا جهلت مكانا الشعر في شرف فأي مفخرة أبقيت للعرب

ورغم أن فن الشعر عرف عجزا ، عجز المرحلة السياسية والعسكرية والاجتماعية التي عايشها إلا انه استطاع أن يتعامل به ، و ما يدعم أغراض الشعر عند الأمير عبد القادر و يجعلها مقبولة من الناحية الفنية و الأخلاقية ارتكازهما على نقطتين أساسيتين:

طبيعته الفروسية وثقافته الإسلامية ، هذه الدوافع جعلت من الأمير عبد القادر أن يكون شاعرا، بقدر ما أتاح له تكوينه الثقافي ،و محيطه الفكري، فاستطاع أن يطابق بين موقفين: المجاهد و الشاعر[86].

و من بين أهم الأسباب التي ساهمت في استثارة الجانب الأدبي عند الأمير عبد القادر هو الحدث الأكبر الذي تعرضت له الجزائر ، و هو الاستعمار الفرنسي ، فقد تمكن أن يجسد آمال شعبه في شعره فسخره لقضية بلاده،و تمكن من أن يلج كل الفنون الشعرية المعروفة في عهده ، كالفخر ، و المدح، و الغزل ، و الوصف، ...الخ

وقد وصف زكريا صيام شعر الأمير عبد القادر بقوله *انه استطاع من خلاله أن يجمع بين الأصالة والتجديد بما توفر لديه من ثروة هائلة لغوية ،مكنته من اختيار اللفظ القوي للنهوض بالمعنى أضف إلى ذلك سعة افقه الفني، و التاريخي،و الديني ،و الاجتماعي ،أتاحت له تجربة رائدة جعلته يقف في طليعة شعراء عصره *[87].

ولم يتوقف الأمير عبد القادر عن كتابة الشعر حتى بعدما اعتقل في فرنسا،و قد نشرت العديد من القصائد الشعرية التي نظمها في هذا المجال .

---

[86]- صالح خرفي ، في ذكرى الأمير عبد القادر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1984 ، ص 31

[87]-زكريا صيام ، الأصالة و التجديد في شعر الأمير عبد القادر ،مجلة الثقافة الجزائرية ،عدد خاص ، رقم75 ، 1983 ، ص 295

فهذه القصيدة مثلا نظمها بعد نقله من معتقل بو إلى امبواز و أهداها إلى زوجته أم البنين[88] :

أقول لمحبوب تخلف من بعدي عليلا بأوجاع الفراق و بالبعد
أما أنت حقا لو رأيت صبابتي لهان عليك الأمر من شدة الوجد
و قلت أرى المسكين عذبه النوى وانحله حقا إلى منتهى الحد
حنيني أنيني زفرتي ومضـــــرتي دموعي خضوعي قد أبان الذي عندي

كما نظم هذه القصيدة التي سوف نقدم مقتطفا منها في قصر امبواز بعدما وصلته رسالة من عائلته يقول فيها :

خليلي وافت منكم ذات خلخال تتيه على شمس الظهيرة بالخال[89].
تميس فتزري بالغصون تمايلا تروح وتغدو في برود من الخال[90].

ويواصل قائلا:

و أفرشتها خدي و قلت لها طئي فلا تحسبي خدي عليك بذي خال [91].
و لما تطارحنا الأحاديث بيننا و أحلى تلاقي الخل بالمنزل الخالي[92].

كذلك حين أطلق سراح كاتبه قدور بن رويلة من الأسر و توجه إلى الحجاز، نظم الأمير عبد القادر هذه القصيدة مهنئا فيها وصوله إلى المدينة المنورة قال :

أخي نلت الذي كنت تطلبه وفزت دوني بما ترجو وترغبه
و ساعدتك الليالي لا شقيت فدم قرير عين[93] بوصل ليس تسلبه
قد طاب بطيبة الغرا مقامكم جوار محبوبنا من كنت ترقبه [94].

---

[88]- بديعة الحسني ، المرجع السابق ، ص 307

[89]-الخال – الشامة

[90]-الخال –البرد

[91]-الخال- البخل

[92]-الخالي - الفارغ

[93]- ما قرت به العين و استحسنته يقال: اقر الله عينه أي أراها ما تحب و ما كانت مشتاقة إليه.

[94]-وهي مدينة الرسول صلى الله علبيه وسلم.

انظر: محمد الصالح رمضان ومحمد الأخضر ألسائحي، نزهة الخاطر في قريض عبد القادر ، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1999، ص 57

و قد جاء جواب بن رويلة له قائلا:

بابي و أمي أفتديك من الردى و بأحمد وأخته أتقرب[95].
واحسرتي ولضيعتي ولخيبتي إن لم أكن بفدائكم أتلقب
و حياتكم فلأنني بفراقكم لعلى لظى و جمارها أتقلب
[96].

كما كان الأمير عبد القادر دائما في حالات اعتقاله و عذابه في المعتقلات الفرنسية يلجا إلى التوسل إلى الله و حبيب الحق للتخفيف عليه كربته و من ذلك قوله في هذه الأبيات:

ماذا على ساداتنا أهل الوفا لو أرسلوا طيف الزيارة في خفا
يترصد الرقباء حتى يغفلوا و يكون مانع وصلنا ليلا غفا
فإذا تمكنت الزيارة خفية يأتي مواعد وصلنا متلطفا
و يكون قبل حلوله أفرشته خدي وطاء للنعال و للحفا [97].

و يقول في مضمار آخر :

يا سيدي يا رسول الله ياسندي و يا رجائي و يا حصني و يا مددي
و يا ذخيرة فقري يا عياذي يا غوثي و يا عدتي للخطب و النكد
ا علم عندي ارجيه و لا عمل أمام نجواي من هدي و من رشد

و في جانب آخر كتب قصيدة بعدما بعث إليه بعض أمراء الفرنساويين، و هو بفرنسا انه قد وقع بينهم اختلاف هل الحضر أفضل أم البدو؟ فطالبوا بتحكيمه على هذه النقطة فقال :

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر و عاذل لمحب البدو و القفـــــــر
لا تذممن بيوتا خف محملـــــها و تمدحن بيوت الطين و الحجـــــر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني لكن جهلت و كم في الجهل من ضرر
أو كنت في الصحراء مـــــرتقيا بساط رمل به الحصباء كالـــــدرر
وجلت في روضة قد راق منظرها بكل لون جميل شيــق عطر
تستنشقن نسيما طاب منتشقا يزيد في الروح لا يســري على قــذر [98].

---

(95) –يفدي الأمير من الردى و الهلاك بوالديه و أولاده تقربا إليه و إلى الله تعالى.

(96)– اللظى : و هي النار أو لهبها.

(97)– للنعال و ألحفا يعني المنتعلين بالأحذية و للحفاة الذين لا نعال لهم يعني يفرش لهم خده ليطئوه و يمشوا عليه و هو نهاية التذلل و الخضوع.للتعرف على شعر الامير عبد القادر كاملا انظر:

الأمير عبد القادر ، الديوان، تحقيق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964 .

(98)–محمد الصالح رمضان ومحمد الأخضر ألسائحي، المرجع السابق، ص 65

كما عبر الأمير عبد القادر عن حزنه بالشعر لفراق إخوته الذين تقرر إرسالهم إلى سانت مرغريت فنظم قصيدة حزينة جاء في بعض سطورها :

يا سواد العين يا روح الجسد يا ربيع القلب يا نعم السند
كنت لي قرة عين و بها هاما قلبي لا بمال وولد
فرمى الدهر بعيني أسهما مذ نأيتم لا أرى فيها احد
أيروق الطرف شيء بعدكم لا ورب البيت في هزل وجد

و يواصل قائلا :

كم أنادي حين يبدو صبحه يا سعيد هل خيال لي يرد
فترد الروح للجسم و يا مصطفى هل من دوى للكمد
شاقني حب لأحمد شاقني ما لحكم الله في القلب مرد
هل يجود الدهر من بعد النوى باقتراب يحي ميتا لم يعد
فإذا لي تم مـــا أمـــــــلته عاد إنساني و روحي للجسد

كما نظم عدة قصائد مطولة عن نقله من طولون إلى بو جاء فيها :

من طولون سرنا في قباب ثمان مثل أبعاد الجواهر
إلى فلك على ماء و نار و جمع الضد يبهت النواظر
سرينا ليلة و اليوم كلا ليست و ما بها سوء لماكر
حططنا الرحل في واد عظيم بحافتيه رياض زواهر
و يرمز بالصراحة لاقتراب من التسريح والإله قادر [99].

كما نظم قصيدة أخرى تحدث فيها عن مدينة طولون و التي كانت كأول معتقل له بعدما خدعته فرنسا و اختطفته ، ووجد نفسه وعائلته معتقلا في الأراضي الفرنسية .

و بالتالي فما ذكر هنا ليس كل ما ألفه الأمير عبد القادر من تراث شعري ،و إنما ذكرنا هذه الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر و سنأتي على ذكر البعض من مساجلاته الشعرية مع الشاذلي القسنطيني .

[99]- عبد القادر ، المذكرات ، المرجع السابق، ص 143،144

III-1- 2-1- مهمة الشاذلي القسنطيني إلى قصر امبواز :

ظل الأمير عبد القادر يكتب الشعر طيلة فترة اعتقاله ، وقد خلف مساجلات شعرية قيمة مع شخصية بارزة هو الشاذلي القسنطيني [100].

إن الصلة بين الشخصيتين غير واضحة ، و لا تتوفر أي معلومات عن سابق تعارف بينهما فحسب البحث الذي قمنا به ،لم نعثر على أي دراسة أو حديث عن ذلك سوى أن الشاذلي القسنطيني كان متذمرا من وجوده في قسنطينة ،و لطالما رغب في الهجرة إلى المشرق ، و عن سبب وجوده في امبواز، ترجعه المصادر الفرنسية إلى رغبة الحكومة في إيجاد من يجالس الأمير عبد القادر و يؤانسه أثناء نقله إلى امبواز،و يخرجه من حالة الحزن التي خيمت عليه ، فوقع الاختيار على الشاذلي القسنطيني .لكن الحقيقة حول وجود هذه الشخصية إلى جانب الأمير عبد القادر بمعنى المهمة الخفية للشاذلي القسنطيني في قصر امبواز غير معلومة و هذا ما يقودنا إلى طرح إشكالية :

سبب اختيار الشاذلي القسنطيني بالذات أي لماذا اختير دون غيره رغم وجود علماء و أدباء آخرين معاصرين للأمير عبد القادر أمثال حميدة العمالي مفتي العاصمة و المتوفى سنة 1293ه كما نجد حسن ابريهمات و الذي ألف كتاب المرصاد في علم الاقتصاد ، نجد أيضا الشيخ علي بن الحفاف مفتي العاصمة و المتوفى سنة 1307ه ، نجد أيضا الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي المتوفى سنة 1325ه و أخيرا الشيخ سليمان باشا الباروني و الشيخ عبد الرحمن المجاوي ؟ و هل الأمير عبد القادر كان يعرف الشاذلي قبل هذا ؟

(100)- إن الشاذلي القسنطيني كان معروفا عند الناس بسي الشاذلي ، كان شخصية ذات جوانب متعددة ، ولد سنة 1807، في قسنطينة و مات في طولقة قرب بسكرة سنة 1877 ، جذوره العائلية من طولقة ، انتقلوا إلى قسنطينة و امتلكوا الأراضي و مارسوا العلم و عند إحداق الخطر الفرنسي سنة 1836، اتجهوا الى نواحي سطيف التي كانت ما تزال بعيدة عن ايدي الفرنسيين .
عمل كقاض ثم كرئيس للمكتب العربي بقسنطينة بعد توصيات بواسوني سنة 1844 ، زار فرنسا مرتين الأولى سنة 1844 ، و الثانية سنة 1847 ، أين بقي عدة أشهر في باريس ، زار خلالها المؤسسات التعليمية و الفنية و التشريعية ، و قد كان متذمرا من وجوده بقسنطينة لذلك كان يلح على أصدقائه الفرنسيين و منهم بواسوني لمساعدته إلى الهجرة إلى المشرق . حصل على وسام شرفي سنة 1847، قدمه له لويس فليب ، و في سنة 1850، تكلف بشؤون المدرسة لسيدي الكتاني و ظل معنيا بها الى غاية وفاته .انظر : أبو القاسم الحفناوي ، تاريخ الخلف برجال السلف، شركة دار الأمة، الجزائر، 1906 ، ج2، ص 386 ،لمزيد من التفاصيل انظر: Félix MORNAND ,Op.Cit, pp313-316
FAUCON, Op.Cit, pp516, 517
CH .Saint CALBRE, Constantine et quelque auteur arabe constantinois, Revue Africaine, T57, 1er trimestre, 1913, pp76-95

أمام هذه الإشكاليات علينا أن نتعرف أولا على الرسالة التي أرسلها الشاذلي القسنطيني إلى الدوق دومال لتهنئته بالنجاح ضد الأمير عبد القادر جاء فيها[101].

*الحمد لله وحده ، لا شريك له جل جلاله ، وتقدس كماله :
إلى الحضرة العلية الرفيعة السنية، حضرة مولانا الأكرم الأعز الأفخم الأمجد، الارشد، الأسعد، من أضاءت بوارق الخير، و النعم الوافرة ببركته في كل البلاد ، و تظلل بهنا ولايته كل العباد و عم الخير كل الناس ،و زال عنهم اليأس، و فرحت العامة غاية الفرح، و انتفى عنهم الترح ، فشكروا الله وحمدوه وافر الشكر و الحمد ، بما نالوه من الطلعة السعيدة ،و حصلوه من المجد ، سيدنا و ابن سيدنا المعظم الأرفع السيد دوق دومال ،ابن سيدنا سلطان فرنسة ،أعزكم الله وأيدكم، و أنالكم ما تريدون ،و أسعدكم، و جعل هذا العام عليكم و على كافة أقاربكم ،و أهلكم ،و سائر من تعلق بكم مباركا سعيدا بمنه و كرمه آمين .

و بعد ، فاعلم سيدي انه بلغنا دخول الحاج عبد القادر ليد دولتكم و انه أضحى ذليلا تحت طاعتكم، و استراحت من شروره البلاد و اطمأنت من الضير المتعاطي للسعي فيه نفوس العباد ،
و خمدت نار الفتنة ، و زال من الوطن عن العامة ماجرا عليهم من المحن ،فعملنا و جزمنا بان هذا من بركة طلعتكم ،و حسن سريرتكم مع رعيتكم،و إنكم تنظرون إليهم بعين الشفقة و الحنانة ، و لا ترضوا لهم إلا إلهنا و العافية ، فلذا جعل الله الأمر مبدأه و منتهاه على يدكم ،و خصوصا انه قضى الأمر بلا فتنة ،و لا تعب و لا محنة ،و كان سبب فشله و دخول النقض و الهزيمة عليه بأخذ زمالته على يد حضرتكم ،فالحمد لله على نيل إلهنا و المنا من غير عنا أدام الله سعدكم و ظفركم و خلد عليكم ملككم و عزكم بمنه آمين *
و السلام عليكم جميعا من المتعلق بأذيالكم محمد الشاذلي
قاضي البيرو
في قسنطينة

(101)– يذكر أبو القاسم سعد الله ان هذه الرسالة عثر عليها في أرشيف أيكس بروفانس تحت رقم 31MI-16 و هي بدون تاريخ انظر : أبو القاسم سعد الله ، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني : دراسة و نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 89، 90

نحن لا نعلم ما مدى مصداقية هذه الرسالة ،لأننا لا نملكها شخصيا ،لكن في حال ما إذا كانت هذه الرسالة صحيحة ،فإننا نستنتج الموقف الحقيقي للشاذلي القسنطيني من المقاومة الشعبية و من الأمير عبد القادر في حد ذاته .

إن المتبصر لهذه الرسالة يجد فيها الكثير من الدلائل: أولا فهو لا يذكر عبد القادر بالأمير و إنما ينعته بالحاج و قد لاحظنا هذا التشابه في الألقاب بين الفرنسيين ،و الناصري السلاوي و الشاذلي القسنطيني ، و هذا معناه عدم الاعتراف ببيعة الأمير عبد القادر . هذا أولا: أما من جهة أخرى فهو ينعت المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر بأنها فتنة ، و هي نفس نظرة الفرنسيين و التي ينعتونها بالتمرد ، أيضا فانه يقول إن البلاد استراحت من شروره و هذا أيضا ما لمسناه في نظرة السلاوي عندما اعتبر الأمير عبد القادر بالمخرب .

و في آخر الرسالة نلمس النظرة الغريبة للشاذلي القسنطيني ، الذي يعتبر أن وجود الفرنسيين بالجزائر جلب الحنانة و الرفق و الهناء للجزائريين ، هذه النظرة هي نظرة غربية و مساندة لفكرة جلب الفرنسيين للحضارة – و قد تناسى بذلك المجازر و المحارق و الإبادات الجماعية المتكررة ، و القضاء على الهوية الوطنية و غيرها مما لا يسعنا هنا ذكرها جميعا .

أمام هذه الأفكار تطرح علامة استفهام كبيرة عن موقف الشاذلي القسنطيني من المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر ؟ و باعتباره أديب و شاعر و مثقف كيف أمكنه صياغة هذه الأفكار و التعابير حول الأمير عبد القادر ،مع انه يعلم جيدا انه أول من غرس بذور المقاومة ضد انتهاك الحقوق ،و الأملاك و الوطن ،بانتهاجه لمقاومة شعبية دامت 15 سنة ، و التي شارك فيها أغلبية الشعب الجزائري , و التي قطفت ثمارها في 1962 .؟

و مهما يكن من أمر فإننا وبالاعتماد على هذه الرسالة و على المصادر الفرنسية فإنها تذكر أن وصول الشاذلي إلى امبواز بأمر من الحكومة هو نزولا عند رغبتها ، في تعاونه ليس كرفيق للأمير و لمؤانسته على ما يبدوا– و هذا الظاهر – و لكن في الحقيقة هو رغبتها ليقوم بما قام سابقيه أمثال دوماس و بيجو و بواسوني من اجل متابعة سياسة الإغراءات ليس عن طريق الإقامة ،و لكن عن طريق التعريف بالحضارة الفرنسية ،و نظمهم السياسية و الاجتماعية الجديرة بكل احترام .

كما حاول أن يبرر عدم وفاء فرنسا بتعهداتها اتجاهه نتيجة المشاكل السياسية الداخلية بفرنسا و التي كان الأمير عبد القادر ضحيتها [102].

وتنفيذا لهذه المهمة وصل الشاذلي إلى قصر امبواز في شتاء 1849-1850[103] و بالضبط في أكتوبر 1849. و هكذا فان مهمة الشاذلي نحو الأمير عبد القادر هي مهمة سياسية و ليست إنسانية [104] .

و بعد أن وصل أقام فترة في باريس و منها توجه إلى قصر امبواز لأداء مهمته ، و قد توطدت العلاقات بين الشخصيتين، و تعددت بينهما الزيارات،و المساجلات الشعرية،و مآدب الأكل و غيرها [105].

و رغم هذه الأفكار التي صغناها عن زيارة الشاذلي القسنطيني إلى الأمير عبد القادر، و مهمته إلا انه لا يسعنا الحكم عليه ، لأننا في واقع الأمر لا نملك الدليل القاطع و البراهين الكافية ، للتأكيد على أقوالنا ، لان في التاريخ إسرار كثيرة ما تزال تحتاج للكثير من الجهد ، و قد تتواصل الأبحاث مستقبلا في هذه الإشكالية و سنصل إلى ما قد ينقض أو يعدل أو يؤكد هذه الإشكالية .

و ما تم طرحه حتى الآن هو إشكالية و بناءا عليها تم الوصول إلى هذه المواقف ، و ما يهمنا في هذا الإطار، هو ذكر لبعض المساجلات الشعرية بين الشخصيتين في هذه الفترة من الدراسة قيد الانجاز .

و على اثر وصوله ، رحب الأمير عبد القادر به ترحيبا خاصا ، فقد نظم فيه قصيدة شعرية مليئة بالسجع البديع و هي من البحر الكامل فيقول فيها [106]:

أهلا و سهلا بالحبيب القادم هذا النهار لدي خير مواسم
جاء السرور مصاحبا لقدومه و انزاح ما قد كان قبل ملازمي
أفديك بالنفس النفيسة زائرا من غير ما من و لست بنادم
طالت مساءلتي الركاب تشوقا لجمال رؤية وجهك المتعاظم
لا غرو أن أحببتكم من قبل ما شاهدتكم انتم جمال العالم
كانت على سمعي تغار نواظري حتى رايتك أنت أنت مكالمي

من خلال هذه القصيدة نستشف اعتراف الأمير عبد القادر بأنه لم يكن يعرف الشاذلي شخصيا إلا ما كان يسمعه عنه ، و كان دائما يتشوق لرؤيته .

(102)- Henri PERES, Op.Cit, p338

(103)- Ibid, p337

(104)- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 58

(105)- Henri PERES, Op.Cit, même page

(106)-محمد الصالح رمضان ومحمد الأخضر ألسائحي، المرجع السابق، ص 74

ونفس الشعور كان متبادلا مع الشاذلي الذي قال[107]:

و كان مرادي أن ألاقيكم على بساط عزيز الملك و الحرب في نشب
و ما كان في ظني أرى سيدي كما رأيت إلا لله ما تصنع النوب

و قد كان الشاذلي القسنطيني وحيدا في امبواز بعدما مرض مرضا شديدا بدون عائلته أو زوجته و كان عمره آنذاك لا يتجاوز 42 سنة ، فكتب للأمير شعرا جاء فيه[108]:

مرضت غريبا بين قوم أعزة فكلهم عن زورتي متمنع
إذا كنت مصحوب السلامة اقبلوا و إن كنت في سق فربعك بلقع

فرد عليه الأمير قائلا :

و لست غريبا بين قوم أحبة مكانك فيهم من بني الدهر ارفع

كما كان الشاذلي يكتب الى الأمير بالشعر يطلب فيه المسامرة يقول في إحداها [109]:

أيا سيدا فاق الكرام بمجده و خلق كريم لم يزل طيب النشر
تراه يريح الهم حسن حديثه و يبرئ مكلوم الفؤاد من الضر
إلا سمر منكم بذا الليل عندنا فألفاظكم أشهى إلي من القطر

فأجابه الأمير عبد القادر قائلا[110]:

نعم و لكم فضل باشرف دعوة غدوت بها يا صاح منشرح الصدر
و قد قيل لا يأبى الكرامة غير من له عرق لؤم لم يزل في الحنا يسري
لمجلسكم أعلى الكرامة عندنا و لفظكم أشهى إلينا من الـــــدر

---

[107]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 60

[108]-المرجع نفسه، ص 59

[109]-محمد الصالح رمضان ومحمد الأخضر ألسائحي، المرجع السابق، ص 77

[110]-المرجع نفسه، ص78

و أثناء مرض الشاذلي كتب الأمير قصيدة فيه يدعو له فيها بالشفاء فيقول :

خليلي قل لي كيف أمسيت إنني تحملت حزنا منك يعي له رضوى [111]
لقد مرضت أرواحنا و جسومنا لشكواكم يا ليت ما كانت الشكوى
و إني لأرجو الله ينعم بالشفا عليك لتحظى بالسرور كما تهوى

و هكذا فقد تواصلت المساجلات الشعرية بينهما مما أدى بالأمير لان يكن له حبا شديدا فقد كان يصفه في المساجلات بالحبيب ، فريد عصره، قرة العين، قطب العارفين، أما نثرا فقد كان يقول فيه: * كان لنا خير أنيس ،و أحسن جليس ، نفس من همومنا بلطائفه، و طرائفه ، ما لا تنفسها الصبا* [112] .

و يواصل قائلا * لازمني أيام نفور الحميم و القريب ، وانسني حين لا أنيس لي من الجنس أو غريب ، وتجشم شقة دونها اكبر مشقة في مكان لا يقتحمه الأسد الصهور ، بل تنقطع دونه أجنحة النسور ، و كنا قبل وروده علينا نناغي الحائم ، و نسامر الفر قدين و الحمائم ، و إن كانت الحمائم إذا صدحت لا تفهمنا و تجيبنا بالشجي فتدفننا * [113]
و قد تزامنت فترة عودة الشاذلي القسنطيني إلى قسنطينة بوفاة زوجة الأمير عبد القادر مباركة ، وواحد من أبنائه و هو احمد [114] .

و أخيرا و ليس بآخر فرغم ما يحيط بهذه الشخصية من إشكاليات ، إلا انه أصبح محبوبا من طرف الأمير عبد القادر و بنيت بينهما صداقة متينة ، و قد خلفا لنا مساجلات شعرية رائعة ، ما زالت تحتاج إلى الدراسة و التحليل ، لا سيما من طرف الباحثين في مجال الأدب العربي لأنني اعتقد أن هذا من ضمن اختصاصاتهم ، و لأنه لا يسعنا هنا تحليلها باعتبار أن هذا لا يدخل في إطار موضوعنا ، و لأننا غير متخصصين في هذا المجال ، و قد حاولنا جاهدين إبراز البعض من هذه المساجلات ، و تبقى هذه الإشكاليات مطروحة عن الشاذلي القسنطيني وتحتاج منا للدراسة و التحليل في ظروف أحسن و بإمكانيات أفضل لا سيما منها الأرشيف .

---

[111] –محمد الصالح رمضان ومحمد الأخضر ألسائحي، المرجع السابق، ص 79

[112] –ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 61

[113] –محمد بن عبد القادر ، المرجع السابق، ص 241

[114] – Du PLESSIS, Op.Cit, p218

انظر أيضا : GABEAU ,Op.Cit, p356

III-2- الـــــدراســـات

في ظل الظروف الصعبة التي عاشها الأمير عبد القادر و أطفاله و عائلته و كل رفقائه، كان ملجأه الوحيد هو الدراسة و الكتابة و التأمل.

فقد عمل الأمير عبد القادر في فور لامالق كمعلم و إمام و قد مارس هذه المهنة إلى غاية وفاته فقد كان يعلم الأطفال الكتابة ، و القران و الحروف الأبجدية العربية .

أما في امبواز فقد كان يملا وقت الفراغ و بحضور رفاقه بتدريس الوجيز في القانون ، و لإتمام هذه المهمة درس **الرسالة** لمحمد ابن أبو زيد القيرواني و كذلك **العقيدة الصغرى** للسنوسي [115] .

فالرسالة للقيرواني[116] تعد مختصر للقانون المالكي، و حول العقلية الإسلامية، كما تؤكد على ممارسة الأخلاق في إطار الإسلام [117]

أما بالنسبة للعقيدة الصغرى للسنوسي [118] و قد اشتملت على شرح مبادئ العقيدة الإسلامية و البراهين على وجود الله ، فهي مثلت و ما زالت تمثل حتى وقتنا الحالي إلى جانب العقيدة الوسطى و الكبرى من أهم المصادر التي يلجا إليها الباحث في مثل هذه الدراسات الإسلامية ، و قد عرفت باسم **السنوسية** ، كما تسمى **بأم البراهين** .

تقول هذه العقيدة *بان الحكم العقلي يتحدد بثلاث مراتب: الأهمية، الاستحالة، والطارئ.*[119]

---

(115) – John KISER, Op.Cit, p59

(116) –هو ينتمي إلى عائلة من نفزا – اسبانيا– وولد في القيروان سنة 922 م –310ه و مات بها سنة 386ه–996م و يلقب بالملك الصغير بسبب معرفته للعلوم الدينية .انظر :
Henri PERES, Op.Cit, p342

(117) – John KISER, Op.Cit, même page

(118) – هو أبو عبد الله محمد ابن محمد ابن يوسف السنوسي ولد في قبيلة بني سنوس غير بعيد عن تلمسان، و هو من سلالة النبي صلى الله عليه و سلم ، ولد ما بين 830-835 ه – 1426-1431م ، و توفي في تلمسان و قد انتقل حتى الجزائر من اجل اخذ الدروس من عبد الرحمن الثعالبي .
انظر : Henri PERES, Op.Cit, p343

(119) – Ibid, p344

لذلك من الضروري و شرعا لكل شخص قادر أن يعرف مراتب هذه العقيدة ان يعمل على دراستها .

إذن فهذه العقيدة الصغرى للسنوسي و الرسالة للقيرواني ليست فقط الكتب التي درسها الأمير عبد القادر ، مع رفاقه المثقفين في معتقل امبواز ، و إخوته ، بل درسوا أيضا شرح البخاري ، و الشفاء للقاضي عياض [120] .

فشرح البخاري هو معروف، أما الشفاء فهو عبارة عن تاريخ مدح الرسول صلى الله عليه و سلم و يجمع فيه مختصر للفقه المالكي.

و هكذا فقد كان الأمير عبد القادر و محاولة منه تخطي الحالة الصعبة التي كان يعيشها في امبواز ، و أنين عائلته ووالدته و زوجاته و أطفاله ، كل هذا أدى به إلى محاولة إيجاد مخرج ، فلم يكن أمامه سوى القراءة و الكتابة ، و قد كان دائما يطلب من دوماس و بواسوني لإحضار الكتب التي كان يحتاجها [121] .

و بعد سقوط الزمالة و حرق المكتبة الخاصة به ، فان معظم كتبه أصبحت في يد دوماس لذلك كان يحضر له هذه الكتب الخاصة به لقراءتها . إلى جانب كل ذلك فقد درس لأفلاطون و أرسطو و فيتاغورس .

---

[120] –ولد في 476ه1083 م و توفي في مراكش سنة 544ه–1149م ، و كتابه هذا طبع في القسطنطينية للمرة الأولى بدون سنة و للمرة الثانية سنة 1329ه–1911م دائما في القسطنطينية، و في مصر سنة 1276، 1859 م ، انظر : Henri PERES, Op.Cit, p345, 346

[121] – Ibid, même page

و هكذا فيمكن القول أن انجاز الأمير عبد القادر تمحور في مواجهة الاستعمار مدة 20 سنة منها 05 سنوات من اعتقاله في فرنسا إلى قسمين : انجاز جهادي حربي و انجاز فكري رمزي ، جعل منه رجل عصره ، ويمكننا وصف فكر الأمير عبد القادر بالراقي لأنه لم يخضع للتربية الأوروبية الغربية ، فلم يتوقف عن التعلم و التعليم ، وقد اكتشف التراث الإسلامي بنفسه و استطاع أن يجهض المشروع الفرنسي ليس من الناحية الاقتصادية و العسكرية فقط، بل حتى من الناحية الفكرية لأنه بقي مفكرا في جميع مراحل حياته رغم المحاولات الفرنسية لإجهاض رمزيته و احتوائه .

I- ما مدى احترام السلطات الفرنسية للضمانات المقررة قانونا اتجاه اعتقال الأميرعبد القادر و مرافقيه ؟

لقد تركزت المطالب الأساسية لبنود الثورة الفرنسية سنة 1789 على احترام الإنسان و أكدوا على أن الحرية هي الحق الطبيعي لكل فرد ، و قد ساهم كل من مونتيسكيو [1] و فولتير و بيكاريا ، بأفكارهم في إصلاح القوانين الجنائية . حيث طالب بيكاريا بتطبيق مبدأ الشرعية على الحبس ، بمعنى انه لا يجوز حبس المتهم الا اذا تضمن القانون حالاته وشروط الأمر به .

و أوضح مونتيسكيو أن الإجراءات الجنائية هي أساس الحرية لأنها لا تخص إلا فئة المجرمين ، بل هي ضامنة للحرية ، وهذه الحرية بدورها تتوقف على إصلاح القوانين .

كما طالب فولتير بجعل الأنظمة العقابية أكثر إنسانية ،و أدان في كتاباته نظام الحبس التعسفي[2]

وتعد الحماية القضائية من مقومات القانون ، فلا يعترف بالحق لشخص معين دون أن يزوده بالوسيلة اللازمة للحصول عليه ، فلا قانون بلا قاضي ولا حق أو واجب قانوني بلا قضاء ، وحق اللجوء إلى القضاء من المبادئ التي تقوم عليها اغلب الأنظمة القانونية ، وهو حق دستوري معترف به لكل شخص طبيعيا[3] كان أو معنويا [4] .

---

[1] - ولد في 19 جانفي 1798، وتوفي 1857، من عائلة ملكية و مسيحية ، اوبه كان رئيس قباضة البلدية، له أخ و أخت ووالدته تدعى روزاليا بويار، من صغره كان عبقريا و درس في ثانوية مونبولييه، و في 16 من عمره دخل مدرسة البوليتيكنيك ، ابتعد عن الأفكار الملكية و لم يقترب من نابليون مع انه كانت له افكار ثورية ، في 1816، انغلقت هذه المدرسة بسبب اليعاقبة فدخل مونبولييه و اخذ بعض الدروس في معهدالطب ، و رجع بعدها الى باريس اين درس الرياضات، و في 1817 توجه إلى القوانين الاجتاعية و بعد وفاة زوجته توجه الى الفلسفة و قد رفض له قيزو دكتوراه في تاريخ العلوم و ذلك بسبب أفكاره الجهورية، ألف ما بين 1844-1847، أربعة أجزاء في الفلسفة الاجتماعية.

[2]- بوكيحل الأخضر، الحبس الاحتياطي و المراقبة القضائية في التشريع الجزائري و المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دس، ص 45

[3]- هو كل شخص يولد حيا و يملك قانونا اسم و لقب و موطن، حقوق مالية و معنوية، و ذمة مالية يبدأ حياته بالولادة، و تنتهي بالوفاة .

[4]- هو شخص يعترف له القانون بالشخصية القانونية ، ولادته تبدأ من يوم الإنشاء و تكوين القانون الداخلي و تنتهي حياته بالحل أو وفاة احد الشركاء كالشركات او المؤسسات .

و بالمقابل فان القضاء هو في متناول الجميع بلا تمييز بين الأفراد بسبب الأصل أو الجنس أو الدين أو اللغة وذلك يتأتى بالمساواة بين الخصوم أمام القضاء ودون التمييز بين الأشخاص المتقاضين ، وكذلك بسبب وحدة القانون المطبق ،و تبقى السلطة التقديرية للقاضي [5] كل هذا وذاك جاءت به المبادئ السامية لبنود الثورة الفرنسية .و من هذا المنطلق يطرح الإشكال التالي :

ما مدى انتفاع الأمير عبد القادر في قضية اعتقاله من هذه الإجراءات القانونية ؟ و هل حبس الأمير عبد القادر هو سجنا او اعتقالا ؟ وما مصير بنود الثورة الفرنسية السامية التي نصت عليها الحكومة الفرنسية ضمن مخططاتها ؟

إن قاعدة شرعية الجرائم و العقوبات ، من القواعد الأساسية في التشريع الجزائي [6]الفرنسي خاصة وهي أساس حرية الفرد التي كفلتها الدساتير ضمانا لحقوق الإنسان، و تعطي للعقوبة المصداقية و العقلانية لدى الرأي العام باعتبارها توقع باسم القانون ولصالح المجتمع .

قبل أن تخوض في الحديث عن المرحلة الأولى من اعتقال الأمير عبد القادر علينا أولا أن نعرف المعاني المختلفة للسجن : فهناك السجن، و الحبس، والاعتقال – الحبس التعسفي–

تعريف السجن: هو كل عقوبة متمثلة في قيد للحرية لأكثر من 05 سنوات ، بعد أداء إجراءات المحاكمة ، و هو ما يطبق على مرتكبي الجنايات كالقتل ، و السرقة الموصوفة .

تعريف الحبس: هو كل عقوبة متمثلة في قيد للحرية لأقل من 05 سنوات وتتم عن طريق المحاكمة على مرتكبي الجنح و المخالفات العادية كإصدار شيك بدون رصيد و مخالفات حركة المرور

أما الاعتقال أو **الحبس التعسفي** : فهو ما طبق على الأمير عبد القادر ، و سنأتي على تفصيله في العنصر الموالي .

---

[5]– هي تلك السلطة المعطاة بصفة مطلقة للقاضي أثناء المحاكمة و أثناء تأدية وظائفه دون تدخل الأطراف فيها معناه تبقى له الصفة المطلقة في تحديد العقوبة . انظر: محند بوبشير أمقران، النظام القضائي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص ص 29-33

[6]–هو القانون الذي يضم مجموعة من المواد القانونية التي تنص في فحواها عن العقوبات التي تطبق على الأفعال التي تكون في مضمونها أفعالا مجرمة .

طبقا للقوانين الجزائية الفرنسية فقد عرفت الحكومة الفرنسية ثلاثة أنواع من السجون وهي على النحو التالي :

أولا : الحبس الاحتياطي: و هو الحبس الذي يتم فيه الاعتقال إلى حين محاكمتهم ،و كل معتقل فيه لن يتم إجراء أي محاكمة في حقه ،و يعتبر حبسا تعسفيا أي اعتقال تعسفي و يستحق التعويض ، و هو ما يطبق على حالة الأمير عبد القادر .

ثانيا : دار العدل : وهو السجن الذي يخص كل مسجون في مرحلة المحاكمة أي أثناء تنفيذ إجراءات الحبس .

ثالثا : دار العقوبة : و هي تضم المسجونين الذين تم إتمام إجراءات محاكمتهم و صدر في حقهم حكم يقضي بالإدانة بالحبس .

من هذا المنطلق القانوني البحت نتبع هذه الصفات لنصل إلى أن الأمير عبد القادر لم تتم محاكمته حسب ماهو منصوص عليه في النصوص القانونية الفرنسية نفسها. بل وحتى التي تهم المعتقلين و بالتالي نخلص إلى أن الأمير عبد القادر سجن فيما يسمى بالمعتقل هذا الأخير الذي يدخله كل من لم يتم محاكمته المحاكمة القانونية بكل إجراءاتها ،و التي سيتم إثباتها في ما يلي من تحليل و من أهم هذه الإجراءات التي تسمى بالضمانات القانونية كحقه في الدفاع عن نفسه و غيرها ، لم تكن متوفرة في اعتقال الأمير عبد القادر ومن أهم هذه الضمانات مايلي :

I-1 – لا إدانة إلا بمقتضى نص قانوني :

من المقرر قانونا انه لا يتم متابعة احد جزائيا، و احتجازه إلا في الحالات المحددة قانونا ونص عليها القانون، وعليه لما كان الأمير عبد القادر من بين الناس الذين تم اعتقالهم بدون نص قانوني [7] ، و انطلاقا من المادتين 98،97 من القانون المؤرخ في 11/18 /1808 المتضمن قانون البحث الإجرامي الفرنسي لا بد من وجود وثيقة اعتقال MONDA D'ARRET تم تلفيق تهمة مجرم حرب ، الأمر الذي يتعارض مع ما كان يجري في سياق الأحداث .

اختيار الوجهة التي يريدها (اتفاقية وقف القتال)، لعدم احترام بنودها وهو الذي كان مدافعا عن حرية و كرامة أبناء وطنه و بالتالي فهو دفاع مشروع قانونا و لا يحاسب عليه .

---

[7]– هو الحكم او القرار الصادر عن القاضي و الذي ينص في فحواه عن الجرم المرتكب و الادانة و كذلك العقوبة المطبقة على فاعلها و ذلك بعد إتمام مرحلتي التحقيق و المرافعة و بذلك يتم صدور هذا الحكم الذي يقضي بالإدانة .

إذ إن هذه الجريمة هي منفية عنه ، فمجرم الحرب في مفهوم القانون الدولي هو ذلك المجرم الذي يرتكب الجرائم ضد أهل وطنه، أو الأجانب وذلك بعدة أساليب كالقتل العمدي ، و التعذيب و

الايذاءات الخطيرة ضد السلامة الجسدية، و الصحية، وكذا المعاملة غير الإنسانية ، وكذا تخريب الأموال وتملكها بصعوبة لا تبررها القرارات العسكرية التي تتم بشكل تعسفي ،وعلى مقياس غير شرعي كل هذه الأساليب وأخرى تحدد معنى الشخص المتهم بمجرم حرب، لكن على عكس كل ذلك فان الأمير عبد القادر هو رائد في مجال القانون الإنساني ، و الذي تشهد عليه حتى فرنسا نفسها في حسن معاملته للأسرى ،و أحقية استبدال أسير فرنسي بأسير جزائري. ومن هذا المنطلق لا يسعنا أن نقول إلا أن الأمير عبد القادر هو الذي وقع جراء أعمال مجرمي الحرب، والدولة الفرنسية نفسها التي نسيت بنود القانون الدولي وحمايته للبشرية ،إذ يعتبر مجرم حرب كل من حرم شخصا محميا من حقه في محاكمة قانونية ،و حيادية،حسبما تفرضه الاتفاقيات الدولية ، وكذلك إقصاء الأشخاص ونقلهم من أماكن تواجدهم بصورة غير مشروعة للاعتقال الغير المشروع ، وهذا ما حدث مع الأمير عبد القادر بنقله وفق اتفاقية قانونية و التي تؤكد على انه حر .

I-2 – خضوع العقوبة لمبدأ الشرعية :

معنى ذلك أن العقوبة يجب أن تبنى على أساس شرعي وفق إجراءات محددة منصبة على جرم مشهود ودقيق ، لكن الأمير عبد القادر تم سجنه وهو في حالة دفاع شرعي عن الوطن ،هذا المبدأ النابع من القانون الدولي يحظى بدعم قوي من الشعوب المبتلاة باحتلال أجنبي .

فهو سلطة جائزة للدفاع عن النفس و الدول مدعوة دائما للدفاع عن وجودها الوطني و مقاومتها للعدوان طلبا للاستقلال ،و الحق في تقرير المصير ،و القانون الدولي هو المصدر الرئيسي في دعم مفهوم المقاومة المسلحة ، ولما كان الأمير عبد القادر يدافع عن سيادة وتراب وشعب وطنه فهو في حالة دفاع شرعي[8] عن النفس و المال و الوطن بالدرجة الأولى الأمر الذي يجعل سجنه تعسفيا وغير مشروع قائما على عدم وجود وعدم ثبوت الجريمة في حقه مع عدم وجود سبب شرعي للاعتقال ما دام أن المستعمر في اقتحام لبلده وهو في دفاع شرعي على تراب وطنه تحقيقا للاستقلال

---

[8]– هو حق مقرر شرعا و قانونا فكل شخص يتم الاعتداء عليه و على سلامة وطنه و يقوم بالدفاع عن نفسه و عن حرية وطنه ضد الخطر فان ذلك يعد دفاعا شرعيا مبررا قانونا لا عقوبة عليه ، وينبني الدفاع الشرعي على الأسس التالية: 1– وجود ضرورة انية و عاجلة لا تسمح باختيار وسائل أخرى للدفاع عن النفس.2– وجود خرق آني وتهديد بخرق الدولة المدافعة 3– أن يكون الهدف الوحيد من أعمال الدفاع الشرعي هو إيقاف أو منع الاعتداء.

I-3 – كل شخص بريء حتى تثبت إدانته :

هذه القاعدة التي تعبر عن منطلق قانوني منتهية بملخص إنساني ،وهذا يعني ان المتهم لا يمكن إيداعه الحبس إلا بعد الإثبات القانوني و الصارم في ارتكابه الجرم و إثبات ذلك بكل الوسائل .

وقد وضعت الثورة الفرنسية نهاية للتحكم و الاستبداد وجاءت بمبدأ الشرعية ومبادئ أخرى منها مبدأ الحرية هي كل شيء لا يسيء إلى الغير، إلا أن مرحلة ما بعد الثورة الفرنسية تميزت بعدم الاستقرار التشريعي [9] وصعوبة تحديد القواعد القانونية بدقة مما أدى إلى ازدياد القبض على الأشخاص و اعتقالهم دون مبرر .

إلا أن الدولة الفرنسية كانت من الدول التي توفق بين مصلحتين ،وذلك بذكرها في نصوصها القانونية أنها تسعى إلى مصلحة المجتمع وتوفير الضمانات القانونية تحقيقا للعدالة ،ومصلحة المتهم في الدفاع عن نفسه بكل حرية ، انطلاقا من ذلك هل راعت دولة فرنسا هذه النقاط المنصوص عليها في القانون الفرنسي أثناء اعتقالها للأمير عبد القادر ، فنجيب لنقول **لا** ، لم تكن متوفرة في اعتقال الأمير عبد القادر ، بل أكثر من ذلك حتى أدنى الحقوق و هي الدفاع عن نفسه بكل حرية ، لم يحصل عليها الأمير عبد القادر و حاشيته .

I-4 – شخصية العقوبة :

إن هذا المبدأ يقضي بتجريم الفعل وتسليط العقوبة على فاعلها دون التوجه إلى أشخاص لا علاقة لهم بالفعل ، من ذلك نتساءل لما كان الأمير عبد القادر هو المستهدف في قضية الحال ، فما دخل الأطفال و النساء و الشيوخ في ذلك ،هل هؤلاء أيضا يعتبرون مجرمي حرب ؟ هل الطفل القاصر [10] الذي لم يبلغ حتى السن القانوني الذي يخول له حق التحكم في تصرفاته يعتبر مجرم حرب ؟ .

---

[9]– هو جعل دول العالم تسعى الى ايجاد نوع من الاستقرار التشريعي و معناه ان دول العالم تسعى الى اضفاء نوع من الاستقرار في النصوص القانونية حتى يتم تطبيق الصحيح للنصوص القانونية الا انه حسب راي الخاص انه لا يمكن تحقيق ذلك بصفة مطلقة و النصوص القاونية ان صح التعبير هي نصوص ديناميكية متغيرة بتغير الاوضاع .

[10]– هو الشخص الذي لم يبلغ سن الرشد او السن القانوني ن و هذا الاخير ينقسم الى 03 اقسام:

1- اقل من 16 سنة و هي الاعمال التي تعتبر صادرة من شخص غير متميز و هي باطلة .

2- ما بين 16-18 سنة و هي اعمال نسبية دائرة بين النفع ، و الضررو صحيحهبرضا الولي .

3- من 18 سنة فما فوق و هو سن الرشد مسؤول عن كل تصرفاته و يتحمل المسؤولية الكاملة .

بالنظر إلى المنطق فقط دون اللجوء الى القوانين هل يمكن للطفل أن يعاقب على الفعل المرتكب ؟ إن جل القوانين الوضعية [11] تقر بعدم مسؤولية الأطفال على ما يرتكبون من أخطاء فلا بد من الإشارة إلى أن أعمال السلطة الفرنسية في هذا الشأن ومعاقبتها للكل من نساء وأطفال وشيوخ يؤكد مدى التغطرس و التسلط و الإجرام الذي ارتكبه الفرنسيون ضد كل جزائري يسعى إلى تحرير بلاده وحتى الأطفال لم يسلموا من ذلك ، و لم تحترم أدنى حقوقهم كالتعلم و العيش الهنيء .

I-5 – الرقابة القضائية على شرعية الحبس :

طبقا لأحكام القوانين الجزائية ، يجب أن يصطدم الحبس التعسفي برقابة قضائية من طرف غرفة الاتهام [12] وذلك بإصدار أمر بالإفراج عن الشخص مادام أن حبسه كان تعسفيا ففي قضية الأمير عبد القادر يطرح السؤال التالي : لماذا لم يتم إصدار الأمر من هاتين الهيئتين باعتبار اعتقال الأمير عبد القادر تعسفيا ؟ ما دام انه لم تكن له لائحة بالجرائم المرتكبة ولا حتى وثيقة التجريم ما نسميه حاليا بالحكم أو القرار القاضي بتجريمه وبتحديد مدة الحبس ، فهل حبسه كان مؤبدا وتم وقف المدة من طرف نابليون الذي أمر بإخلاء سبيله ؟ أسئلة كثيرة تلقى صدى وهو ان اعتقال الأمير عبد القادر كان تعسفيا وبصفة مطلقة ولقيت العار و التعقيب حتى من المجتمع المدني الفرنسي آنذاك وكذا الصحافة . إلا أن هناك تصرف قامت به الحكومة الفرنسية، فان دل على شيء فإنما يدل على إن اعتقال الأمير عبد القادر كان اعتقالا و تعسفيا كذلك ،وهو اعتراف ضمني و ليس صريحا و يتجلى من خلال تمكينه بعد إطلاق سراحه من مبلغ من المال شهريا وكأنه رد اعتبار قضائي للسجن الذي كان بدون أي ضمانات و بدون أي جرم، وبدون إتباع الإجراءات القانونية في تسليط العقوبة .

---

(11)- هو كل قانون ينص على مجموعة من القواعد القانونية التي هي من وضع المشرع، و الذي يطلق عليه اسم التقنين و الذي يتم اقتراحه من السلطة التشريعية و عرضه على البرلمان بغرفتين المجلس الشعبي الوطني و مجلس الامة للتصويت عليه بنظام الأغلبية ثم المصادقة عليه عكسه عو القانون الطبيعي و هو مباديء الشريعة الاسلامية .

(12)- و هي غرفة مكونة من قاضي و مستشارين و مهمته هي النظر في التحقيقات و النتائج وفي احالة المتهم امام القضاء و الطعن فيما هو متصل به ، و كذا النظر في مدى شرعية الحبس المطبق على المتهمين و غير المتهمين كطول مدة الحبس الاحتياطي.

I-6 – الحق في الإثبات و التحقيق الابتدائي :

كل متهم يجب أن يتم سماعه من طرف الضبطية القضائية- الشرطة- و إحالته على هيئة التحقيق للإحالة أمام الهيئة التي سيتم إجراء محاكمته فيها ، فطبقا لنص المادة 08/ من القانون المؤرخ في 1808/11/18، المتضمن قانون البحث الإجرامي فينص على ضرورة تعيين شرطة أو فرقة قضائية للتحقيق في الجريمة و جمع الأدلة و الإثباتات و تقديمها للمؤسسات المختصة .

انطلاقا من ذلك لما اتهم الأمير عبد القادر بجريمة مذبحة الأسرى الفرنسيين فانه كان بعيدا بكيلومترات عن موقع المذبحة ،فلماذا لم تقم بهذه الإجراءات السابق الإشارة إليها للتحقق من انه كان مذنب بهذه الجريمة ، بالإضافة إلى ذلك لما وقع هذا الجرم في الجزائر لماذا لم يتم التحقيق في الجزائر أمام الحاكم العام و ذلك طبقا لما نصت عليه المواد 11،12،13،14،15 من نفس القانون ، الى جانب أن اعتقال الأمير عبد القادر ، قد دبر له من طرف الجيش الفرنسي، و هذا بديهيا ليس من اختصاصات الجيش و إنما قاضي التحقيق* القاضي الإمبراطوري* و هي ما نصت عليه المواد 22،23،24،25،26،27 من نفس القانون في الباب الرابع .

I-7 – الحق في الاستعانة بمحامي :

إن المحاماة دائما بجانب الضعيف تدافع عن الحق ،و العدل ،و الإنصاف إذ يحتاج كل فرد في المجتمع إلى من هو أفصح منه لسانا واقدر منه بيانا لتقديم حججه و الدفاع عنه وصولا إلى الحق و العدل وهي معاناة وجهاد مستمر وصراع بين العدل و الظلم و القانون و اللاقانون وصراع بين الظلم و النور و بين الاستبداد و الانعتاق و الكبت و الانطلاق و بين الاضطهاد و الحريات العامة ، فهي علم و فن و ثقافة وذكاء و شجاعة و جرأة وموهبة .
هذه الغرفة لم تنظر في قضية الأمير عبد القادر بأوامر عليا من وزارة العدل ، و هكذا فلم يكن للأمير عبد القادر الحق فيها وذلك لان القوانين الفرنسية آنذاك كانت تلزم كل مواطن فرنسي او جزائري في أي حال من الأحوال الدفاع عن نفسه أمام العدالة إلا عن طريق المدافعين المعينين من طرف الحكومة الفرنسية [13].

---

[13]- مولاي ملياني بغدادي، المحاماة في الجزائر: نشأتها و تطورها منذ سنة 1830، حتى قانون 04/91، المؤرخ في 1991/01/08 ، ص ص 76،77

وما تجدر الإشارة إليه أن المحامين في الجزائر آنذاك والذين لم يبدوا أي رد فعل أو دفاع عن الأمير عبد القادر،في تلك الفترة خاصة ،و إننا على علم أن المحاماة ظهرت في الجزائر بموجب قرار صادر في 16 ابريل 1848 من طرف الحاكم العام بالجزائر و الذي ينص في المادة 06 منه على أن هذا القرار أي قرار تعيين محامي في الجزائر يخضع لموافقة وزير الحربية الفرنسي [14] .

من جراء كل ما تقدم ذكره نقول أن إجراءات محاكمة الأمير عبد القادر كانت معدومة ذلك انه تم إيداعه الاعتقال و لمدة طويلة دون محاكمة،رغم مطالبة الأمير عبد القادر بذلك، ولم يتم إطلاق سراحه إلا بعد رضا الحاكم عنه ، الأمر الذي كان و بالخصوص في تلك الفترة فيه صراع بين السلطة الحاكمة وبين المواطنين بشان حبس أو عدم جواز حبس الأمير عبد القادر ،و للقبض عليه و على أهله و أطفاله ورفاقه ونفيه و احتجازهم بدون أي محاكمة مسبقة تمكنه من الدفاع عن نفسه وذلك لمجرد الاشتباه في انه ارتكب جرائم الحرب التي تم الإثبات أنها دفاع شرعي خالص لصالح الوطن و الشعب و السيادة و الاستقلال .

رغم الضمانات الكثيرة التي كرستها النصوص الشرعية القانونية للمتهم ، ورغم التجريم الصريح لأوجه التعذيب فان نصف دول العالم لم تطبق تلك الضمانات وعلى سبيل الاستدلال الحكومة الفرنسية فأين هي تلك المبادئ الفرنسية التي تعطي الضمانات للمتهم خارج السجن وداخله ، وأين هي تلك المبادئ السامية حول حقوق الطفل و النساء كل هذه عبارات وهمية لم تطبق في ظل فترة كانت فيها فرنسا في أزمة داخلية وخارجية و ظهر ذلك جليا بعد اعتقال الامير عبد القادر و قيد حريته .

[14]- مولاي ملياني بغدادي، المرجع السابق، ص ص 74-76

و على هذا الأساس فان نابليون الثالث و أمام سخرية أوروبا اتجاه الحنث باليمين المقدم للأمير عبد القادر ، و اتجاه الوضعية الغير قانونية المتمثلة في حبس الأمير عبد القادر و رفقائه حبسا تعسفيا رغم اعتنقاها لمبادئ الثورة الفرنسية السامية و الداعية إلى الحرية و المساواة أمام القضاء قرر رد اعتبارهم قانونيا بإطلاق سراحهم لتخليص شرف فرنسا المفقود و هذا ما سنأتي على تفصيله في العنصر
الموالي.

II- زيارة نابليون الثالث إلى قصر امبواز و الإعلان عن إطلاق سراح الأمير عبد القادر :

كما سبق و أن تحدثنا ، بعد مغادرة دوبوش قصر امبواز، في آخر زيارة له للأمير عبد القادر ، خلف وراءه بصيص من الأمل لدى الأمير عبد القادر ،الذي ظل ينتظر ما سيسفر عنه هذا الانقلاب الذي حدث في فرنسا ، و فعلا فقد أسفر هذا الانقلاب عن تحكم نابليون في زمام الأمور السياسية في الدولة ،و أصبح سيد قراراته لذلك قرر إعادة فتح ملف الأمير عبد القادر ، رغم تحذيرات بعض الجنرالات أمثال سانت أرنو ، إلا أن نابليون كان قد اتخذ قراره النهائي لإعادة النظر في قضية الشرف الفرنسي و حرية الأمير عبد القادر .

II-1- قرار نابليون بإطلاق سراح المعتقلين بمجلس النواب

ففي جلسة بمجلس النواب بعد انقلاب 02 ديسمبر 1851، حين حل نابليون الجمعية الانتخابية و أصبح سيد قراراته ، قام بتعيين كل رفاقه في المناصب الحساسة و التي لا تعارضه في أي قرار يأخذه .

في نفس الوقت نشرت الصحيفة Morning Poste على لسان رئيس تحريرها قائلا * احد أصحابي الذي كان وزير لويس نابليون بعد انتخابه في 1848 ، قال لي انه في أول اجتماعات الحكومة في قصر ايليزي طالب نابليون بفتح حوار حول حرية الأمير عبد القادر ، و كما هو معروف أن عبد القادر لم يحصل على حريته حتى هذا الوقت سببه هو ذلك الحاجز الموجود بينه و بين نابليون و المتمثل في المجلس الشعبي الوطني * [15]

و في هذا الاجتماع ألقى نابليون الثالث خطاب من اجل إعادة فتح قضية الأمير عبد القادر ، فقال * لا اعتقد أن سلطتنا و قوتنا في البحر المتوسط تعتمد على سجن أو إطلاق سراح رجل *[16]

و طيلة شهر جوان ،و رغبة منه في الحصول على نفوذ شعبي قوي ، قرر نابليون ربط علاقات متينة مع طبقة الشعب و لا سيما في الجلسة البرلمانية التي جرت في الخريف ، و تنفيذا لهذه المهمة تمكن من زيارة الجنوب الغربي ،و قام بعدة حوارات استنتج خلالها بان له شعبية كبيرة و سلطة قوية .
و لهذا ادخل في برنامجه سرا قراره بزيارة قصر امبواز كختام لجولته، من اجل الإعلان عن حرية الأمير عبد القادر و رفاقه ، و انه سيوجه إلى بروسة ريثما تتم كل الترتيبات اللازمة لذلك[17] ، و هكذا فقد كان قرار نابليون كخطوة لتغيير حياة المعتقلين التي دامت خمس سنوات في المعتقلات الفرنسية يعانون من المعاناة و التضييق و الاهانة .

II-2- وصول الوفد الرئاسي إلى قصر امبواز و الإعلان الرسمي عن حرية المعتقلين

و هكذا فقد وصلت تعليمات إلى بواسوني للاستعداد من اجل استقبال الرئيس في قصر امبواز ، و لقد كان لويس نابليون مرافقا خلال هذه الجولة بالانجليزي لندنبري ، و الجنرال روكي ROQUET و الكولونيل فلوري FLEURY و ضباط آخرون[18] .

و على اثر وصوله إلى محطة امبواز ، كان في انتظاره بواسوني الذي تحدث طويلا مع الرئيس ،ثم توجه الوفد الرئاسي إلى القصر لزيارة الأمير عبد القادر،و الإعلان عن حريته من اجل تحرير شرف فرنسا المفقود ، و تخليصها من سخرية أوروبا .

(15)- Bellamare, Op.Cit, p19

(16)- REVUE DES DEUX MONDES, Op.Cit, T16, 1852, p601

(17)- Ibid, 1853, p64

(18)- John KISER, Op.Cit, p61

و بعد وصوله استقبل نابليون في 16 أكتوبر 1852 من طرف الأمير عبد القادر ، و خلال حديثهما قال له نابليون* منذ فترة طويلة و أنت تعرف بان أسرك وضعني في مصف الحكم الصحيح ، لأنه عرفني على أن الحكومة التي سبقت لم تف بالالتزامات التي تعهدت بها لسوء الحظ * [19] .

كما واصل قائلا* جئت لأخبرك بحريتك ، ستقاد إلى بروسة في دولة السلطان عندما ننتهي من الترتيبات الضرورية ، ستتلقى من الحكومة الفرنسية معاملة كريمة تليق بمقامك العالي ، منذ مدة طويلة ووضعكم يؤرقني لأنه يذكرني بالتزامات تم اتخاذها و لم تنفذ ، و أنا مستعد لتقديم العدالة الكاملة لشجاعتكم ، فلا شيء أذل من حكومة دولة كبيرة لا تفي بوعودها ، لقد كنت خصما عنيدا لفرنسا ،و لكن هذا لا يمنعني من الاعتراف بشجاعتك و قوتك و تواضعك في ماساتك ، و لهذا فانا التزم بشرف لإنهاء حبسك و ثقتي كاملة في كلمتك *[20]

لنتصور معا فرحة الأمير عبد القادر و سعادته التي لا توصف ،فقد تمكن أخيرا و بعد صبر طويل دام خمس سنوات من العذاب دون الحصول على أدنى حقوقه قداسة و هي **الحرية** التي لطالما افتقدها ، و خصوصا لعائلته و النساء و الأطفال المتبقين ، و الذين كانوا بأمس الحاجة لحريتهم .
و خلال هذه الزيارة تعرف الرئيس على كل عائلة الأمير عبد القادر و قد شكروه على نبل أخلاقه و على وفائه بالتزام الحكومة السابقة معهم.

---

(19) – De CIVERY, Op.Cit, p319

(20.) – NAPOLEON, Discours et messages de Louis Napoléon Bonaparte, T.P.F, PARIS, 1853, p243

انظر أيضا: Arthur Léon Imbert , Louis napoléon et mademoiselle de Montijo, A.M.C, PARIS, p445

كما تعرف الرئيس على والدة الأمير عبد القادر لالا الزهرة ، و تناول معهم وجبة الكسكسي المشهورة عند العرب ، قبل أن يغادر إلى باريس ، و كانت هذه الوجبة يطلق عليها من المعتقلين **بوجبة الحرية** [21] و على اثر هذا الخبر السعيد و في اليوم الموالي مباشرة ، بدا الأمير عبد القادر يخط رسائل الشكر لكل من عمل على إطلاق سراحه من قريب أو بعيد، و من بين هؤلاء القس دوبوش [22] كما كتب رسالة إلى لويس نابليون، يطلب فيها الإذن لزيارة باريس و التعرف أكثر على المنشات الفرنسية و شوارع باريس [23] .

III - زيارة الأمير عبد القادر لباريس و الوداع الأخير للاعتقال

بعد الحصول على الموافقة من نابليون بونابارت ، تقرر زيارة الأمير عبد القادر لباريس يوم 28 أكتوبر 1852[24]، مرافقا بقدور بن علال و محمد قارة و بواسوني [25] .

و قبل انطلاقه نحو باريس زار الأمير عبد القادر المقبرة بحديقة القصر ، التي دفن فيها أطفاله و زوجته و كذا عائلته و أصدقائه و مقربيه ، فقرا سورة الفاتحة على أرواحهم ، ومنها توجه إلى محطة القطار في امبواز وهي محطة دورليان،و قد غطت جريدة Le constitutionnelle هذه الزيارة تقول *وصل الأمير عبد القادر إلى باريس بقطار دورليان، بعد انطلاقه من امبواز على الساعة 12:40دقيقة ووصل على الساعة الثانية و أربعين دقيقة ،كان يلبس برنوس ابيض بسيط *[26] و قد قوبل الأمير عبد القادر بحشد كبير من الناس الذين جاؤوا لرؤيته ،و التعرف على الرجل الذي لطالما صورته الصحف الفرنسية بقاتل الأبرياء و الدموي .

---

(21)- John KISER, Op.Cit, p62

(22)- Ibid, même page

(23)- Ibid, p63

(24)- NAPOLEON, Op.Cit, p446

(25)- John KISER, Op.Cit, p64

(26)- Le journal : l'ami de la religion, Op.Cit, p250

ركب الأمير عبد القادر في عربة أقلته إلى غاية فندق La TERASSE الذي يبعد ب
50 كم عن شارع ريفولي RIVOLI ، لأخذ قسط من الراحة[27] ، و بعد فترة وجيزة من وصوله الفندق، و بالضبط على الساعة السابعة مساءا دخل عليه مساعد المعسكر الكومندان هنري مبعوثا من وزير الحربية ، و سلمه دعوى لحضور أوبرا موسى لروسيني ROSSINI [28] .

و قبل استلامه لهذه الدعوى ، كان قد حظي بزيارة دوبوش له ، لذلك فقد اعتذر في بداية الأمر عن تلبية هذه الدعوى ، و لكن بعدما علم بحضور نابليون للأوبرا قرر الذهاب و قبول الدعوى [29].

و في اليوم الموالي دعي الأمير عبد القادر، لحضور حفل رسمي يليق بمقامه في قصر سان كلو في بيت الرئيس نابليون بونابارت ، و ذلك بحضور اوجين دوماس ، و فور انتهاء مراسم الاستقبال ألقى الأمير عبد القادر كلمة من بين ما جاء فيها * الحمد لله وحده إلى صاحب المعالي الرئيس نابليون بونابارت ، حفظه الله و رعاه و سدد خطاه ، من عبد القادر بن محي الدين، ... الآخرون قطعوا وعودا ولم ينفذوها ، و سموكم نفذتم وعودا لم تصدر عنكم ، و بفضل أريحيتكم سأتمكن من الذهاب لاحيا في بلد مسلم .إن الكلمات تنتثر كالريح ، لكن الوثائق المكتوبة تبقى ، فأقدم لسموكم هذه الوثيقة التي تتضمن عهدا مكتوبا[30] بالا أعود إلى الجزائر ... إن ديني و شرفي يجبرانني على احترام تعهدي و شجب الخيانة ...* [31] ، و قد رد نابليون على هذه الوثيقة التي تحمل تعهدا بعدم العودة الى الجزائر، فرد على ذلك قائلا* انك قررت أن تسجل هذه الوثيقة و تضعها بين يدي فانا اقبلها ، و هذا التعبير التلقائي عن عواطفك يبرهن لي أنني كنت على حق عندما أوليتك ثقة بدون حدود*[32]

---

(27) – John KISER, Op.Cit, P64

(28) – واسيني لعرج، المرجع السابق، ص 506

(29) – John KISER, Op.Cit, même page

(30) – للتعرف أكثر على ما جاء في هذا التعهد المكتوب انظر: الوثيقة المرفوقة بهذه الدراسة

مأخوذة من : Les archives nationales , AIX en PROVENCE ,Ministère de la guerre , AE1 21N-3[b]

(31) – Bruno ETIENNE, Op.Cit, p268

(32) – Ibid, p270

وربما قد تطرح إشكالية هنا عن سبب عدم تقديم هذا التعهد فور إعلان نابليون عن حريته و قدمت في هذه الزيارة ؟ أي بعد الإعلان عن حريته بمدة ؟

إن الجواب على هذه الإشكالية بسيط ،لأنه فور الإعلان عن حريته لم يطلب نابليون منه تقديم أي تعهد ، و قد وثق في كلمته التي سبق و أن قدمها و أمضى عليها و رفاقه عندما طلب منهم اوليفييه ذلك ، و هذا ما دفع بنابليون أن لا يطلب أي تعهد آخر ، و لكن الأمير عبد القادر كعربون على وفائه بكلمته ، و عرفانه قدم هذا التعهد .
و بعد جولة في حدائق القصر اقتيد الأمير عبد القادر لزيارة الإسطبلات ، و قد منحه نابليون حصانا كهدية .

و في 03 نوفمبر اثر غياب الرئيس نابليون لمدة يومين في رحلة صيد ، زار الأمير عبد القادر معالم باريسية مهمة من بينها المتحف ، محطة السكك الحديدية ، كما زار قصر فرساي الأثري ، و المطبعة الاميرالية ، و حضر طريقة انجاز الكتب و الجرائد ، كما تعرف على العبارات المائية و السيارات البخارية ، ودار المدافع[33] ، و في هذه الجولة كان مرافقا بوزير الحربية سانت أرنو ، كما أقيمت وليمة عشاء على شرفه بحضور ثمانين شخص من الضيوف في قصر فرساي [34]

استمرت هذه الزيارة مدة أسبوعين ، و قبل أن يعود إلى امبواز في 10 من نوفمبر التقى مع نابليون بونابارت يوم 09 نوفمبر للمرة الأخيرة تجولا معا ، و استعرضا سوية فرقة من الخيالة قدمت لهما التحية ، كما استغل هذه الزيارة لاستقبال رجال علم و دين، و رجال دولة و قواد ، كما تمكن بصورة خاصة اللقاء مع أسيره السابق في بلدة سيدي إبراهيم الجنرال كوربي دوكونيور و تناقشا في قضية مذبحة الأسرى [35]

---

[33]- بوعلام بلقا سمي ، الأمير عبد القادر في الأسر : قراءة في رحلة الحرية و سؤال الحداثة، الملتقى الدولي حول تراث الأمير عبد القادر بين الخصوصية و العالمية، مقاربات تحليلية، 29-30 نوفمبر، جامعة وهران، 2008 .

[34]- John KISER, Op.Cit, p68

[35]- Ibid, p69

و عشية مغادرته إلى امبواز ليهيئ السفر النهائي نحو المنفى ببروسة ، التقى الأمير مع نابليون ، و الذي وعده بسيف و بأنه سيرسله له إلى منفاه لأنه لم يجهز بعد ، و ذلك تعويضا له عن سيفه الذي فقده في الجزائر – و هذا دليل واضح على انه لم يسلم سيفه كما تحدثت بذلك المصادر الفرنسية و إنما اخذ منه بالقوة –

و قبل مغادرته أيضا كتب الأمير عبد القادر العديد من رسائل الامتنان لجميع من قدم له يد العون و التأييد و التعاطف مع قضيته و خاصة الراهبتان ناتالي NATALIE و سان موريس و هما راهبتان كاثوليكيتان، و قد قدمتا يد العون للنساء المرضى و الأطفال خلال فترة الاعتقال [36].

و في 10 نوفمبر انطلق القطار من جديد حاملا الأمير عبد القادر و مرافقيه إلى امبواز ليهيئوا أنفسهم من اجل الذهاب إلى المنفى بروسة ، ووصل إلى امبواز يوم الأربعاء على الساعة الثامنة [37] وقد كان في انتظاره كل مرافقيه و لا سيما والدته لآلا الزهرة ، إلا مصطفى بن تهامي الذي كان مريضا ، و على حسب المصادر الفرنسية فان مرضه كان خطيرا بسبب الحمى الشديدة و التي لم يعالج منها رغم زيارة الأطباء له [38] و انطلقت الزغاريد ترحيبا بعودته و عودة الحرية التي فقدت مدة خمس سنوات .

و رغم هذه الفرحة الشديدة بالحرية إلا أن الأمير عبد القادر ظل يفكر في الشقة بينهم و بين الجزائر ، و ظل متألما حول هذا الموضوع ، لأنه بذلك أصبح بعيدا عن وطنه ، الذي لطالما دافع عنه بكل ما أوتي من قوة ، و رفاقه أيضا كانوا يشاركونه نفس الألم .

و قد سرد الأمير عبد القادر أحداث هذه الزيارة للحضور، و تفاصيل ما رآه من أنماط الحياة الثقافية و الاجتماعية و الأثرية ، كما اخبر الجميع بأنه تقرر نقلهم إلى بروسة في 11 ديسمبر 1852 [39] أي بعد ظهور نتائج الانتخابات بفترة قصيرة .

---

(36) – John KISER, Op. Cit, p68

(37) – Le journal : l'ami de la religion, Op.Cit, p 435

(38) – John KISER, Op. Cit même page

(39) – l'ami de la religion, Op.Cit , pp435, 436

و في انتظار هذا التاريخ و بالضبط في 21 نوفمبر 1852 ، جرت انتخابات جديدة للإعلان عن ميلاد الإمبراطورية ، و يصبح خلالها لويس نابليون هو الإمبراطور نابليون الثالث
و قد تذكر الأمير عبد القادر بأنه نفس اليوم و الشهر كان قد انتخب فيه أميرا للجهاد.

إن الإعجاب المتبادل بين الأمير عبد القادر و نابليون بونابارت و موقف نابليون اتجاه حرية الأمير عبد القادر خلق بعض الأفكار التي أدت إلى فهم هذه العلاقة فهما لا نقول خاطئا و إنما فهما لا يستند إلى أي دليل ملموس و مادي ، و هذا ما أدى إلى صياغة العديد من الإشكاليات التي لا زال البحث فيها ضروريا وواجبا باللجوء إلى الأرشيف ، و التحليل الموضوعي ، و من بين أهم هذه الإشكاليات التي سنحاول أن نسلط الضوء عليها بنوع من التحليل هي عن :

ما مدى مصداقية مشاركة الأمير عبد القادر و أصدقائه الأربعة عشر في الانتخابات بفرنسا في 21 نوفمبر 1852 و التي تحدث عنها بول أزان و سانده في الرأي العديد من المؤرخين أمثال برونو ايتيين وزوموروف ؟

في واقع الأمر أن هذه الإشكالية تحتاج لدليل سواء لإثباتها أو دحضها ، و لا يمكننا هنا تقديم الإثبات لأننا لا نملك الوثيقة التي تثبت او تنكر هذه المعلومة . و لا يسعنا هنا سوى التحليل و المناقشة.

فحسب المصادر و المراجع الفرنسية فإنها تذكر أن في 20 نوفمبر كتب الأمير عبد القادر رسالة إلى والي ولاية لاند ايلوار يطلب المشاركة في الانتخابات ، و قد حصل هذا فعلا في 21 نوفمبر بحيث انتخب مع 14 من رفاقه لصالح نابليون بونابارت ، و ذلك تعبيرا عن العلاقة الطيبة التي تربطه مع نابليون بونابارت [40] و تواصل هذه المصادر على أن الحكومة منحت الأمير عبد القادر هذا الشرف لان أطفالهم ولدوا في فرنسا و موتاهم دفنوا فيها .
أما في مصادر أخرى فإنها تتحدث عن المسالة بشكل مغاير تماما فتقول بان الأمير عبد القادر تمنى لنابليون بونابارت الفوز في الانتخابات ، و شكره على صنيعه معه ، و هذه الأمنية اعتبرها البعض و فسرها على أنها انتخاب رمزي .

---

(40) – ZOUMOROFF, Op.Cit, p434

في هذا الصدد علينا القول بان في قانون الانتخاب الفرنسي ، و الذي عدنا إليه و الخاص بتلك الفترة ، ينص بان أي شخص ينتخب عليه أن يحمل الجنسية الفرنسية ، و ما عدى ذلك فهو غير مؤهل للانتخاب ، و ما كنت أتمناه بعد هذا الطرح الذي قدمه لنا بول أزون هو الاستدلال بوثيقة يؤكد فيها حمل الأمير عبد القادر للجنسية الفرنسية ، انه لا يستطيع ذلك لان الأمير عبد القادر لم يكن فرنسيا ، و لم يطلب الجنسية ، بل على العكس من ذلك فقد عرف نوايا الفرنسيين و تمكن من الوقوف ضد سياستها برفضه لكل أنواع الإغراءات التي قدمتها له من اجل الإقامة في فرنسا ، كما انه كان موجودا في الأراضي الفرنسية كمعتقل و مكرها و ليس اختياريا .

و من شروط الانتخاب ايضا أن يسجل اسم الناخب في البلدية في ملفات خاصة ، و أن يحمل بطاقة الانتخاب ، و لو كان الأمير عبد القادر مسجلا في القائمة لتمكن بول أزون من إثبات ذلك بسهولة ، و لكن للأسف فقد الصق هذه التهم بالأمير عبد القادر و سار على دربه مؤرخينا الأفاضل بدون أي دليل مادي واضح .

و في حقيقة الأمر أن الفرنسيين حاولوا استثمار صورة الأمير عبد القادر لصالحهم و توظيفها كمرجع لتثبيت مشروعهم ألاحتلالي ، و ذلك لن يتم إلا عن طريق نقل الأمير عبد القادر من موقع المجابه و المواجه إلى موقع المساند و المدعم .

هذه الخطة حاولت شخصيات دولية على اختلاف كفاءتها أن تستدرجه إلى هذه المصيدة لإجهاض صورته من المخيلة الجزائرية، ولتدعيم شرعية النظام الفرنسي في الجزائر.
و قد فهم الأمير عبد القادر هذه المكائد عندما عرضت عليه الإغراءات الضخمة من الفرنسيين ،و التي دائما كان يرفضها ، وقرر برفضه هذا أن يرسخ نموذجه في الذاكرة على الأقل و يدعم مكانته كشخصية جزائرية طبعت مجريات القرن التاسع عشر .

و أمام رفض الأمير عبد القادر أن يكون ألعوبة في يد الاستعمار ، لم يبق أمام فرنسا إلا أن تشوه صورته ، و مكانته لا سيما في هذه الفترة الحرجة التي كان معتقلا فيها في فرنسا ، و إزاء الضغوطات النفسية و المادية و المعنوية التي كان يتعرض لها ، وجدت فرنسا بمؤرخيها و ضباطها و أطبائها ، وانثروبولوجيها و غيرهم الحجة الباطلة لإقناع الجيل القادم بتهم و أكاذيب حول الأمير عبد القادر، بدون أي دلائل ، و هذا الدرب سار عليه معظم المؤرخين الفرنسيين الذين للأسف نحن نعتمد عليهم للتاريخ لتاريخ بلادنا – الجزائر– لأننا في الحقيقة نفتقد

للأرشيف الذي يعتبر الوسيلة الوحيدة للتعرف على تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر و لا سيما هذه الفترة من الدراسة .

و لأننا لا نملك دليلا ماديا حول الموضوع و هذا ما ناسف عليه حقا ، يبقى تفسيرنا عقيما و نكتفي فقط بطرح هذه الإشكاليات لحين العودة إليها مستقبلا و إيجاد الدليل عليها .

و حول علاقة نابليون بالأمير عبد القادر فقد كانت علاقة إعجاب و احترام متبادل ، لاسيما و ان الأمير عبد القادر و بعد مرور خمس سنوات من حجر حريته و حقوقه الإنسانية و لعائلته ، كان بالنسبة له نابليون هو المنقذ رغم انه لم يكن له أي يد في هذه الجريمة ضده ، كما أن نابليون كان معجبا بقوة الأمير عبد القادر و صبره على المعاناة ، و احترامه ووفائه لرفاقه ، و رغبة منه تخليص الشرف الفرنسي من الاهانات ،و سخرية الدول الكبرى كبريطانيا ، قرر أن يخلص الشرف الفرنسي من قضية الأمير عبد القادر ، و أن ينفى إلى بروسة ، و لكن لن يتم ذلك إلا بعد ظهور نتائج الانتخابات و هذا ما قررته الحكومة و لم يكن أمام الأمير عبد القادر و رفاقه سوى الانتظار .

و في 02 ديسمبر ظهرت نتائج الانتخابات بفوز نابليون و أصبح الإمبراطور نابليون الثالث ، و عادت الملكية من جديد في فرنسا ، و في هذه الفترة كان الأمير عبد القادر في باريس للمرة الثانية من اجل تهنئة نابليون على فوزه في الانتخابات ، و التقى معه في قصر تويلري في رواق الماريشالية أمام جميع الهيئات النظامية [41] ، و قدم له التهنئة ، و شكر نابليون بدوره الأمير عبد القادر على تمنياته له بالفوز ، الذي تحقق .

بقي الأمير عبد القادر في باريس هذه المرة 03 أيام ، ثم عاد إلى امبواز للتحضير للرحلة النهائية إلى بروسة التي برمجت في 11 ديسمبر 1852.

و فعلا خرج الأمير عبد القادر وعائلته و رفاقه من القصر على الساعة الواحدة زوالا، بعد زيارتهم للمقبرة التي دفن فيها اغلب أفراد عائلاتهم و أطفالهم للمرة الأخيرة، في جو من الكآبة الواضحة و الحزن ،لانفصالهم عن عائلاتهم و أطفالهم و تركهم على هذه الأرض الغريبة عنهم .

---

(41)- John KISER, Op. Cit, p70,71

VI – ظروف الأمير عبد القادر ما بعد الحرية

VI – 1– المنفى بورسة

بعد الإعلان عن إطلاق سراحه من طرف نابليون الثالث ، استقل الأمير عبد القادر و حاشيته المراكب للوصول إلى محطة ليون أين بقيوا ساعتين ، و استقبلوا من طرف دوماس و إسماعيل اوربان و الرسام تيتي و اوجين دي سيفري الذي قدم له كتابه كهدية حول الجيش الفرنسي ، بعدها استقل الأمير و حاشيته القطار إلى المحطة الثانية شالون و من هنا الباخرة الباريسية PARISIEN ، التي مرت بهم عبر نهر الساوون و ليون إلى غاية افينيون وصلوا يوم 12 ديسمبر من نفس السنة على الساعة الثالثة و النصف[42]

فاستقبل من طرف محافظ المدينة برات BRET و حرص هذا المحافظ على أن يكون الأمير عبد القادر ضيفهم لمدة يوم أو يومين في الغد زار عدة مرافق حضارية بمرافقة الكاردينال بونالد BONALD و في المساء حضر لحفل على شرفه حضره الجنرالات السابقين أمثال كاستيلان و شارل أينار [43] .

في 14 ديسمبر مساءا استقل القطار من افينيون إلى مرساي و نزلوا بهم في فندق الأباطرة Hôtel des empereurs ، خلال هذا التواجد في مرساي وصلت الأمير عبد القادر أخبار عن فئة من الحجيج الجزائريين سيمرون عبر مرساي ، و أنهم رغبوا في رؤيته ، وقد تحقق لهم ذلك و فرحوا فرحا كبيرا لرؤيته ، كما حزنوا كثيرا لفراقه مجددا [44] .

و أثناء مرورهم بباريس التقى بكل من روتشيلد و بروزولييه BRUZELIER ، و أخيرا في 21 ديسمبر ركبوا في الباخرة لابرادور LABRADOR بقيادة سان سيمون متوجهين نحو بروسة [45]

وصلوا إلى مسين يوم 23 ديسمبر ، و زار بركان ايتنا ETNA ، و استقلوا بعدها المركب من جديد في 29 ديسمبر ، وتوقفت لابرادور في 31 ديسمبر في بعض الجزر الصقلية بسبب الرياح القوية ، و هذا ما اجل وصولهم إلى تركيا، و بأمر من السفير الفرنسي تلقى سان سيمون أمر بالمرور عبر الدردنيل ، و كان ذلك في 04 جانفي، ووصلوا إلى تركيا في 07 جانفي 1853 .

---

(42)– ZOUMOROFF, Op.Cit, p435

(43)– Ibid,p436

(44)– Ibid, même page

(45)– l'ami de la religion, Op.Cit p580

و فور وصوله إلى تركيا سارع الأمير عبد القادر إلى المسجد أين أدى أول صلاة ، على ارض إسلامية بعد خمس سنوات . و بعدها أدى الزيارة لشيخ الإسلام، و السفير الفرنسي في تركيا و هو لافالات LAVALETTE، و أيام بعد هذه الزيارة أقيمت حفلة عشاء نظمها فؤاد أفندي وزير الشؤون الخارجية تحت شرف الأمير عبد القادر [46] إلى جانب استقباله من طرف السلطان عبد المجيد في 12 من نفس الشهر .

في حقيقة الأمر، نحن نشكك في مصداقية هذه المعلومات ، لا سيما و إن الأمير عبد القادر سبق و أن احدث القطيعة مع الدولة العثمانية ، ليس كشخصيات في حد ذاتها ، و إنما بسبب سياستهم في الجزائر قبل الاحتلال و حتى أثناء الغزو الفرنسي للجزائر .

و في 17 جانفي انتقل الأمير عبد القادر و عائلته إلى مرفأ صغير يسمى مودانية و هو يبعد 40 كم عن بروسة [47] ، و كان المنزل المخصص له غير صالح للسكن في وضعه الحاضر ، و الحكومة العثمانية لم تبذل أي جهد في إصلاحه [48] ، و لربما هذه الظروف لا تترك مجالا للشك في الرفض التام للحكومة العثمانية بوجود الأمير عبد القادر على أراضيها ، و قبولها به يدخل ضمن صراع آخر بين الدولة العثمانية و الدول الأوروبية ومنها فرنسا بما يسمى **بالمسالة الشرقية** .

على اثر وصوله إلى بروسة [49] اهتم الأمير عبد القادر بتربية أطفاله ، و الدراسة والتعبد ، و رغم وجوده بأرض إسلامية، إلا أن الأسى و المرارة ظلا يلاحقانه بفقدانه بلاده ، و تبقى بروسة أرضا غريبة عنه ، لاختلاف في اللغة و العادات، إلى جانب المراقبة الفرنسية المتواصلة له عن طريق المترجم العسكري بولاد BOULAD ، الذي اهتم بنقل جميع مراسلات الأمير عبد القادر و اتصالاته إلى السلطات الفرنسية ، و نتيجة للأعمال الدينية التي كان يقوم بها في بروسة ، و الجولات بالمساجد، و المدارس لتقديم الدروس ،و مناقشات مع بعض المسلمين ، خشي الوجهاء و الموظفون العثمانيون من نفوذه بالمنطقة لا سيما منها طبقة الأفندية .

---

(46)– ZOUMOROFF, Op.Cit, p437,438

(47)– l'ami de la religion, Op.Cit p581

(48)– Bruno ETIENNE ,Op.Cit,p277

(49)–و هي مدينة كبيرة في غربي تركيا الأسيوية فتحها اورخان بن عثمان سنة 1326م و اتخذها العثمانيون عاصمة لهم إلى فتح القسطنطينية

و نتيجة لعدم تناسب مستواه الفكري مع الواقع العثماني بمدينة بورسة، و نتيجة للغة المختلفة ' لم يستطع الأمير عبد القادر التكيف مع هذا الواقع البعيد عن تأملاته ،و أفكاره، لذا فضل الذهاب إلى مدينة دمشق [50] التي تتناسب معه في اللغة و يستطيع خلالها التكيف مع واقعه الفكري و الثقافي.
حينها كتب إلى السفارة الفرنسية ، معبرا عن رغبته للتوجه إلى بلاد الشام ،فكان له ذلك سنة 1855 في 26 ديسمبر [51] .

VI – 2– دمشق

استقر الأمير عبد القادر في سوريا عاصمة الأمويين سنة 1855 ، و قد تزامن وصوله هذا إلى منطقة الشرق الأدنى في وقت كانت فيه الدولة العثمانية في حرب مع روسيا ، و هي حرب القرم التي شاركت فيها كل من فرنسا و انجلترا، إلى جانب الدولة العثمانية ، لوقف تهديد روسيا لها وانتهت هذه الحرب بمعاهدة باريس سنة 1856 .

و أثناء وصوله خرج وامق باشا والي بيروت لاستقباله و اجتمع أمراء ارسلان و مشايخ الدروز لملاقاته مع رجالهم على الطريق المؤدية من بيروت إلى دمشق ، و بعد وصوله إلى دمشق ،خرج في استقباله محمود نديم باشا والي دمشق ،و معه عزت باشا رئيس العسكرية ، و غيرهم من أشراف دمشق و علمائها و أعيانها إلى قرية دمر،و استقبلوا الأمير عبد القادر استقبالا حارا ، و اختار والي دمشق للأمير عبد القادر بيت ألقباقيبي ، و هو محل إقامة الحكومة [52] .

و قد اهتم خلال إقامته بدمشق بالبحث و التدريس كما اهتم بشرح النصوص الرئيسية مثل صحيح البخاري بالمدرسة الشرفية ، بينما بالمدرسة الجقمقية يعلق خلال عدة أشهر على مؤلفات العلوم القرآنية لمؤلفين مصريين تقليديين جلال الدين السيوطي و احمد بن مبارك ، كما كان يقرا و يشرح الكتاب الذي يعرض الرؤى الروحية لعبد العزيز الدباغ وغيرها من الدراسات .

---

(50)– إن هذا هو السبب الحقيقي و ليس ما سرده شرشل عن أسباب رغبة الأمير عبد القادر للانتقال إلى دمشق و هي كثرة الزلازل خصوصا منها زلزال 1855

(51)– Bruno ETIENNE ,Op.Cit,pp279-281

(52)– و هما داران متلاصقان بينهما باب من داخلهما و قد سكنها الأمير عبد القادر و عائلته بعد انتقال الحكومة منها، و كانت ضيافة الأمير عبد القادر و عائلته في ولايتي بيروت و دمشق جارية بين الولايتين بأمر من الدولة العلية .

و رغبتي في التطرق إلى نفي الأمير عبد القادر بدمشق هو تسليط الضوء على إشكالية بالغة الأهمية و هي كالتالي:

ما مدى مصداقية استخدام نابليون الثالث للأمير عبد القادر في دمشق من اجل سياسته التوسعية في بلاد الشام ؟ [53]

إن مساهمة الأمير عبد القادر في إنقاذ المسيحيين كانت بالنسبة إلى المؤرخين الأوروبيين الغير معتدلين وسيلة هامة لصياغة العديد من التهم بالأمير عبد القادر و اعتباره عميلا لفرنسا ببلاد الشام ، لهذا علينا التعرف أولا على الهدف الحقيقي من مساهمة الأمير عبد القادر من إنقاذ المسيحيين .

III – 2-1- فتنة دمشق 1860 و موقف الأمير عبد القادر منها.

إن مساهمة الأمير عبد القادر في إنقاذ المسيحيين ، تتبع من تنبهه و إدراكه للنوايا الحقيقية لفرنسا و انجلترا في محاولة منها لاحتلال بلاد الشام ، و بهذا الفعل فقد خيب ظنها فيما كانت تسعى إليه ، و هو تقسيم تركة الرجل المريض بحجة الدفاع عن الرعايا الأوروبيين و الأقليات بالمنطقة و بهذا فقد انقض الأمير عبد القادر ليس المسيحيين وحدهم و إنما أيضا انقض الخلافة العثمانية .

ففي الوقت الذي لم يقم فيه احمد باشا و لا شاكر باشا رئيس أركان الحرب ،و لا احد من أعضاء المجلس الكبير ،و لا من العلماء ،و لا أي فرد يمت بصلة قريبة أو بعيدة إلى الحكومة بالنزول إلى الشارع ، و لا ببذل أية محاولة لوقف الفوضى ، عمل الأمير عبد القادر مع رجاله الجزائريين ، على إنقاذ اكبر عدد ممكن من البؤساء يقدر على إنقاذه ، رغم تفاجئه بالأحداث لأنه كان عائدا من القرية في ذلك اليوم الذي نشبت فيه وهو 1860/07/10-21 ذي الحجة 1276ه [54] .

و مع ذلك لم يفقد جأشه و جمع رجاله بسرعة كما اتصل بالقنصلية الفرنسية لإحضار لانوس LANOSSE و ماكييف MAKIEFF ، و قد كانت الثورة تملا الشوارع ، كما هوجمت القنصلية الفرنسية ، لهذا لم يتمكن وصول هؤلاء إلى الأمير عبد القادر إلا بشق الأنفس .

---

(53)- و هذا ما تناقلته الأوساط الأوروبية على لسان إيميري انظر :

Xavier YACONO, Abdelkader agent de la politique française dans la proche orient, Revue historique, Avril –Juin, PARIS, 1969, pp529, 530

(54)- صم منور ، الأمير عبد القادر و أحداث الستين 1860من خلال الوثائق الفرنسية ، رسالة دكتوراه دولة ، وهران، 1971، ص 232

و قد تم الإشراف على الوسائل اللازمة لإنقاذ المسيحيين و الاتفاق مع الأمير عبد القادر على ذلك ،و رغم انه لم يتمكن أن يوقف الحركة من أولها ، إلا انه عمل مع رجاله الجزائريين على إنقاذ اكبر عدد ممكن من المسيحيين و أصبح بذلك إحدى عشر ألف من المسيحيين ، يدينون له بحياتهم و قد انزل بعضهم في داره ، و البعض الآخر في الحي الذي يعيش فيه [55]

و رغم ذلك استمرت المجزرة حتى 16 جويلية ، عند وصول محمد باشا والي دمشق الجديد و معه ثلاث آلاف رجل من الجنود النظاميين فأحاطوا بالمدينة ، و أمر محمد باشا بنزع السلاح من الجميع ، و في اليوم الموالي أي في 17جويلية أوعز إلى المسيحيين أنهم في أمان و في وسعهم أن يخرجوا من القلعة امنين ، بيد انه ، لا احد منهم تجرا على القيام بهذه الخطوة دون أن يكون مخفورا بالجزائريين حتى 19 منه [56] . و بعد ذلك هدأت الأحوال في دمشق ، و قد اتهمت السلطات العثمانية بان كانت لهم سوء نية تجاه المسيحيين و الأوروبيين ، كما اتهموا بالمشاركة في أعمال عنف ضد المسيحيين [57]

و هكذا فقد عمل الأمير عبد القادر و أتباعه من الجزائريين، على تامين خطوط المواصلات بين دمشق و بيروت، و تامين قوافل اللاجئين، علاوة على مساهمتهم في المحافظة على حالة الأمن في دمشق ، بعد قيامهم بإنقاذ أرواح المسيحيين و الأجانب ، و أهم ما قدمه الأمير عبد القادر بإنقاذه لهذه الأرواح هو إنقاذ الخلافة العثمانية كما سبقت الإشارة إلى ذلك من تقسيم ممتلكاتها ،و التوسع على حسابها في بلاد الشام ، و إن تدخل الأمير عبد القادر نابع عن علمه و ادراكه بان هذه الفتنة بدمشق ليست سوى مؤامرة محاكة من طرف الدول الأوروبية لا سيما فرنسا و بريطانيا لإحداث قلاقل مع بعض العلماء لإيجاد ذريعة للتدخل في شؤون الخلافة العثمانية كما حدث مع ذريعة المروحة في الجزائر .

و قد تزامن ذلك مع الظروف السيئة التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية من الناحية المادية و المعنوية ، خصوصا منها فراغ الخزينة ، و رغبتها في الحصول على قرض جديد في سوق باريس المالي ، و هذا ما حاولت فرنسا استخدامه كذريعة للضغط على الدولة العثمانية و الحصول على مكاسب في بلاد الشام [58] .

(55)- صم منور ، المرجع السابق، ص 233

(56)- المرجع نفسه ، ص 235

(57)- المرجع نفسه، ص 238

(58)- المرجع نفسه ، ص 258

و نتيجة لهذه الأعمال الإنسانية التي قام بها ، فانه حصل على تقدير العالم، و قد كان الشخص الوحيد الذي زاره فؤاد باشا عند وصوله إلى دمشق ، وقد عبر القنصل الفرنسي اوتري OUTERY ان هذه الامتيازات التي حصل عليها الأمير عبد القادر هو جدير بها ، و نتيجة لهذا العمل اصدر نابليون الثالث و باقتراح من وزير الخارجية مرسوما في 05 أوت 1860، بمنح الأمير عبد القادر الوسام الشرفي و هو الصليب الأكبر من نظامه الإمبراطوري ،" La légion d'honneur " لكي يظهر بالطريقة الأكثر وضوحا ذلك التقدير الذي يكنه له و الاحترام [59] .

كما اظهر فؤاد باشا تقديره للأمير عبد القادر و رجاله ، في كل مناسبة و اظهر السلطان رضاه عليه و انعم عليه بالنياشين ذات الشأن العالي من المرتبة الأولى ، عنوانا على حسن توجيهاته و جميل تفانيه و من بين هذه النياشين الوسام الهمايوني ألمجيدي [60] .

و ما لاحظناه أن حتى هذه النياشين و الأوسمة الشرفية كانت ضد الأمير عبد القادر، فقد صيغت العديد من الإشكاليات حولها و لكن لا يسعنا هنا ذكرها لأنه خارج عن إطار الدراسة التي نقوم بها .

و انطلاقا من هذا ، فإننا سنحاول الوصول إلى تحليل فكرة أن نابليون الثالث استخدم الأمير عبد القادر في دمشق لسياسته التوسعية .

إن هذه الأطروحات، في حقيقة الأمر ليست سوى تهم و تضليل ، ليس لدينا ما نستدل به ، لكن الواقع التاريخي الذي فرض على الأمير عبد القادر ينكر ذلك .

للإجابة على هذه الإشكالية علينا أولا أن نتعرف على موقف السلطات الفرنسية من تعاظم قوة الأمير في دمشق.

إن السلطات الاستعمارية عندما نفي الأمير عبد القادر في بلاد الشام لم تكن تتوقع نجاحه ، و ارتكزت في ذلك أن عبد القادر لم يكن معروفا ، فلم يناصره احد ، و لم يؤيدوه ، و بالتالي فوزنه كان خفيفا في بلاد الشام ، و عندما تدخل لإنقاذ المسيحيين ، بدأت السلطات الاستعمارية تتخوف من قوته في بلاد الشام ، و من عدد الجزائريين المنظمين تحت لوائه ، و في نفس الوقت تخوفت من أن يقوم بأي دور في الجزائر– و هذا ما كان يخطط له اذا ما توفرت الظروف– لهذا بدأت في البحث و الدراسة و المدى الذي يمكن أن تأخذه هذه الحركة و مدى تأثيرها على القطر الجزائري .

(59)– صم منور، المرجع السابق ، ص 245

(60)- عادل الصلح ، سطور من الرسالة : تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877، تقديم و تعليق : صم منور، بيروت، 1966 ، ص 176

إن هذه النظرة الفرنسية هي دليل على جهلها التام بإمكانية نجاح الأمير عبد القادر في بلاد الشام، و لم تكن تتصور أن يقوم بدور يؤدي به إلى النجاح ، و لهذا لم يكن في وسعها أن تفكر في استخدامه

و الأهم من ذلك فان السلطات الفرنسية لم تكن بحاجة للأمير عبد القادر لتسيير سياستها الاحتلالية في بلاد الشام ، لان هذه المنطقة كانت تعرف ازدياد كبير للطوائف المسيحية ،و انتشار الكنائس الكاثوليكية ، و لهم بعثات ثقافية تلعب دور الجوسسة ، و إن نمو العناصر المسيحية في بلاد الشام أصبحت ممثلة من النواحي الاقتصادية و المالية ، و السياسية و أيضا العلمية ، و قد ساعد خط هيمايون على سرعة السير في هذا الاتجاه [61] .

و هذا التطور السريع أدى إلى تزايد ثروة المسيحيين و أصبحوا بذلك يمثلون موجة متزايدة شيئا فشيئا ، إلى جانب أن هؤلاء التجار لعبوا دورا كبيرا في الجوسسة ، كما كان لهم قناصل يعملون تحت تصرفهم ، و مدارس و مطابع ، و غيرها ، لهذا فان فرنسا لم تكن بحاجة إلى الأمير عبد القادر لتحقيق مشاريعها التوسعية ، بل على العكس من ذلك فهو من أنقذ بلاد الشام بفطنته ، و ذكائه و صموده من الاحتلال و التوسع على حسابه .

و نقطة أخيرة سنتحدث عنها و بكل اختصار و هي ما جاء به عبد الجليل التميمي حول حب الأمير عبد القادر للمال و الثروة في السنوات الأولى من نفيه إلى دمشق [62] .

نحن نقول أن هذه النظرة غير واردة إطلاقا ،خصوصا و انه لو كان الامير عبد القادر كذلك ما كان سيمنعه من امتلاك الثروة في الجزائر عندما كان اميرا ، بل على العكس من ذلك فانه كان إنسانا بسيطا ، يرتدي ملابس بسيطة و ليست فاخرة، كان يملك خيمته و جواده و ما يأكله من الروينة فقط ، و أثناء اعتقاله في فرنسا عرضت عليه أملاك و أراضي شاسعة و لكنه رفضها ، و قد سبق و أن تحدثنا على ذلك في الفصول السابقة .

---

[61]– صم منور ، المرجع السابق، ص ص 136،137

[62]– قدم عبد الجليل التميمي هذه الدراسة بادئ الأمر في المؤتمر الدولي الثاني لبلاد الشام1939، المنعقد بدمشق من 27نوفمبر إلى 03 ديسمبر 1978 ، و بعدها قدمها بالغة الفرنسية في الأسبوع العالمي للدراسات المتوسطية و الحديثة للبحر المتوسط المنعقد في معهد الدراسات الإفريقية و الشرقية بجامعة ايطاليا و كانت معنونة ب : الأمير عبد القادر الجزائري في السنوات الأولى من إقامته بدمشق، 1855-1860 .

أما في بلاد الشام ، فعلينا أن نتعرف على عدد المهاجرين الجزائريين من قبل بن سالم و بعده إن وجود الأمير عبد القادر بعيدا عن وطنه الذي دافع

عنه بالنفس و النفيس ، جعله يشتاق إليه و عندها فقد تكلف بشؤون كل الجزائريين المهاجرين المقيمين بدمشق ، و بما أن عدد المهاجرين الجزائريين كبير ، بدون أدنى شك –و للأسف نحن لا نملك الإحصائيات لأننا في حقيقة الأمر لم نجد الوقت الكافي للبحث في هذا الموضوع – و لهذا فقد كان الأمير عبد القادر يوفر لهم السكن و الأكل و الملبس و التعليم و غيرها من ضروريات الحياة، و هذا ما يتطلب منه مالا كثيرا ، و للحصول عليه كان يمارس دبلوماسية معينة ليلبي طلبات الجزائريين ، أما القصور التي تحدث عنها فهي ليست سوى أحواش ، لان القصر يختلف تماما عما كان يملكه الأمير عبد القادر ، فالقصور الحقيقة هي قصور البايات التونسيين ، و السلاطين المغاربة .

و هكذا فان الأمير عبد القادر لم يفقد صبره و لا جأشه، للمواصلة حتى نهاية المشوار ، فقد لعب دورا كبيرا في الجزائر ، و دورا في فرنسا ، و دورا في دمشق ، و هذه الأدوار جعلت له أعداءا كثيرين، و كل ما كان يقوم به كان يفهم بطريقة مغايرة تماما للحقيقة ، و ذلك كله بالدس من الاستعمار الفرنسي للقضاء على رمزيته ، و لكن رغم هذه المحاولات إلا أنها باءت بالفشل .

لقد كانت حركة الأمير الجهادية و محاولته بناء دولة جزائرية حديثة استجابة موفقة لتجاوز العجز الذاتي الذي عاشه العرب و المسلمون لعدة قرون بعد أن تحطمت قدراتهم الذاتية ، فالمحلل لمعطيات التاريخ الجهادي يرى أن هذه التجربة كانت موفقة إلى أقصى حد بالرغم من قصر مدتها ، وذلك لتوافر ثلاث صفات فيه قلما تجتمع في غيره ، الأولى لها بعد عسكري سياسي ، الثانية ثقافية ، و الثالثة دينية .

و لان المهمة كانت جسيمة و حاسمة و الرهانات مصيرية ، فقد ألفينا الأمير يستغل كافة الفرص لدعم مشروع بناء الدولة ،خاصة الاعتماد على بعض الأوربيين في الجانب التقني ، و أهم ما قوى مكاسبه تلك الهدنة (تافنة خاصة) و التي سمحت بحرية تنقل الأفراد و البضائع و الزيارات .

و للوصول إلى الهدف المنشود و هو تحقيق مشروعه القاضي بإنشاء الدولة الجزائرية ، انطلق الأمير عبد القادر بمشروعه السياسي و الذي لا تمثل فيه الحرب إلا عامل من عوامل الصمود ، و هكذا فقد أسس لمقومات السيادة السياسية ، لان الجزائر حتى و إن انهزمت عسكريا فإنها تنهزم كدولة و ليس كقبائل مشتتة .

و بالتالي فالأمير عبد القادر رمن هذه المسألة و جعل الجزائر تقاوم كدولة بسيادتها، و تنهزم كدولة بسيادتها ، و هكذا فصراعه هذا اقتضى منه عدة أدوات :

1- الأداة السياسية وتتمثل في المعاهدات و المفاوضات.
2- الأداة الدبلوماسية و هي أن تتواصل من خلال الرسائل و إدماج العلاقات الدولية في القضية الجزائرية.
3- الأداة العسكرية كوسيلة و ليس كأداة، بمعنى أن الحرب بالنسبة له أداة لتحقيق ميزان القوى السياسي.
4- المسالة الاتصالية الحضارية ، بمعنى انه كان يدرك الصراع بين الغرب و الشرق و التفاوت الحضاري بينهما و هذا ما جعله يدرك تماما ضرورة وجود دولة حديثة تلم كل ابناء الجزائر ، على عكس الحكم العثماني الذي تميز بالحكم الانفرادي . و الأهم من كل ذلك و هي التضحية بالنفس و الولد من اجل الوطن.

و بالتالي فان الأمير عبد القادر يعتبر حالة متميزة في عصره ،لذا لا يجب حصره في معاهدة او نصوص و إنما دراسة شرعيته يتم وفق مسار عصره و ما أنجزه ، و في إطار المقاييس القانونية لمفهوم الشرعية .

و هكذا فعندما سطر الأمير عبد القادر لمشروعه كان في مأزق حقيقي:
1- محاصرة القوات الفرنسية له خوفا من القيام بمشروعه أكثر و هذا ما سيؤثر على مطامعها في الجزائر.
2- منطق التفكك في الجزائر بمعنى شيوع الزعامات المحلية و تمزق إن صح القول النسيج الاجتماعي
3- إلى جانب مطامع السلطان المغربي ، و هذا ما أدى إلى انهيار التضامن السياسي ، و مع ذلك لا ننفي بوجود بعض القبائل المغربية المؤيدة للمقاومة الشعبية في الجزائر.
اذن فهذه النقاط الثلاث قوضت الطاقة العسكرية لجيش المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر و أدت إلى نهاية المشروع الأميري 1847.

ومما سبق الإشارة إليه فان جهاد الأمير عبد القادر فرض على فرنسا أن تتعامل مع هوية سياسية ، و سيادية ، و شرعية ، بحيث أصبح يمثل حالة لا يمكن لفرنسا ان تحل محله .
لذلك فيمكن القول أن انتصار فرنسا على الأمير ، كان انتصارا شكليا فقط ، بمعنى أن الأمير عبد القادر عرف أن المشروع لا يمكن أن يستمر أكثر من ذلك ، لأنه أصبح وحده مع مشروع ، لذلك فقد طرحت مسالة تغيير ميزان القوى و التي لم يتمكن خلالها من ان يحقق مشروعه لا جزئيا و لا كليا .

فالفرنسيين عرفوا أن فشل هذا المشروع هو وجود الأمير كأمير ، حدا للمشروع الفرنسي في الجزائر ، و لا يمكن ان يتحقق مشروعهم المعلق ، إلا إذا:

1- انتهى النفس الأميري كمشروع قائم بصفة من الصفات .
2- الخطة الفرنسية لنزع الرمزية الأميرية ، كي لا يبقى رمزا للهوية في المخيلة الجزائرية ، فهذه القضية هي من اخطر القضايا التي تهم الأمير

إن وقف الأمير عبد القادر للقتال كان مشروطا بنقله إلى عكا او الإسكندرية بتدعيم من الجنرال لاموريسيير و مصادقة الدوق دومال ، إلا أن هذا الشرط لم يطبق و اعتقل الأمير عبد القادر و أطفاله ، و هذه الحالة أدت بالاستراتيجي العسكري و رفاقه إلى سنة اعتقال في طولون و بو ، و04 سنوات إقامة جبرية في امبواز ، ورغم شجاعة الأمير عبد القادر أمام يمين الزور إلا انه صدم اتجاه هذا الإجراء و الانتهاك لحقوقه لا سيما منها حقوق الأطفال و النساء

لقد شكل اعتقال الأمير عبد القادر حدثا فخريا لفرنسا في بداية الأمر و الذي سبب هدوءا نسبيا للرأي العام الفرنسي في اضطراباته الداخلية و أزماته الخارجية

بموازاة مع الدول الأوروبية كانجلترا ، خصوصا بعدما تجاوزت كل التزاماتها القانونية و الأخلاقية اتجاهه .

فمن خلال هذه الدراسة تم الوصول إلى **النتائج الأساسية** التالية :

1- إن اعتقال الأمير عبد القادر هو تعسفي، لم تراعى فيه أي ضمانات قانونية، وبهذه الخيانة قد ضربت فرنسا عرض الحائط بكل رةبنـــود الثـــو الفرنســـــــية

2- عدم نجاح مبادئ الثورة الفرنسية ما دام أنها لم تطبق المساواة و العدل أمام القانون الفرنسي في قضية اعتقال الأمير عبد القادر ،على الرغم من ادعاءاتها لأول من دعا بمبادئ حقوق الإنسان.

3- لقد أمضى الأمير عبد القادر فترة اعتقاله معلما و مفكرا و إماما ، و خلف تراثا أدبيا في هذه الفترة،لا سيما منها امبواز ، و التي لا زالت تحتاج منا إلى الدراسة و التحليل لا سيما المختصين في هذا المجال .

4- إن تحويل القصور الحضارية في فرنسا إلى معتقلات و التي أثارت حفيظة الرأي العام ،كما سبق الإشارة إلى ذلك، هي دليل واضح على الاعتقال التعسفي للأمير عبد القادر و رفاقه .

5- إن اتهامها للأمير عبد القادر بالمجرم السياسي ليس صحيحا خصوصا و انها تعلم جديا انه كان يمارس دفاعا شرعيا عن حقه و حق الشعب الجزائري في العيش بكرامة و التمتع بحقوقهم في بلادهم ، و إن كانت هذه التهمة صادقة لاستطاعت الحكومة الفرنسية ان تعلن عن اعتقالها للأمير عبد القادر أمام الصحافة الدولية و الوطنية ، إنما ظلت تنكر اعتقالها له و دائما أمام سخرية أوروبا منها كانت تدعي بأنه ضيف على الأراضي الفرنسية ، و هذا غير صحيح بالدليل و البرهان .

6- إن الأمير عبد القادر لم يكن فرنسيا و لم يحمل بطاقة انتخاب و لا الجنسية لذلك ما سرده لنا بول أزان ليس سوى تهم دافعها الحقد ، و لان الأمير عبد القادر أدرك جيدا الخطة الفرنسية التي تدعوا إلى القضاء على رمزيته ،و استطاع التخلص منها بدبلوماسيته المعهودة ، فلم يبق أمامها و مؤرخيها سوى القضاء على رمزيته عن طريق إظهار الأكاذيب باحتوائه ، وانه أصبح فرنسيا و هذا ما تفطن له أبناء الجزائر .

اما النتائج **الثانوية** التي خرجنا منها من هذه الدراسة نوجزها فيمايلي :

1. لقد عاش الأمير عبد القادر حربا و سجنا و نفيا و اقصاءا عن الوطن و سار مليا لروح التدريس و المعرفة الدينية ، وان توقيفه للمقاومة و اعتقاله كانت بالنسبة له هي العملية الأكثر وجعا في حياته كلها ، خصوصا المعاناة المادية و المعنوية التي تعرض لها .

2. النظام السياسي الفرنسي آنذاك كان هش ، و خصوصا إن وزراء الحربية كانوا يتحكمون في الأمور السياسية للدولة ، و بما أن معظم الوزراء هؤلاء واجههم الأمير عبد القادر فإن حقدهم عليه غذته الروح الانتقامية جعلتهم يقفون ضد أي مبادرة لإطلاق سراحه .

3. لو وجد الأمير عبد القادر تكاثف عربي و وطني لقضيته لما أوقف القتال ، و لما تعرض إلى الاهانة و التضييق طيلة خمس سنوات مرت من حياته فقد فيها كل الغالي على قلبه بدا من أولاده إلى غاية زوجاته و رفاق دربه

4. كما لاحظنا عدم وجود أي زيارات أو ردود فعل من الدول العربية اتجاه الخديعة التي تعرض لها، وعكس ذلك العديد من الفرنسيين رغبوا في زيارته و تحقق لهم ذلك.

5. فكل الطبقة المثقفة الفرنسية أمثال لامارتين و فيكتور هيغو و لا حتى وزراء العدل و رجال الكنيسة استطاعوا ان يغيروا من وضعيته شيئا ،و وهنوا لما أقدمت عليه وزارة الحربية و نكرانها للوعد المقدم ، ما عدى بعض التعاطف الذي أبداه بعض رجال الدين أمثال دوبوش و الأب رابيون كما سبق الإشارة إلى ذلك .

6. الأمير عبد القادر كان ضحية التغيرات السياسية في فرنسا .

كما لا يفوتنا هنا الإجابة على الفرضيات المطروحة، فمنها ما تم تصديق صحتها و منها ما تم إنكارها:

– إن اعتقال الأمير عبد القادر هو غير شرعي وغير أخلاقي، و هذا دليل على التجاوزات الخطيرة التي قامت بها ، خصوصا و إنها من دعاة حقوق الإنسان ، و إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عدم استفادتها من بنود الثورة الفرنسية شيئا ، و أنها أضحت حبرا على ورق .

– لم يشارك الأمير عبد القادر في الانتخابات في فرنسا ، لأنه لم يكن يحمل الجنسية الفرنسية ، كما انه كان موجودا على الأراضي الفرنسية مجبرا و مكرها و ليس اختياريا .

و بالتالي فإننا نلاحظ حجم التضحية التي قدمها لنا الأمير عبد القادر، لأنه اظهر للشعب الجزائري خلال مقاومته للفرنسيين طريق الخلاص و الذي يتمثل في المقاومة الشعبية، وأراد أن يجعل الشعب صاحب القضية لأنه غرس فعلا بذرة الحرية والمحافظة على الكرامة الإنسانية
* **ديمومة المطالبة بالثورة** * فظهرت الثمرة في حرب التحرير 1954 بمعنى تواصل الأجيال، و قطف الثمرة كان في 1962.

إن مشروع الأمير عبد القادر متكامل المعالم، و كان يجيب على مقتضيات الرهان المطروح أمامه ،و لذا فان مخارج هذا المشروع الذي حاول تحقيقه لا نفسرها من حيث الفكرة أو المنهج أو الوسائل، و إنما بالحديث من زاوية القوى التي كانت تتحكم في الصراع في القرن 19 م، بمعنى ان مشروع الأمير يندمج ضمن صراع النماذج في القرن نفسه، فان لم يتمكن في النهاية من تحقيق الانتصار العسكري و السياسي و الحضاري ،الا انه النموذج الأكثر فعالية ، و نهاية المشروع الأميري تركت في البلاد حركات جهادية لا ترقى إلى ما كان عليه الحال مع المشروع الأميري ،لكنها و بالرغم من صدق جهادها ،و قوة تضحيتها، و نبل مقاصدها ،فإنها في الأخير كانت تجمع في رؤية محلية للنظام الفرنسي ،و لم تكن تمثل خطرا عليه ، بل كتشويش و تهديد محلي فقط ، ولهذا فبنهاية المشروع الأميري تمكن الفرنسيون من تحقيق الجانب الاستراتيجي السياسي للبلد

من خلال هذه البحوث ، اكتشفنا بان أرشيف الأمير عبد القادر قليل و سري حول هذه الفترة ،نظرا لعدم اهتمام المؤرخين بها ، خصوصا و إنها لا تشرف فرنسا إطلاقا، لان اعتقال الأمير عبد القادر كان يظهر الحنث الفرنسي على التعهد المعطى ، و كذا تجاوزاتها الخطيرة لذلك نرجو أن تكون في المستقبل القريب دراسات كثيرة حول هذه الفترة، خصوصا بأقلام جزائرية تسلط الضوء على هذا الموضوع بقلم نوعا ما موضوعي، بعيدا عن التحيز و الذاتية المفرطة المزيفة للحقيقة التاريخية، و بالاستناد إلى الأرشيف بما يخدم الدراسة المرجوة.

وفي الأخير نقول أن الأمير عبد القادر كان مدركا لمقتضيات الصراع مع العصر ، لذلك فبقدر ما كان مرنا في تعامله مع الفرنسيين في المفاوضات ، بقدر ما كان رافضا الى الوجود الفرنسي في الأراضي الجزائرية و هذا ما جعل

الحرب تطول و تكشف كل تناقضات المجتمع الجزائري ، بمعنى أن الأمير عبد القادر ما كان قابلا للانهزام، فكمشروع و رؤية و تخطيط لم يكن قابلا للهزيمة ، بل أن الهزيمة جاءت خارج رؤية الأمير عبد القادر .

اذن ان دراسة الامير عبد القادر تتم وفق ثلاث اتجاهات :

1- التفكير الدنيوي : الذي ينهض علم الجمال الادبي ، البيئي .
2- التفكير الديني الروحي : و الذي ينبثق من الصوفية (المواقف)
3- التفكير الديني – السياسي : و الذي يهتم يقضية الجهاد (المقراض الحاد)

و في وسط تسوده العصبيات القاتلة ، و المنهج السياسي الاستبدادي و التعسفي ، و في عالم تنتشر فيه الروحانيات الأسطورية ، الأمير عبد القادر في هذا العالم استطاع عن طريق البيعة و الجهاد و كذا صورته العالمية ، و المعرفية ان يتحول تفكيره و جهده من أمير جهاد إلى أمير مفكر حول نقطة (منهج) سياسي .

كما عرف جيدا أسباب انحطاط الدول الإسلامية واستراتيجياتها ، و أولوياتها ، لأنه عرف بضرورة إعادة هندسة الثقافة العربية و بعث الهوية التي تحطمت بسبب المنهج الذهني العربي ، خاصة تلك الأفكار الدينية و العصبية ، لذلك فمصادر حضارة الشرق لم تغب عن الأمير عبد القادر سواء في قوته العسكرية ، او من خلال تعامله بالمنطق الاجتماعي ، و كذا في طرق تفكيره و في أوامره السياسية . و قد تدعمت هذه الفكرة خاصة بعدما اعتقل بفرنسا .

و يجدر بنا في الأخير ذكر **بعض آفاق الدراسة:**

يظهر بوضوح أن هذا الموضوع واسع النطاق، و متعدد الضمنيات لا يمكن دراسته إلا في إطار التحليل ، ونظرا لسعة هذا الموضوع و رغم جهودنا الكبيرة في محاولة الإحاطة بجوانبه المختلفة قدر المستطاع ،إلا أننا على يقين أن هذه الدراسة ما تزال قاصرة من حيث مضمونها ، سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية :

فمن **الناحية النظرية:** تفتقر إلى التحليل الصائب للنصوص و الوثائق المتبعة في الدراسة، بالمعنى و الطريقة المنهجية الصحيحة التي تعلمناها من طرف أساتذتنا الأفاضل.

أما من **الناحية التطبيقية:** فهو يفتقر إلى المادة الأرشيفية الكافية التي تغطي كل جوانب الموضوع، بما فيها إشكالية الوفيات و التقارير الطبية الصادرة في حقهم، إلى جانب التركيز أكثر و التحليل الجدي حول إشكالية الحبس التعسفي

للأمير عبد القادر و رفقائه ، إلى جانب مداولات البرلمانيين **PV** المتعلقة بقضية اعتقال الأمير عبد القادر و غيرها من النقاط التي مازالت الحاجة إلى دراستها ملحة أكثر .

و نتيجة لما سبق تتولد لدينا الرغبة مستقبلا في محاولة إتمام أوجه النقص بشان الموضوع محل الدراسة للوصول إلى نتائج علمية أكثر منها نتائج نظرية.
ولذلك تتبادر إلى ذهننا مستقبلا معالجة الإشكالية التالية:

ما مدى انعكاس اعتقال الأمير عبد القادر على الأوضاع الداخلية في الجزائر ؟

و كيف نفسر الوفيات المتكررة في صفوف الأطفال بالمعتقلات الفرنسية دون سابق إنذار ؟ و هل فعلا كانوا كحقل تجارب للأدوية الفرنسية ؟

و في الأخير أملي أن أكون قد وفقت و لو نسبيا فيما اهتديت إليه، و إن اخطات فذاك مبلغي من العلم و خير ما اختتم به **قوله تعالى* و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا ***

صـــدق الله الـــعـــــظيم

باللغة العربية:

ص: صفحة

ص ص : من صفحة ..إلى صفحة ..

ا.ح.ت : أرشيف الحكومة التونسية

باللغة الفرنسية:

pp; de la page à la page

p : page

O.P.U: Office de Publication Universitaire

D: Dahleb

L.D: Librairie de Dietrich

H: Harmattan

P.F, Petit Futé

E.C: Edition Complexe

C.N.L, Centre National de Livre

M.L: Maisonneuve Larose

E.J.G : Edition Jacques Gandin

E.C.C: Edition le Clere et Cie

E.F.M: Edition Frederic Murhard

L.F: L'Armonial Français

B.D.M: Bureau des Deux Mondes

E.A.V, Edition de A .de Vresse

C.A.O.M, Centre Des Archives d'Outre –Mer

E.D, Edition Didier

C.R.S.F, Centre de la Recherche Scientifique Français

L.H, Librairie Hachette

P.M: P.Martinon

S.B.F: Société Botanique de France

A.S.B.L.A: Académie des Sciences Belle Lettre et Arts

E.T, Edition Tournon

E.P: Edition Plon N

E.V.P: Edition Ville de Pau

E.B, Edition Bouchene

P.U.F: Presse Universitaire de France

D.G: Découvertes Gallimard

I.M.A, Institut de Monde Arabe

C.E: Casbah Edition

J.D, J Dumaine

I.P, Ibis Press

E.P: Edition Pygmalion

F.D, Firmen Didot

A.G.D.P.G.B: Archives Générale Dominicaine de la Présentation la Grande Breteche

H : La série

S.H.D: Service Historique de la Défense

R.A: Revue Africaine

R.H: Revue Historique

D.G: Dépôts de la Guerre

E.F, Edition Fayard

E.D.R: Edition Dar el Rharb

M.Q: Maison Quantin

الجدول رقم 01: لأهم المعارك التي خاضها الشيخ محي الدين و ابنه عبد القادر في بداية الجهاد ضد الفرنسيين. و قبل بيعة عبد القادر أميرا

الجدول رقم 02: الإطار ألزماني و المكاني لبيعة عبد القادر أميرا.

الجدول رقم 03 : الإطار ألزماني و المكاني لدخول و خروج القوات التونسية إلى وهران .

الجدول رقم 04 : الإطار الزماني و المكاني لدخول و خروج القوات المغربية إلى منطقة وهران .

الملحق رقم 01 : Département des archives de la ville d'Amboise, Lettre de l'Emir Abdelkader à Mme Maurice LEFOUR, 1853

الملحق رقم 02 : أرشيف الحكومة التونسية : مراسلات زكي كرطوزو مع حكومته حول طلب . الأمير المساعدة منه في شراء السلاح مؤرخة سنة 1841. صندوق 78 ملف 229،

- وثيقة رقم 04
- و وثيقة رقم 05 مؤرخة في ماي 1847.
- وثيقة رقم 06 ، مؤرخة في جوان 1847

الملحق رقم 03 : service historique de la défense , Armée de terre ,S cart. 1H97, Le Plans de la bataille d'Isly
// - Rapport sur la bataille D'Isly du Maréchal BUGEAUD
// Ordre de Marche de l'armée commandée par le Maréchal BUGEAUD (la tête de sanglier de BUGEAUD)

الملحق رقم 04: SHD, 1H28 : Traité du 18 Mars 1845 entre l'empereur des Français, l'empereur d'Algérie et l'empereur du Maroc le traité porte sur la mutuelle reconnaissance des possessions des Deux empereurs ,1845.

الملحق رقم 05 : Archives nationales d'Aix en Provence, Archives nationales du gouvernement de l'Algérie, E229/1 , Les Arabes venus de L'Algérie avec les frères d'Abdelkader, 1847

الملحق رقم 06 : SHD, Dépôt de la guerre 1H123,- JANVIER N-16 à joindre au N-13: Lettre d'Abdelkader au général de Lamoricière, DECEMBRE 1847
- JANVIER N-17 à joindre au N-13; Réponse du général de Lamoricière à Abdelkader, DECRMBRE 1847

الملحق رقم07 : SHD, Dépôt de la marine , Mars1982 : Notice sur La frégate à vapeur l' Asmodée 1840-1865

لملحق رقم08 : Le TOULONNAIS, journal du var et de l'Afrique, Décision de la cour royale d'Aix pour l'insertion Des annonces légales dans l'arrondissement De Toulon, N-2037, Dimanche, 20 février 1848

الملحق رقم 09 : Archives Nationales –Dépôts des archives d'outre –mer,
cart. E229/5, Contrôle nominatif des arabes de la suite de l'ex-émir
Hadj Abdelkader qui n'ayant pas été
Désignés pour l'accompagner à PAU et devront être dirigés
Sur l'île SAINT MARGUERITE

الملحق رقم 10 : Archives départementales de la ville de PAU, .
A32.173, A32.181 Des photos sur le château de Pau

الملحق رقم 11 : Archives communales de PAU : Délibération du conseil
Municipal, portant concession d'un terrain : AM PAU.1D1/21, N101N

الملحق رقم 12 : **,** Des photos des tombes de Abdellah , fils de l'Emir Abdelkader et
D'autres enfants des personnes qui l'ont accompagnée (cimetière de PAU)

الملحق رقم 13: Quelques extraits (5/60) du quotidien "MEMORIAL DES PYRENEES
"Ayant rapporté des nouvelles sur l'arrivée de l'Emir Abdelkader à PAU
Et sur sa détention pour la période du 1 Avril 1848 au 18/12/1848

الملحق رقم 14: SHD , Ministère de la guerre : lettre au ministre de la guerre sur la
Situation politique de la ville de PARIS, le 29 Juin 1848

الملحق رقم 15 : Le cimetière des arabes, La revue de la semaine ,N-4 .

الملحق رقم 16 : Les archives nationales , AIX en PROVENCE ,Ministère de la guerre
AE1 21N-3^{b}
التعهد المعطى من الأمير عبد القادر إلى نابليون الثالث

البيبليوغـــــــرافيا العـــــــــامة

I- باللغة العربية

I-1- المصادر

ا- الوثائق الأرشيفية:

1- **أرشيف الحكومة التونسية** ، صندوق 78 ملف 229 ، و ثيقة رقم 04 : تتضمن مراسلات زكي كرطوزو مع حكومته حول طلب الأمير المساعدة منه في شراء السلاح مؤرخة سنة 1841.

2 - **أرشيف الحكومة التونسية** ، وثيقة رقم 05 مؤرخة في ماي 1847 تتضمن توبيخ زكي كرطوزو على مساعدته للأمير عبد القادر و التأكيد على العلاقة الطيبة مع فرنسا .

3- // // ، الوثيقة رقم 06 ، مؤرخة في جوان 1847 ، تتضمن الاستعداد التام لزكي كرطوزو لقطع العلاقة مع الأمير عبد القادر.

ب- المطبوعات

4- **القران الكريم**

5- بن هامي (مصطفى) ، **سيرة الأمير عبد القادر و جهاده** ، تحقيق: يحي بوعزيز، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1955 .

6- بن رويلة (قدور) ، **وشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب : يليه ديوان العسكر المحمدي الملياني** ، تحقيق: محمد بن عبد الكريم ن الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1986.

7- الحسني (عبد القادر)،**مذكرات الأمير عبد القادر** ، تحقيق: محمد الصغير بناني ، شركة دار الامة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر، 1995 .

8- // // ، ، **المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل و الإلحاد**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1966

9- // // ، **الديوان**، تحقيق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964 .

10– السلاوي (الناصري) ، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، القسم الثالث ، ج09 ، دار الكتاب، المغرب، 1956

11– الشقراني (احمد بن عبد الرحمن) ،، **القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط** ، تقديم ناصر الدن سعيدوني ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1995

12– العنابي(محمد بن محمود)،**السعي المحمود في نظام الجنود** ، تقديم و تحقيق: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1983

13– المزاري (بن وعودة)،**طلوع سعد السعود في اخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا في اواخر القرن 19م** ، تحقيق : يحي بوعزيز، ط1، لبنان ، دار الغرب الاسلامي، 1995.

I –2– المـــــراجـــــع

14– الأخضر (بوكيحل) ، **الحبس الاحتياطي و المراقبة القضائية في التشريع الجزائري و المقارن**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دس

15– أمقران (محند بوبشير)،، **النظام القضائي الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003 .

16– اوصديق (فوزي) ، ، **الوسيط في النظم السياسية و القانون الدستوري : دراسة مقارنة** ، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2000

17– بغدادي (مولاي ملياني) ، ، **المحاماة في الجزائر: نشاتها و تطورها منذ سنة 1830**، حتى قانون 04/91، المؤرخ في 1991/01/08

18– بن حبيب (الربيع) ، ، **الجامع الصحيح** ، بيروت ، دار الفتح للطباعة و النشر ، 1981 .

19– بن شهرة (المهدي) ، **تاريخ و برهان بمن حل بمدينة وهران** ، دار الريحانة للكتاب ، الجزائر، ط1، 2007

20– بن عبد القادر (محمد)،**تحفة الزائر**، تحقيق: ممدوح حقي،ط2، ، دار اليقظة العربية، الجزائر ،1966

21– بوشناقي (منير)،**سكة الامير عبد القادر: 1836–1841** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1976

22– بيرنت (يوهان كارل) ، **الامير عبد القادر** ، ترجمة:ابو العيد دودو ، دار هومة، الجزائر، 1996

23– التميمي(عبد الجليل)،**بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816–1871**، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس،1972

24– الجار (حامد)،**الجهاد: إبعاده الروحية و السياسية و الاجتماعية في حياة الفرد و المجتمع** ، دار للفكر الإسلامي، 1976

25– الحسني (بديعة)،**فكر الأمير عبد القادر الجزائري: حقائق ووثائق**، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق، 2000

26– // // ، ، **و ما بدلوا تبديلا : تفاصيل دقيقة عن حياة الأمير عبد القادر وجهاده و هجرته إلى الشام** ، دار الفكر العربي، بيروت، 2002

27– حرب (أديب)،**التاريخ الاداري و العسكري للامير عبد القادر 1808–1847** ، ج2، ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983

28– الحفناوي (أبو القاسم) ، **تاريخ الخلف برجال السلف**، شركة دار الأمة، الجزائر، ج2، 1906

29– الخالدي (سهيل) ، **الاشعاع المغربي في المشرق: دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام**، شركة دار الامة ، الجزائر، 1997.

30– خرفي (صالح) ، **في ذكرى الأمير عبد القادر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1984

31– خوجة(حمدان) ، **المرآة** ، ترجمة م محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1982

32 – دردار(فتحي)،**الأمير عبد القادر الجزائري: بطل المقاومة الجزائرية 1832–1847**، الجزائر، 2001

33 – دسوقي (ناهد إبراهيم)،**دراسات في تاريخ الجزائر**، منشاة دار المعارف، بيروت، 2001 .

34– رمضان (محمد الصالح) ،و آخرون ، **نزهة الخاطر في قريض عبد القادر** ، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1999.

35– الزبيري (محمد العربي) ، **الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1982

36 – سعد الله(ابو القاسم) ، **أبحاث و اراء في تاريخ الجزائر** ، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع ، الجزائر ،1981

37– // // ، **القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني : دراسة و نصوص**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985

38–سعيدوني (ناصر الدين)،**موقف الامير من بقايا السلطة التركية بالجزائر** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،، الجزائر، دس،

39– // // ، **عصر الامير عبد القادر** ، الأمانة العامة لماجد الحكواتي ، الجزائر، 2000

40– السنوسي (محمد) ، ، **الرحلة الحجازية**، تحقيق: علي الشنوفي ،الشركة التونسية للتوزيع،، الجزائر ،1978

41– السيد (فؤاد صالح) ، **الامير عبد القادر متصوفا و شاعرا** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985 .

42– سيد (الوزير محمد)، **الامير عبد القادر الجزائري: ثقافته و اثرها في ادبه**، مكتبة الملك فيصل الاسلامية، مصر، 1984 .

43– الشنقيطي (محمد الخضر)،**مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني** ، جمعها إبراهيم القطان ، سنة 1936، السعودية.

44– الصلح (عادل)،**سطور من الرسالة : تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877**، تقديم و تعليق : صم منور، بيروت، 1966

45– عبد الكريم(احمد عزت)، **دراسات في تاريخ العرب الحديث** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، بيروت،1970.

46– العربي (إسماعيل)، **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982

47–،عشراتي(سليمان) ، **الأمير عبد القادر المفكر** ،ط2، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2004،

48– لعرج (واسيني) ، **كتاب الأمير** ، مسالك أبواب الحديد ، الفضاء الحر ، الجزائر، 2004.

I –3– الملتقيات

49 – ألقاسمي (عبد المنعم) ، **الأمير عبد القادر من خلال مخطوط نادر لابو حامد العربي المشرفي : ذخيرة الأواخر و الأوائل فيما ينتظم من أخبار الدول** ، الملتقى الدولي الخاص بالأمير عبد القادر ، الجزائر ، ماي 2005 .

50– بلقا سمي (بوعلام) ، الأمير عبد القادر في الأسر : قراءة في رحلة الحرية و سؤال الحداثة، الملتقى الدولي حول تراث الأمير عبد القادر بين الخصوصية و العالمية، مقاربات تحليلية، 29-30 نوفمبر، جامعة وهران، 2008

51– زروخي(اسماعيل) ، **مساهمة الامير عبد القادر في النهضة العربية الحديثة** ، الملتقى 26-27 نوفمبر ، الجزائر ، 1998 .

52– سماتي (محفوظ) ، **العلاقات الخارجية امتداد لشرعية دولة الأمير عبد القادر** ، أعمال ملتقى حول الأمير عبد القادر ، دار الحكمة، الجزائر، 1998

53– عبد اللاوي (محمد) ، **الروحانية والسياسة عند الأمير عبد القادر** ، ملتقى 26-27، الجزائر .

I-4- المـــــقـــالات

54- صيام (زكريا) ، **الأصالة و التجديد في شعر الأمير عبد القادر** ،مجلة الثقافة الجزائرية ،عدد خاص ، رقم75 ، 1983

55- عميراوي(حميدة) ، **معاهدة الدوائر و الزمالة** ، مجلة الثقافة ، العدد88، 1985 .

56- مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، العدد الأول، الجزائر، 1998.

I-5- الرسائل الجامعية

57- صم (منور)، **الأمير عبد القادر و أحداث الستين 1860من خلال الوثائق الفرنسية**، رسالة دكتوراه دولة ، وهران، 1971.

I -6-المـــــوسوعـــات

58- الصفدي(سفيان)، **الموسوعة التاريخية لدول العالم وقادتها** ، دار أسامة للنشر و التوزيع، الأردن ،2001.

I -7- المواثيق الرسمية

59- دستور 23 فبراير 1989

60 –دستور 28 نوفمبر 1996 ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، عدد76

61- الميثاق الوطني، 1964.

II - باللغة الفرنسية

ا- الوثائق الأرشيفية: LES documents d' Archives

ا-1- les Archives d'outre mer

A- La direction des archives d'Aix –en Provence

- **Correspondances générales du gouvernement générale de L'Algérie**

E229/1, Les Arabes venus de l'Algérie Avec les frères d'Abdelkader, 1847 **- 62**
Liasse 218[3]

E228/4 - Lettre, D'Abdelkader au général de Lamoricière DECEMBRE **- 63**
1847, et la Réponse du général de Lamoricière à Abdelkader
Liasse 219[1]

E229/4 État nominatif des arabes composant la famille de L'ex émir **- 64**
Abdelkader, Le 20 janvier 1848 , Liasse 220[4]

GGA1E/218, La lettre de morizo au ministre De la guerre **- 65**
le29-janvier 1848

E229/5, Contrôle Nominatif des arabes de la suite **- 66**
De l'ex-émir hadj Abdelkader qui n'ayant pas été Désigné pour
L'accompagner A PAU seront être diriges sur l'île SAINT
MARGUERITE , Liasse 219

542AP10 , PIECE 1-69, Abdelkader : Les correspondances **-67**
D'Abdelkader Avec Emile OLLIVIER

AE1 21N-3[b,] la lettre d'Abdelkader à Napoléon III **- 68**

B- La direction des archives de Vincennes

- service historique de l'Armée de terre

. 1H97, Le Plans de la bataille d'Isly - **69**

// , Rapport sur la bataille D'Isly du maréchal BUGEAUD

// , Ordre du marche De l'armée commandée par
Le maréchal BUGEAUD (la tête de sanglier du BUGEAUD)

1H28 : Traite du 18 Mars 1845 entre l'empereur **–70**
Des Français, et l'empire d'Algérie Et l'empereur du Maroc
Le traite porte sur la mutuelle reconnaissance
Des possessions des deux empereurs ,1845

1H123-2, Une dépêche télégraphique le 23 DECEMBRE 1847, **- 71**
Du gouvernement Général de l'Algérie a monsieur
Le ministre de la guerre

Lettre au ministre de la guerre sur **la** Situation politique **- 72**
De la ville de PARIS, le 29 Juin 1848

- **Service historique : dépôt de la marine**

Mars 1982 : Notice sur la frégate a vapeur Asmodée **-73**
1840-1865

Département des archives municipales de la ville de Toulon **-2-ا**

Département des Archives de la ville de Toulon, **- 74**
1DOC12, La détention
D'Abdelkader au FORT LAMALGUE, 1847-1848.

Les archives de la mairie de Toulon, Extrait des décès**,- 75**
des Arabes à Toulon N-299 Et N-129

Le TOULONNAIS, journal du var et de l'Afrique, **- 76**
Désigne par décision de la cour royale d'Aix
pour l'insertion des annonces légale dans l'arrondissement
Toulon, N-2037, Dimanche, 20 février 1848

Direction des Archives de la ville de BOUCHE DU RHONE et du VAR **-3-١**

Département des BOUCHES –DU-RHONE ET DU VAR, **- 77**
Lettre du 19 MARS 1848: Le Commissaire du gouvernement provisoire dans les départements des BOUCHE –DU- RHONE et du VAR
Au président du gouvernement provisoire, Liasse 220^{-8}

Département des BOUCHES –DU-RHONE ET DU VAR, Lettre du 19 **-78**
MARS 1848 de L'émir Abdelkader Au gouvernement provisoire
Liasse , 220^{9}

Département des BOUCHES –DU-RHONE ET DU VAR, **- ,79**
Lettre du 19 MARS, 1848, De L'émir Abdelkader
Au gouvernement provisoire , Liasse 220^{9}

Département des archives municipales de la ville de Pau **-4-١**

. MEMORIAL DES PYRENEES, 1848 **- 80**

Archives départementales de la ville de PAU, A32.173, A32.181 **- 81**
Des photos sur le château de Pau

Archives communales de PAU, Les extraits de décès **- 82**
des Arabes a PAU

Archive communale de PAU : Délibération du conseil municipal**, - 83**
AM PAU.1D1/21, N101N

Archives communales de PAU, La lettre de madame **: - 84**
Maréchal GROUCHI, Abdelkader au château de PAU

Département des archives municipales de la ville d'Amboise **5-ا**

85 - Département des Archives de la ville d'Amboise, H140-ANII-1892 La visite de l'émir Abdelkader a la ville d'Amboise, 1852-1870 – les correspondances d'Abdelkader avec l'Abbé RABBION

86 - Département des Archives de la ville d'Amboise, H140/19 Lettre de l'Emir Abdelkader À Mm Maurice le four, 1853.

ب- الصحافة الفرنسية: la presse Française

87 - Le journal des débats, 08 Janvier 1848

88 - Le MONITEUR, Recueil des débats législatifs et politique Des chambres Française France, Janvier 1848, N-03

ت- القوانين: LES LOIS

89- Le code d'instruction criminelle Français de 1808 : en vigueur le 18 Novembre 1808

ج- المجلات Les revues

90- DAVID (J), Revue historique et fastes littéraires, F.F Paris, 1845

91- .FALLOUX (A), Une entrevue avec Abdelkader : journal Ecclésiastique, politique et Littéraire, l'ami de la religion et du roi, E.C, PARIS, 1830

92- FLEURIOT (Z), et autre, La semaine des familles: Revue universelle 1859-1860, J.L, PARIS, 1860

93- Revue médicale Française et étrangère, journal des progrès de la Médecine rippocratique , S.N, PARIS, 1856

94- REVUE DE PARIS, E.P.D.G, PARIS, 1843

95- REVUE DE L'ORIENT ET DE L'ALGERIE, Bulletin de la société Orientale de France, S.O, PARIS, 1852

96- REVUE DES DEUX MONDES, E.B.D.M, PARIS, 1 Octobre, 1852, T16

97 //// ,Tome 9 , XV année , nouvelle série 01/01/1845 , Paris , 1845

98- Annale de propagation de la foi, E.P, Paris, 1841

99- Librairie Ecclésiastique d'Adrien le clere et Cie, L'Ami de la religion, Paris, 1845

100- Les annale d'hygiène publique et de médecine légale, E.P.B, PARIS

ح- النشرات Les bulletins

101- PLESSIS, Les arabes a Amboise, Mémoire de la société botanique de France : société archéologique du Midi de la France, par A.DROUET, de Novembre 1847- Novembre 1854

102- . PONCY (Ch.), Une visite a Abdelkader, Bulletin trimestrielle De la société des sciences belles-lettres et arts du départements du var, I.L.L, Toulon, 1850

-103 GABEAU (A), L'émir Abdelkader a Amboise : bulletin
De la société archéologique de TOURAINE, 1898

-104 Académie des sciences Belles-lettres et Arts : précis analytique
Des travaux de l'académie des sciences Belle –lettre et Arts
De RUEN, A.S.B.L.A, ROUEN 1857-1858

خ– الدراسات Les études

-105 POURJOLAT (J J F), Etude africaine, récits et pensée d'un voyageur, P.C,
PARIS, 1847

د – les ouvrages

-106 Abbe DOPIGEZ(M), Souvenir de l'Algérie et de la France
Méridional 1830-1871, E.A.D, PARIS

107 ALBY (FA), Les vêpres Marocaines ou les derniers
Prisonniers d'Abdelkader, E.L.N, PARIS, 1853

- 108 ARNAUD(S), Lettre du Maréchal Saint ARNAUD a son frère,
Paris, 1855

- 109 BEHAGHEL (A), L'Algérie Histoire, géographie
, climatologie, hygiène, agriculture, forêts,
zoologie, richesse, minérales, commerce et
Industrie, mœurs, indigène, population, armée, marine, administration, Alger,
1865

- 110 BELLAMARE (A) Abdelkader sa vie politique et militaire E.B
Alger

- 111 BELLEZE (S) Voyage de Paris aux Pyrénées : simple causeries,
E.V, PAU, 1854

BERTEUIL (A) L'Algérie Française : histoire, mœurs, coutume- **112**
industrie, agriculture, D.L.E, PARIS.

BLANC (L), Révolution Française : Histoire de dix ans 1830-1840-**113**
E.P, Paris, 1846,

// **//,** Récits d'un officier d'Afrique 1812…, F.F, PARIS, **- 114**

BOUDIN (A) Histoire de Napoléon III empereur des -**115**
Français Continuée jusqu'à Sa mort, L.V.C, PARIS, 1858

BOUNNAFONT, Douze ans en Algerie1830-1842, E.D.E, Paris **-116**
1880

CAILLET (A), Notice sur un projet de colonisation **-117**
De L'Algérie**,** Paris, 1856

CAPPOT (J G), L'Algérie française, E.A.V, Paris, 1856 **- 118**

CARTERON(C), Voyage en Algérie : tous les usages des arabes**;-119**
Leur vie intime et Extérieur, ainsi que celle des Européens
dans la colonie, J.H.L, Paris, 1866

CASTEL (H de V), Mémoire du compte Horace de VIEL CASTEL-**120**
E.F.F, PARIS, 1864, pp89, 90

CHURCHUILL (H), La vie d'Abdelkader, M.H, Alger, 1981, **- 121**

COLLIN(E) et comte de CIVERY, Napoléon III et Abdelkader **122**
charlemagne et witikind , étude historique et politique , biographie de l'émir
contenant un Grand nombre de lettres et de documents inédits
, E.P.M, PARIS, 1853

DAUMAS(E), Correspondance du capitaine Daumas , consul a **-123**
Mascara 1837-1839, Ed G Yver , Alger ,1912

De CORNOT (F), Recueil manuel et pratique de traite **- 124**
De convention et autre Diplomatique, E.B, PARIS, 1849

De MARTIMPREY, Souvenirs d'un officier d'état major ; **-125**
Histoire de l'établissement de La domination Française
Dans la province d'Oran 1830-1847, Paris, M.Q, 1886

De MARTINS (G. F), Nouveau recueil de traite d'alliance de paix **-126**
De trêve de neutralité, de commerce, de limites d'échange
Et de plusieurs autre actes, servant a la connaissance des relations
Étrangers depuis 1808-a nos jours 1830-1838, L.D, Paris, 1840

De PETIGNY(C F), L'Algérie, F.A.F, Paris, 1859, **-127**

de RENAUD (P), Les annales Algérienne, Paris, 1839 **-128**

D'ESTRY(S), , Histoire d'Alger de son territoire, et de ses **-129**
Habitants de ses pirateries, de son commerce, et de ses guerres
,de ses mœurs et usages, depuis Les temps les plus reculées
jusqu'à nos jours dédier a DUPUSH l'évêque d'Alger 4eme édition
,A.M.IL,, TOURS

DEVOISIN (V), expédition de Constantine **-130**
accompagne de réflexions Sur nos possessions J.C, Paris, 1840

D'IDVILLE, Le maréchal Bugeaud d'après sa correspondance **131-**
Intime et des documents inédite 1784-1849 T2, Paris ,1883

Duc de CARAMAN, Relation contenant le détail de la part- **132**
Que feu a prise- A la première Expédition de Constantine
1836, I.L.F, Paris, 1843

Du BARAIL, Mes souvenirs 1820-1851 , T1 , 12EME édition **, - 133**
E.P, PARIS, 1897-1898

DUMAS(A), Impression de voyage, L.F.E, Paris ,1855 **- 134**

DUPANLOUP L'évêque d'Orlèon, Oraison funèbre **-135**
Du générale Lamoricière, PARIS, 1865

DUPUSH (A. A), Abdelkader : sa vie intime, sa lutte avec la France**,** **-136**
Son avenir, E.L, PARIS, 1860,

ENFANTIN, Colonisation de l'Algérie, P.B.L, Paris, 1843**,- 137**

ESTERHAZY (W), Notice historique sur le Makhzen d'Oran Paris**-,138**
1849

FAUCON (N), Le livre d'or de l'Algérie : Histoire, politique**-,139**
militaire administrative, événement et faits principaux, biographie
, des hommes etc. 1880-1889, Préface de M .le COLONEL trumlet, T1,
L.A.C, Paris, 1889

FERDINAND(E) et autre, Histoire de mon temps 1816-1875, **-140**
Paris, t4, 1857

FILLIAS (A), Histoire de la conquête et de la colonisation **-141**
De l'Algérie 1830-1860, Paris, E.A.V, 1860

GABOURD (A), Histoire contemporaine comprenant-**142**
les principaux évènement qui se sont accomplis depuis la révolution de 1830,
,E.F.D.F, Paris 1846

GAFFAREL (P), L'Algérie : histoire, conquête et colonisation **-143**
, Paris, 1883

GIRARDIN(E), Question de mon temps:1835-1856, , S.E, **-144**
Paris, 1858

GUIZOT (F), Mémoire pour servir l'histoire de mon temps**.-145**
E.M.L.F, Paris, 1856

// // , Histoire parlementaire de France, recueil complète- **146**
Des discours prononcés dans les chambres de 1819-1848, T5,
M.L.P, PARIS

L'abbé SUCHET, Lettre édifiants et curieuse sur l'Algérie, TOUR1840 **-147**

LAYA (A), Etude historique sur la vie privée" politique et Littéraire de M.A. THIER, E.F; 1846 **- 148**

Le Compte D'HERISSON, La chasse a l'homme : guerre d'Alger, P.O.E, Paris, 1848 **-149**

Le comte de CASTELLANE, Souvenirs de la vie militaire en Afrique, G.L.E, Paris 1879 **-150**

LESTIBOUDOIS (T), Voyage en Algérie, ou étude sur la colonisation de l'Afrique française L.F.F, Paris, 1853, **- 151**

LESURE (C.L), Annuaire historique, PARIS, 1848 **-152**

LOISELEUR (J), Les résidences royales de la Loire, P.E.D PARIS, 1863 **- 153**

LYNADIER et CLAUZEL, Histoire de l'Algérie Française Procédé d'une introduction sur la domination s Carthaginoise, Roman, Arabe Et turque, Paris, 1846 **-154**

MACEDO (M A), Pèlerinage aux lieux saints , suivi d'une Excursion dans la basse EGYPTE, en SYRIE, et a Constantinople , E.L.I, PARIS 1867 **- 155**

MIQUEL (J F), MIQUEL (f), Lettre d'un vétéran de l'école de Bretonneau, PARIS, 1856 **- 156**

MONTAGNAC, Lettre d'un soldats : Neuf année de compagne en Afrique , correspondance inédite de Montagnac, Paris ,1885 **-157**

MORNAND (F), La vie Arabe, L.F, PARIS, 1856 **-158**

NAPOLEON, Discours et messages de Louis Napoléon Bonaparte, T.P.F, PARIS, 1853 **-159**

NETTEMENT (A), L'histoire de la conquête de l'Algérie : écrit sur Des document s inédit et authentique, L.J.L, Paris, 1867 **-160**

OTTON (J.), L'Algérie Youssef bey et Abdelkader E.J.L, Paris, 1837 **-161**

PEUCHOT (A J Q), Bibliographie de la France, E.C.L, PARIS 1855 - **162**

PICHON, Abdelkader : sa jeunesse, son rôle politique et religieuse Son rôle militaire sa captivité, sa mort 1807-1883, E.L, PARIS **-163**

PIERRE (V), Histoire de la république de 1848, VOL1, 2, E.P, PARIS, 1873-1878 **-164**

RABAN, Histoire privée politique et militaire d'Abdelkader Depuis sa naissance jusqu'à sa soumission et son arrivée en France, I.L, 1848 **-165**

REGIS (L), Constantine : voyage et séjour, C.L.E, Paris, 1880. - **166**

RENAULT (B.), Histoire de huit ans 1840-1848, E.P, PARIS, **-167**

// // L'histoire du gouvernement de Louis Napoléon et Rétablissement de l'empire Française, E.R.R, PARIS, 1852 **168**

RENAULT(E), Histoire du gouvernement provisoire, PARIS, 1856 **-169**

ROCHE (L), Dix ans a travers l'islam 1834-1844, PREFACE Carraby, L.A.D, Paris **-170**

ROY E (J. J), Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus Anciens jusqu'à nos jours, E.M, PARIS, 1859 **-171**

ROZET et CARETTE, L'Algérie, F.F.E, Paris, 1850 **- 172**

ROZEY (A.G.), Mémoire aux chambres législatives, E.M.O, Paris 1842 **- 173**

SANTA (P de p), Du climat d'Alger dans les affections chroniques De la poitrine, M.I.L, PARIS, 1856 **-174**

STERN (D) et CATHERINE (M), Histoire de la révolution de 1848, PARIS, 1851 **-175**

TCHIHATCHEF, Espagne, Algérie, et Tunisie: Lettre à Michel Chevalier L.B.F,1880 **-176**

THEODORE (F Ch.)Et LAFOSSE (T), Histoire de la Gendarmerie d'Afrique et la colonie d'après les documents De l'armée 1830-1860, L.A.B.E, 1860 **-177**

VOISIN (G), L'Algérie pour les Algérien, M.L.F, Paris, 1861 **- 178**

II-2- المـــــمـــراجع Les références

ALLOULA (A), Le miracle de la Tafna, E.N.L, Alger, 1989 **-179**

ARBOIT (G), Aux sources de la politique Arabe et de la France : Le second empire au Machrek, E.H, Alger, 2000 **-180**

AUZIA (D), L'Algérie, P.F, Paris, 2007-2008, **-181**

AZAN (P), l'émir Abdelkader 1808 – 1883: du fanatisme Musulmans au patriotisme français, L.H, Alger **-182**

// //Les grands soldats de l'Algérie, Cahier de centenaire De l'Algérie Paris, 1931 **- 183**

BELHAI(D), Les dons de la mer, E.P.H, ALGER, 2006 **-184**

BESSAIH (B), De l'émir Abdelkader a l'imam chamyl , **- 185**
Le héros des tchétchènes et du Caucase, E.D, Alger, 1997

BOUTALEB,(A), L'Emir Abdelkader et la formation **-186**
de la nation Algérienne, E.D, Alger, 1990

CHENTOUF-(T), L'Algérie politique (1830-1954) , O.P.U **- 187**
Alger, 2003,

COPPOLANI (D), Les confréries religieuses musulmanes, E.J, **-188**
Paris, 1897

De TOCQUEVILLE (A), De la colonie en Algérie, E.C, **189**
PARIS, 1988

DINESEN (A), Abdelkader et les relations entre les Français **-190**
et les Arabes en Afrique du Nord, A.N.E.P, Alger, 2001

ETIENNE (B) et, POULLION(F), Abdelkader le magnanime, **-191**
I.M.A, Paris, 2003,

FERAUD (Ch), Le tours du monde : visite au palais **-192**
De Constantine, L.H.C, Paris, 1877

GAFAITI (H), La diaporisation de la littérature postcoloniale :**-193**
Assia DJEBAR Et Rachid MIMOUNI, E.H, Alger, 2005

IMBERT (A L), Louis napoléon et mademoiselle de Montijo, **-194**
A.M.C, PARIS

JULIAN (Ch A), L'Histoire de l'Algérie contemporaine ; **-195**
Conquête et colonisation 1827-1871, Paris, 1964

LAURENT (F), Victor Hugo face a la conquête de l'Algérie, C.N.L, 2001 **-196**

/ /Voyage de Louis Napoléon dans les départements du centre et du midi emperor of the French Napoléon, 1852, S.A, PARIS **- 197**

MEJRI (A), Le socialiste français et la question Marocain 1903-1912, E.H Alger, 2004 **-198**

MERCIER(E), Les deux siège de Constantine 1836-1837 I.L.L.P, Alger, 1896 **199**

MONTAGNON (P), La conquête de l'Algérie : Les germes De la discorde 1830-1871, E.G.W, PARIS, 1993 **-200**

PERES(H), La vie d'étude et de méditation d'Abdelkader au château d'Amboise 1848-1852, La littérature arabe et l'islam par les texte du XIX siècle, C.R, PARIS, 1955 **- 201**

SMATI (M), Les élites Algérienne sous la colonisation, T1, E.D, Alger, 1998, **-202**

SUREAU L (j), FEULVARC'H(A), L'Emir Abdelkader a Amboise 1848-1852, F.S.L, France, 2002 **-203**

SYLVA(C), Les petit touriste: premiers M voyage de vacances, E.T, PARIS, **-204**

THINTHOIN(R), Colonisation et évolution des genres de vie Dans la région Ouest d' Oran 1830-1885, Paris, 1943 **-205**

WEYER (M C), La vie du général Yusuf, E.L.G, Paris, 1930 **-206**

ZOUMOROFF (PH) et autre, Abdelkader, E.F, A1994 - **207**

II-3-المـجـــــلات: Les revues

BOUKERROU (M), Le captif d'Amboise: Le cimetière des arabes, La revue de la semaine, N-4 **-208**

CALBRE (CH .S), et quelque auteur arabe constantinois, Revue Africaine, T57, 1er trimestre, 1913 **-209**

DR WARNIER, Le conflit franco-marocain de 1844, REVUE AFRICAINE, N-94, 1950 **-210**

EMIRIT (M), La légende de Léon ROCHE, revue africaine – n-91, 1947 **211**

Les débuts de Youssef a l'armée d'Afrique, Revue Africaine , t54, 1910 **-212**

. FOURIER (Ch.), La phalange : journal de la sciences sociales Découverte et constitué, 3eme série, T1, B.PH.T, PARIS **-213**

YACONO(X), Abdelkader agent de la politique française Dans la proche orient, Revue historique, Avril –Juin, PARIS, 1969 **-214**

Revue des sciences politique, Abdelkader en exil d'après Des documents inédit 28 eme année, JANVIER – JUIN, 1913 **- 215**

II–4– الملتقيات Les rencontres

BOUYERDENE (A), La captivité de l'émir Abdelkader a PAU: **-216**
Une étape morale et spirituelle : mémoire et image d'Abdelkader ,
Colloque au musée du château de PAU, S.A.CH, PAU, 2007

BUGEUD (T), Par l'épée et par la charrue : écrits et discours de **-217**
Bugeaud sur colonies et empires, collection international De
Documentation coloniale, P.U.F, PARIS, 1948

CHERIF (M), La mémoire de l'émir Abdelkader, colloque **-218**
Internationale, MAI, B.N.A, Alger, 2005

TESSIER (H), L'émir Abdelkader, et les chrétiens a l'époque **-219**
De son combat en Algérie et de son exil en France, colloque
Internationale sur l'émir Abdelkader : L'état de l'émir Abdelkader
Et ses relations avec l'extérieur, 24-26 Novembre 1997, ALGER

// // PAU l'amitiés de l'émir Abdelkader et de l'évêque d'Alger **–220**
1848 Colloque au musée du château de PAU, 6-7 Juin 1998, Alger

Ligue de droit de l'homme, Exposition sur la détention **-221**
D'Abdelkader au fort Lam algue, regards Français sur Abdelkader
et sur la conquête de l'Algérie, l'arrivée a Toulon d'un prisonnier embarrassant
un héros des deux rives6fevrier -23 juin2003, TOULON

VI– الـــــموسوعـــــات LES ENCYCLOPEDIES

AZAN P, Sidi Brahim : Dictionnaire biographique **-222**
Internationale des écrivains, par Henry CORNOY E.L.F,
PARIS, 1902

BOISSIERE G, Larousse médicale illustré, E.L.M., PARIS, 1952, **-223**

Encyclopédie universels, France, 1997 **-224**

III- باللغة الانجـــليـــزية

BENNISON (A .K), Jihad and its interpretation in Pre-colonial Morocco, F.C.A, PARIS, 2002 **-225**

BLANCH(L), The wilder shores of love, L.G, NEW YORK, 1993 **-226**

DEVEREUX(R), Aspects of Algeria, I.M, LONDON, 1912 **-227**

KISER (J), Commander of the faithful, P.C, U.S.A, 2008 - **228**

مقـــدمـــة عـــامـــة ١

الـفـصـــــــــــــــل الأول
ظـــــروف ودوافـــــع نهـــــاية المقـــــاومة الشعبيـــة
بـقيـــــادة الأمير عبـــد القـــادر 1847

I- شرعية الدفاع الوطني و انتهاج المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر..... 3
II المساعي الفرنسية لإجهاض و تقويض الطاقة العسكرية للأمير عبد القادر..... 21
III- المعارك الأخيرة للأمير عبد القادر و احتضار الجيش الوطني الشعبي..... 50
VI– مفاوضات الأمير عبد القادر مع لاموريسيير ووقف القتال 57

الفصـــــــــــل الثـــــــــاني
اعتقال الأمير عبـــد القـــادر و مـــرا فقيـــه
و معاناتهم النفسية والمـــــادية - المحطتان الأوليتان –

I – المرحلة الأولى : معاناة المعتقلين بطولون تحت الحكم الملكي..... 65
II - الرهان السياسي لأسره في فرنسا 85
III – المرحلة الثانية : استمرار المعاناة في ظل الحكم الجمهوري 97
VI - الاعتقال بقصر بو و تواصل المعاناة 106

الفـــــــــصل الـــثالث
امبـــواز : الموضع الأخـير للاعتقال

I – التنظيم الإداري و العسكري المزامن لنقل المعتقلين إلى قصر امبواز 124
II- تنصيب لويس نابليون بونابرت رئيسا للجمهورية الثانية واستمرار الاعتقال..... 129
III-الدراسات و الأعمال الأدبية للأمير عبد القادر في
معتقل امبواز 1848-1852..... ... 141

الفصـــــــــل الـــــرابع

إشكـــــالية الحبس التعسفي للمعتقلين و دور نابليون الثالث في رد اعتبـــــارهم القانـــــوني

I- ما مدى احترام السلطات الفرنسية للضمانات المقررة قانونا اتجاه اعتقال الأمير عبد القادر و مرافقيه..... 164

II - زيارة نابليون الثالث إلى قصر امبواز و الإعلان عن إطلاق سراح الأمير عبد القادر 172

III – زيارة الأمير عبد القادر لباريس و الوداع الأخير للاعتقال..... 175

VI– ظروف الأمير عبد القادر ما بعد الحرية..... 182

الخـــــاتمة العـــامـــة 191

قائـــــمة الرمـــــوز 199

قائـــــمة الجـــــداول..... 203

قائـــــمة المـــــلاحق 205

البيـــبليوغـــــرافيا العـــامة 224

الفـــهـــــــــــرس 248